

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (٣٥)



دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي

دراسة تاريخية مقارنة

إعداد
محمد بن علي بن محمد السكاكر

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية
أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السكاكر ، محمد بن علي بن محمد

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي : دراسة تاريخية مقارنة ـ الرياض.

٣٨٨ ص ١٧ X ٢٤ سم. ـ (سلسلة نشر ألف رسالة علمية (٣٥).

ردمك : ١ ـ ٣٠٦ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠

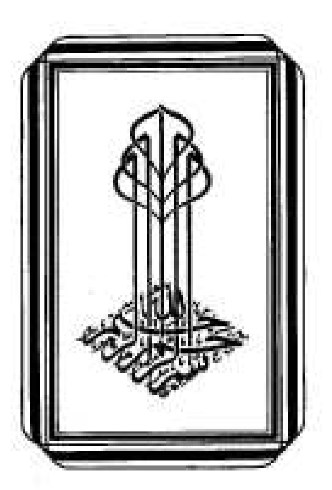
١ ـ الدعوة السلفية ـ السعودية ٢ ـ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان

٣ ـ ابن فودي، محمد بن بلو بن عثمان أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٢١٧,٢ ٢٠/٣٦٨٠

رقم الإيداع : ٢٠/٣٦٨٠

ردمك : ١ ـ ٣٠٦ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠



حقوق الطبع والنشر محفوظه للجامعة

تقديم لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على خاتم المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الدعوة السلفية للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ هي أول دعوة إصلاحية جادة في العصر الحديث، وقد امتدت آثارها إلى مناطق شتى من بلاد المسلمين، فقامت دعوات إصلاحية مماثلة لها في المنهج، والأسلوب. ومن تلك الدعوات دعوة الشيخ عثمان بن فودي في إفريقية، التي تلتقي مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النشأة الدينية لكل منهما، وأوضاع المجتمع الذي قامت فيه كل من الدعوتين، والمبادئ التي قامتا عليها.

وقد قام الدكتور/ محمد بن علي بن محمد السكاكر في رسالته للماجستير بدراسة تاريخية مقارنة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، وبيّن أثر الدعوتين في تخليص المسلمين من البدع والانحراف، وإعادتهم إلى نبع الإسلام الصافي.

ومن هنا يأتي اهتمام الجامعة بنشر هذه الرسالة ضمن «سلسلة مشروع وزارة التعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية»؛ لما لها من إسهام في خدمة الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامي الذي تحمل لواءه بلادنا المباركة التي قامت منذ تأسيسها على نصرة الدين الحنيف، والدعوة إليه.

وختاما أسأل الله عز وجل أن يحفظ لهذه البلاد قادتها وسؤددها وأن يجزي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد وصاحب السمو الملكي ولي عهده الأمين وصاحب السمو الملكي النائب الثاني خير الجزاء على ما قدموه لأمتهم من جهود مشكورة ومذكورة. والله الموفق.

د. محمد بن سعد السالم

المقدمة :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد :

فلا يزال تاريخ انتشار الإسلام في العالم بحاجة ماسة إلى الدراسات الجادة المتعمقة. ولعل المناطق التي انتشر فيها الإسلام خارج منطقة الشرق الأدنى هي من أكثر المناطق حاجة إلى دراسة كيفية ظهور الإسلام فيها، ووسائل انتشاره، وأوضاع المسلمين فيها سواء أكان المسلمون يكونون نسبة عالية من السكان أم أنهم كانوا أقلية في ظل حكومات نصرانية أو وثنية.

وتعد البلاد الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من أهم المناطق التي وصلها الإسلام في وقت مبكر من محاور مختلفة، فتعددت مصادر ثقافتها الإسلامية، وظهرت فيها حركات تدعو إلى الإصلاح الديني وتخليص المسلمين فيها من تأثير البيئة الوثنية، وكذلك الوقوف في وجه حركات التنصير بين المسلمين وغيرهم. وكل هذه الأمور تحتاج إلى إبراز نظراً لقلة الدراسات التاريخية المهتمة بانتشار الإسلام في إفريقية وتركيزها على العالم العربي، وعدم المعرفة باللغات الإفريقية المنتشرة في البلدان الإسلامية في إفريقية، والتي يجب على الباحث أن يعرفها ليقرأ عن الأوضاع الإسلامية هناك من مصادرها الأصلية، هذا بالإضافة إلى صعوبة الاتصال ببلدان القارة الإفريقية. وقد بدأت هذه الصعوبات في الانحسار، فلم تعد القارة الإفريقية مجهولة، وأصبح الاتصال بها ممكناً وبوسائل متعددة، كما أن الدراسات اللغوية المقارنة للغات القارة الإفريقية دخلت في مرحلة من

التطور سمحت لنا بمعرفة هذه اللغات، كما أن الوعي الإسلامي بدأ يتجه إلى الاهتمام بالمسلمين في كل مكان، وفي محاولة لربط المسلمين بعضهم ببعض، وحل مشاكل البلاد الإسلامية في آسيا وإفريقية، والاهتمام بمشاكل الأقليات الإسلامية في جانب الحكومات والمنظمات الإسلامية التي بدأت تشجع الدراسات الخاصة بأوضاع المسلمين، وبدأت الجامعات الإسلامية تلعب دورها العلمي في ميدان دراسة الأوضاع الإسلامية، وتشجع البحث العلمي في هذا المجال. وقد حظيت البلدان الإسلامية في القارة الإفريقية بنصيب من هذا التشجيع.

وموضوع هذه الرسالة هو محاولة علمية جادة لتقصي الوضع الإسلامي في نجد في الجزيرة العربية، ومقارنته مع الوضع الإسلامي في بلاد الهوسا في غربي إفريقية من خلال دراسة:

«دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي دراسة تاريخية مقارنة».

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى حقيقة واضحة وهي: أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - وهي أول دعوة إصلاحية جادة في العصر الحديث - امتدت آثارها إلى مناطق متعددة من بلاد المسلمين، خاصة بعد أن وصلت إلى الحجاز. لذا يجدر بالباحث أن يتتبع هذه الدعوات، ويقارن فيما بينها من حيث المنهج والأسلوب، وكيف استطاعت تخليص المسلمين مما تسرب إليهم من تأثيرات غير إسلامية، خاصة في القرون التي تخلف فيها المسلمون، ووقعوا فيها تحت تأثير الحضارة الغربية من ناحية، وتحت تأثير حركات التنصير من ناحية أخرى.

أما من الناحية المنهجية، فقد قسمت الموضوع إلى أربعة فصول، تناولت في الفصل الأول: أوضاع المجتمعات الإسلامية في نجد وبلاد

الهوسا قبيل قيام الدعوتين، وجعلته في مبحثين:

ـ المبحث الأول: تحدثت فيه عن البيئة الجغرافية من حيث الموقع والسطح، والمناخ، ومالها من أهمية للإحاطة بأحوال الشعوب، وكذلك تأثيرها المباشر أو غير المباشر في حياة الإنسان ونشاطه وتطوره.

ـ المبحث الثاني: وتحدثت فيه عن الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والدينية في نجد وبلاد الهوسا، وكيف كانت تلك الأوضاع متردية، لا تتناسب مع مكانة المسلم الذى أعزه الله بالإسلام، فبينت في الأوضاع السياسية تفكك مجتمعات نجد وبلاد الهوسا، وعدم وجود الوحدة السياسية في كل منها، وكذلك الحروب المستمرة بين أمراء المدن فيها، وكذلك محاولة التدخل الخارجي فيها.

أما الناحية الاجتماعية فبينت فيها عادات وتقاليد هذين المجتمعين قبل ظهور الدعوتين، وما يتعرضون له من مشكلات الحرب، وظلم الحاكم الذي لا يلتزم بأوامر الله عن طريق الضرائب غير الشرعية.

أما الأوضاع الدينية فقد ناقشت فيها مدى قرب هذه المجتمعات من الإسلام أو بعدهم عنه، والأمور التي أدخلوها في الدين الإسلامي وهو منها بريء. كعبادة الأشجار والأحجار، والطواف حول القبور للتبرك والتوسل بها . . . . ونحو ذلك.

وتناولت في الفصل الثاني: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقسمته إلى أربعة مباحث: ـ

ـ المبحث الأول: ولادته ونشأته، حددت فيه تأريخ ولادته، وكيفية

تربيته ونشأته وتعلمه مبادئ العلوم الإسلامية التي جعلته يطلب المزيد من هذه العلوم .

- المبحث الثاني : رحلاته ومؤلفاته، وتحدثت فيه عن البلاد التي زارها الشيخ محمد بن عبدالوهاب للتزود منها بالعلوم الإسلامية التى تعينه على إصلاح مجتمعه والعودة به إلى الإسلام الصحيح، وما لهذه الرحلات من دور في تكوين شخصيته، وعزمه على إعلان دعوته . وكذلك ذكرت في هذا المبحث ما للشيخ من آثار علمية تمثلت بمؤلفاته من الكتب، والرسائل التي بعثها إلى العلماء والحكام ليبين لهم حقيقة دعوته .

- المبحث الثالث : وتحدثت فيه عن مبادئ دعوة الشيخ، ووسائله النظرية والعملية لإصلاح مجتمعه، وكذلك نتائج دعوته التي تمثلت بمعارضة بعض العلماء والحكام لها، وما تبع ذلك من إعلان الشيخ محمد للجهاد في سبيل الله ونظراً لأهمية هذه النتيجة فقد جعلتها في مبحث خاص .

- المبحث الرابع : جهاده، وتحدثت فيه عن كيفية توحيد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود لنجد تحت سلطة سياسية واحدة، ووفق نظام إسلامي واحد . وكذلك محاولتهما بسط سيطرتهما على المناطق المجاورة لنجد مثل الأحساء، والحجاز، والذي تم في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود .

وتناولت في الفصل الثالث دعوة الشيخ عثمان بن فودي، وقسمته إلى أربعة مباحث أيضا :

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن ولادته ونشأته .

المبحث الثاني : رحلاته ومؤلفاته .

المبحث الثالث : دعوته .

المبحث الرابع : جهاده .

وقد وحدت مباحث الفصلين الثاني والثالث لكي تتضح المقارنة بين الدعوتين، وما بينهما من تشابه واختلاف، وجعلته عنوانا للفصل الرابع، وقسمته إلى مبحثين :

- المبحث الأول : التشابه . وبينت فيه نقاط الالتقاء بين الدعوتين من حيث أوضاع المجتمعات والنشأة الدينية، ومبادئ الدعوتين، وما يترتب عليهما من نتائج تشابهتا فيه .

- المبحث الثاني : الاختلاف، وبينت فيه نقاط التباين بين الدعوتين من حيث المبادئ، والنتائج التي اختلفتا فيها . وتناولت في هذا المبحث أيضا مسألة (الحج) وما له من دور كبير في انتشار الدعوات التي ظهرت على مدى التاريخ الإسلامى، وكذلك ما للحج من دور في وجود الافتراضات في الدراسات التاريخية، حيث إن بعض المؤرخين، وبخاصة المستشرقين يعتقدون أن أى داعية إسلامي لا بد له أن يؤدى فريضة الحج، فنسوا أو تناسوا أن الحج لم يفرض إلا على من استطاع إليه سبيلا .

وبالتالي أوصلهم هذا الافتراض إلى نتيجة خاطئة وهي تأثر هذا الداعية الذي ظهر في مجتمع بعيد عن مكة المكرمة ولم يستطع تأدية فريضة الحج، بمصلح آخر استطاع أن يؤدي فريضة الحج، وأن ينشر تعاليمه بين الحجاج .

وقد تناولت مسألة الحج في هذا البحث، لا لأنها محل خلاف

بين الشيخين، ولكن لأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد أدى فريضة الحج، بينما الشيخ عثمان بن فودي قد توفي قبل أن يؤدي هذه الفريضة.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مصادر أولية لكلا الدعوتين، تمثلت بمؤلفات الشيخين، ومؤلفات من كتب عنهما من المعاصرين لهما، سواء كانوا من المؤيدين أم من المعارضين، كما استفدت أيضاً من المراجع الحديثة باللغتين العربية والأجنبية.

ونظراً لأن مؤلفات الشيخين، ومؤلفات المعاصرين لها، تمثل الحيز الأكبر من مصادر هذا البحث، فإن الحديث عنها بالوصف والتعريف، سيأخذ حيزاً كبيراً من البحث، لذا سأكتفي بالحديث عن أهم المصادر التي استفدت منها كثيراً في هذا البحث، وهي تنقسم إلى قسمين:

الأول ـ مصادر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

١ – الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب:

لقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بجمع هذه الرسائل وطبعها في كتاب واحدحمل نفس هذا العنوان، وذلك بمناسبة أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي أقامته الجامعة في مدينة الرياض سنة ١٣٩٨ هـ، وبلغت عدد الرسائل فيه إحدى وخمسين رسالة، كان الشيخ قد بعثها إلى العلماء والحكام في نجد وخارجها، وكان من بينها رسالة أرسلها إلى أهل المغرب يبين لهم فيها عقيدته وحقيقة دعوته، ورد فيها ما ألصق به من التهم.

وفي الحقيقة فإن هذا الكتاب لا يستغني عنه أي باحث عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث تناولت هذه الرسائل الموضوعات التالية:

١- عقيدة الشيخ وبيان حقيقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم .
٢- بيان أنواع التوحيد .
٣- بيان معنى لا إله إلا الله وما يناقضها من الشرك في العبادة .
٤- بيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله ، والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة .
٥- توجيهات عامة للمسلمين في الاعتقاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢- " تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام " لحسين بن غنام المعاصر للشيخ محمد بن عبدالوهاب والذى كان أحد أتباعه ، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور ناصر الدين الأسد فحذف السجع من الكتاب ، وصاغه بأسلوب سهل ، وجعله فى جزأين .

وهذا الكتاب يعتبر من أهم مصادر تاريخ دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب والدولة السعودية في دورها الأول ، وكذلك الفترة التي سبقت ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فهذا الكتاب لا يستغني عنه أي باحث عن تلك الفترة .

٣- " عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان " (مخطوط) : لمؤلفه عبدالله بن صالح المطوع .

يتألف هذا المخطوط من (٢١٠) ورقة ، ويعالج موضوعاً تاريخياً هاما وهو : العلاقات السعودية العمانية ، ومدى أثر دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في عمان ، وكيفية وصول الدعوة إليها ، وكذلك اصطدام السعوديين ببريطانيا في الخليج العربي عن طريق القواسم وما قاموا به من دور كبير في الجهاد ضد النصارى في الخليج العربي .

ثانيا ـ مصادر دعوة الشيخ عثمان بن فودي :

١- "نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان" (مخطوط) لمؤلفه الشيخ: عثمان بن فودي يتناول هذا المخطوط عدة قضايا في أمور الدين والدنيا، وقد انتهى الشيخ عثمان من تأليفه في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ، أي أنه ألفه أثناء جهاده في بلاد الهوسا، وقد جعله في مقدمة وتسعة فصول وخاتمة، تناول فيها: بيان أن دين الله يسر، وذم المجادلة مع أحد بغير علم، وإثبات الخلافة، والإمامة، والإمارة، والولاية، والسلطنة، والملك وما يجب للملوك، وما يجب عليهم، كما ذكر فيها سبب القتال الذي وقع بينه وبين سلاطين بلاد الهوسا وأتباعهم، والقتال الذي وقع بينه وبين ملك برنو وأتباعه، وكذلك الأمور التي كفر بها سلاطين بلاد الهوسا، وحكم جهاده ضدهم، وأخذ السلطنة منهم، وحكم دعوتهم إلى الإسلام قبل قتالهم، وحكم استرقاقهم.

ولذلك فان هذا المخطوط يعتبر مصدراً هاماً لدعوة الشيخ عثمان، وجهاده في بلاد الهوسا.

٢- "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" لمؤلفه محمد بيللو بن الشيخ عثمان بن فودي، طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٥٧م، ويقع في ٢١٢ صفحة.

ويعتبر هذا الكتاب أهم مصدر عن تاريخ بلاد الهوسا بصفة خاصة، وتاريخ غربي إفريقية بصفة عامة، وقد تناول فيه المؤلف التركيب السكاني في بلاد الهوسا وما جاورها، وكذلك حدود بلاد التكرور، وأسماء المدن فيها، وأخبار الملوك والعلماء قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي، كما تحدث فيه أيضا عن حياة الشيخ عثمان بن فودي ودعوته، وكذلك جهاده ضد سلاطين بلاد الهوسا، والوثنيين فيها وفيما جاورها. ويعتبر هذا الكتاب المصدر الأول لتاريخ دعوة الشيخ عثمان

ابن فودي وجهاده، ويمكن أن نعرف مدى قيمة هذا الكتاب من هذا النص الذي نقتبسه من مقدمة الكتاب، يقول محمد بيللو: " بقيت النفس تتشوق إلى تاريخ ما وقع في هذا الزمان الخير خصوصا مع إضافة ما وقع قبل في هذا القطر من العجائب والغرائب وأخبار الملوك والعلماء وما ينخرط في ذلك من ذكر النوادر في هذا القطر مما يستعذب به الفهم والعقل ويستلذ عند سماعه الأسماع في النقل فجعلت أقدم رجلاً وأوخر أخرى علماً منى بأنه لم يستصبح أحد قبلي في هذا الظلام فأقتبس من سراجه في هذا المرام مع ما أنا بصدده من الأشغال وضيق الزمان مع تحمل الأثقال ثم بدا لي بعد الاستخارة أن أرمي في هذا المرمى بسهم لعل الله أن ينفعني به ولمن وقف عليه من المسلمين . . . " وسميته بإنفاق الميسور في تاريخ التكرور". ص (٢).

وأخيراً أقدم جزيل شكرى وتقديرى لكل من ساهم في إخراج هذا البحث بهذه الصورة.

والله ولي التوفيق،،

إعداد

محمد بن على بن محمد السكاكر

كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

الفصل الأول

أوضاع المجتمعات الإسلامية في نجد وبلاد الهوسا قبيل قيام الدعوتين

وفيه مبحثان

المبحث الأول : البيئة الجغرافية .

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية .

المبحث الأول

البيئة الجغرافية

للبيئة الجغرافية أهمية كبيرة للإحاطة بأحوال الشعوب، ذلك أن التضاريس والمناخ يعتبران من أهم العوامل المؤثرة تأثيراً مباشراً أو غير مباشر في حياة الإنسان ونشاطه وتطوره ولهذا فإن البيئة الجغرافية تحدد طبيعة المشكلات الحياتية التي يواجهها الإنسان، وتختلف مواجهة تلك المشكلات من بيئة إلى أخرى، فالبيئة الصحراوية أو شبه الصحراوية التي نشأت فيها حركتا الشيخين: محمد بن عبدالوهاب، وعثمان بن فودي، تتشابهان، فكيف أثرت البيئتان على مواجهة مشكلات المجتمع فيهما؟ وكيف أسهمت البيئتان في تحديد مسار الحركتين بعد نشوئهما، وتحولهما من طوري الدعوة والجهاد الى طور الدولة؟

ولهذا لابد من إلقاء نظرة على البيئتين قبل الحديث عنهما، لنتعرف على تأثيرهما على حركتي الشيخين، محمد بن عبدالوهاب، وعثمان بن فودي.

البيئة الجغرافية في نجد:

الموقع:

يختلف تعريف نجد عند الجغرافيين العرب اختلافاً بيّناً ربما يعكس اختلاف الحدود الإدارية لنجد في مختلف العصور الإسلامية ولهذا فإن التعريف هو: اصطلاحي يختلف من فترة إلى أخرى. وبالنسبة لدراستنا هذه فإن نجداً نعني بها: مهد حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والدولة التي نشأت نتيجة لها. فـ«نجدٌ» هنا تعني الإقليم الذي يقع بين خطي عرض ٢٠ و ٢٨ شمالاً، مابين النفود الكبير شمالاً، والربع

الخالي جنوباً، ومن أقليم الهضاب الغربية غرباً، الى صحراء الدهناء شرقاً بطول (٦٥٠) كم تقريباً، فهي بذلك تشمل الأجزاء الوسطى من شبه الجزيرة العربية [١].

السطح:

تتكون تضاريس نجد من أحواض منحوتة تملؤها رواسب رملية، ومن كتل جبلية ناتئة من صخور صلبة قوية، وقد مزقت الوديان الجافة والأخوار السطح في بعض المساحات، فنشأت صور تضاريسية في شكل ممزق، فصارت الهضبة على شكل مجموعة من الهضاب، كما تمزقت بعض الحافات الصخرية، ونشأت بعض التلال الصخرية الناتئة والمتناثرة على امتداد مساحة كبيرة من السطح.

وتتكون هضبة نجد من قسمين رئيسين:

القسم الغربي:

وهو الجزء من الدرع العربي القديم، ويبدأ من أقليم الهضاب الغربية، ويمتد شرقاً حتى الحافات الصخرية الواقعة غربي نفود السر، ونفود الدحى الواقعة في وسط شبه الجزيرة العربية، وقد قطعت الأنهار في العصر الجيولوجي هذا الجزء، وحولته إلى هضاب منفصلة[٢].

القسم الشرقي:

ويبدأ من جبل ساق، ومن صفراء السر، وجبال خف، ونفود الدحى غرباً، إلى الدهناء شرقاً، ونظراً لتفاوت صلابة الصخور في هذا القسم، فقد تغير فيه شكل السطح، فكونت الصخور الأكثر صلابة

(١) صلاح الدين علي الشامي وفؤاد محمد الصقار، جغرافية الوطن العربي الكبير،

(٢) منشأة المعارفي.

الحافات الجبلية على شكل أقواس ممتدة من الشمال إلى الجنوب، واتجاه تقوسها الى الغرب، كما كونت الصخور الأقل صلابة الأرض المنخفضة بين هذه الحافات المرتفعة، والتي مليء بعضها بالرمال.

ويتخلل هضبة نجد عدد من الأودية الجافة التي تقوم عليها حياة الزراعة، نظراً لقرب الماء من سطح الأرض، ومن أهم هذه الأودية:

١ ـ وادي الرمة الذي يبدأ من السفوح الشرقية لجبال منطقة المدينة المنورة، وسفوح الحرات المجاورة لها، ويتجه نحو الشرق، ويستقبل أكثر من ٣٠٠ رافد تغذية بالمياه وقت سقوط الأمطار، وتنتهي معالم هذا الوادي تحت رمال نفود الثويرات شرقي القصيم، ويقع على هذا الوادي كثير من المدن والقرى والواحات، ومن أهمها في منطقة القصيم: بريدة ـ عنيزة ـ الرس ـ البكيرية ـ البدايع ـ الخبرا ـ رياض الخبرا ـ النبهانية . . . وغيرها[١].

٢ ـ وادي حنيفة: ويبلغ طوله نحو ٢٠٠ كيلومتر ويتجه بشكل عام من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مابين حافة طويق الوسطى في الغرب، وهضبة العرمة: وجبل الهيت في الشرق، ويستقبل هذا الوادي كثيراً من الأودية والشعاب التي تغذيه بالمياه وقت سقوط الأمطار، وتقع على هذا الوادي وروافده كثير من المدن والقرى، من أهمها: الرياض ـ العيينة ـ الدرعية ـ الجبيلة ـ الحائر ـ قرى الخرج؛ لأن الوادي ينتهي في منخفض الخرج «منطقة السيح»[٢].

---

(١) عبدالرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، جـ (١)، ص.ص (٩١ ـ ٩٢).

(٢) المرجع نفسه، ص (٩٢).

المناخ :

ومناخ نجد صحراوي حار صيفاً، بارد شتاء، والحرارة فيها تتغير بين الليل والنهار، وبين الصيف والشتاء، ففي فصل الصيف ترتفع الحرارة، وتتزايد إلى درجة يصبح معها الصيف شديد القيظ، وتسجل درجات عظمى عالية تزيد أحياناً عن ٤٥° درجة مئوية، ومع اشتداد الحرارة نهاراً فإنها تتدنى ليلاً إلى ٢٠° درجة مئوية فيعتدل الجو ليلاً[١]. وتنخفض درجات الحرارة في الشتاء فتصل في بعض لياليه إلى ١° أو ٢° مئوية كنهاية صغرى، وربما تنخفض إلى الصفر المئوي في بعض الأحيان[٢].

أما من حيث المطر، فإن ارتفاع نجد الذي قد يصل في بعض الجهات إلى ١٧٠٠م، بالإضافة إلى حركة الرياح الشتوية، فإن قدرا ضئيلاً من المطر يصيب نجدا، ولهذا قامت حياة زراعية في واحاتها، ونشأت حياة رعوية في كثير من جنباتها[٣].

وقد أثرت هذه البيئة الجغرافية في طباع السكان، وتفاوتت الطباع وفقا لنمط الحياة، وإنك لتجد البدو قد تكيفوا مع بيئتهم الصحراوية، فصاروا خشنين قساة الطباع، ميالين إلى القتال والحروب. بينما نجد الحضر الذين عاشوا في المدن والقرى قد أكسبهم الاستقرار التحلي

(١) يسرى عبدالرزاق الجوهري، العالم الإسلامي في آسيا وافريقية، ط بدون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص (٣٤).

(٢) صلاح الدين الشامي، وفؤاد محمد الصقار، المرجع السابق، ص (٢٤٠).

(٣) محمد سعودي، الوطن العربي، دراسة لملامح الجغرافية، ط بدون، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص (٢٥٩).

بشيء من اللين والرحمة، خاصة في وقت السلم. وكمثال على ذلك فقد حل ببلدة (ملهم) في سنة ١٠٤٥هـ وباء وقحط شديد أجبر أهل البلدة على الخروج منها، فقصدوا (العيينة) ونزلوا بها حتى تتحسن أوضاعهم[١].

كما أن موقع نجد ووعورة تضاريسها قد جعلها مجهولة نوعاً ما للعالم الخارجي، فهي قليلة العطاء الاقتصادى، كما أنها وعرة المسالك، منعزلة عن المناطق الساحلية، والأماكن المقدسة بالحافات الرملية والصخرية [٢]. ولذلك حافظ سكانها في الغالب على سلالتهم البشرية، فلم يختلطوا مع الأجناس الأخرى، كما هو الحال بالنسبة للحجاز حيث يوجد الحرمان الشريفان[٣].

وكذلك فإن تضاريس نجد ومناخها، قد أثرا في استقرار السكان، حيث فقدت نجد بعض سكانها تدريجياً، عن طريق الهجرات التي قاموا بها بحثاً عن أماكن تكون مناسبة للعيش فيها.

---

(١) عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ (٢)، ط (٤)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص (٣٢١).

(٢) محمد محمود الصياد، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م، ص (١١٠).

(٣) عبدالله الصالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر ١٩٧٧م، ص (١٤).

بيئة بلاد الهوسا [١] الجغرافية :

الموقع :

بلاد الهوسا تعبير يطلق على مناطق تتسع أو تضيق حسب تعريفات المؤرخين والجغرافيين، ولكن في هذه الدراسة نعني بها تلك المنطقة التي انطلقت منها حركة الشيخ عثمان بن فودي، أو توسعت فيها، وبهذا نستطيع تعريفها بأنها : تلك المنطقة التي تقع بين خطي عرض ١٠ و ١٤ شمالا، ويحدها من الشمال بلاد آهير والصحراء الكبرى، ومن الجنوب منطقة الغابات، ومن الشرق (برنو)، ومن الغرب نهر النيجر [٢].

وقد كان لموقعها المتوسط من غرب إفريقية أثره الواضح في كونها مركزاً لالتقاء تأثيرات شتى متباينة، جاءتها من مختلف جهاتها، فوصلتها تأثيرات شرق إفريقية عن طريق الدعاة والتجار القادمين من مصر، كما وصلتها تأثيرات شمالي إفريقية عن طريق الصحراء، ومن جهة الغرب وصلتها تأثيرات الممالك الإسلامية التي قامت هناك مثل : (مالي وصنغي) [٣].

---

(١) تتكون بلاد الهوسا من سبع ممالك أصلية يطلق عليها: (هوسا باكواي)، أي ممالك الهوسا السبع، وهي: غوبر، زكزك (زاريا)، دورا، كانوا، كاشنه (كاتسينا)، جاران جابا (بيرام)، رانو.
وهناك سبع ممالك فرعية يطلق عليها: (بانزا باكواي) أي الممالك السبع الفرعية، وهي: زنفرا، كب، ياور، نفي أو نوب أو نوبي، يرب أو إيلورين، برغ ، غرم.
انظر: حسن عيسى عبدالظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ط بدون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص . ص (١٣٤،١٣٢).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٣١)، ويسري الجوهري، إفريقية الإسلامية، ط بدون، دار المعارف مصر، ١٩٨٠م، ص (٣٣٤).

(٣) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (١٣٦).

التضاريس :

تمثل بلاد الهوسا هضبة متموجة السطح يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتتكون من سهول وتلال وأودية وأنهار، وتعتبر هضبة (جوس) في الطرف الجنوبي الشرقي من أعلى الهضاب في غرب إفريقية، إذ يصل ارتفاعها إلى ٢٠٠٠م فوق سطح البحر، وتنحدر هذه الهضبة نحو الشمال إلى السهول العليا للهوسا، وهضبة (باوتشي) التي يتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ متر مكونة من طبقات أفقية من الحجر الرملي، يليها من الشمال سهول تمثل مظهرا متناسقا من صكت إلى بحيرة تشاد(١).

ونهر النيجر الذي يخترق أرض الهوسا من جهة الغرب يعتبر من أهم الأنهار في إفريقية، فهو ثالث أنهارها من حيث الطول حيث يزيد طوله على ٤١٠٠ كيلو متر، وينبع من مرتفعات (فوتاجالون)، ويجري في المنطقة المدارية، ويمر بأرض الهوسا، ويصب في المحيط الأطلسي عند خليج غانة(٢).

ومن المعروف أن للأنهار أثرا حضارياً كبيراً في توجيه الشعوب وتوحيد حركتها، وإنشاء حضاراتها حول هذه الأنهار، ونهر النيجر كغيره من الأنهار، قامت حوله دول وممالك منذ أقدم العصور، ولعل أبرزها ممالك (غانة ومالي وصنغي) وقد لعبت هذه الممالك دورا كبيرا في نشر الإسلام في غرب إفريقية، فنشأ عنها قيام حضارات إسلامية في

(١) محمد عبدالغني سعودي، إفريقية دراسة شخصية الأقاليم، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية بدون تاريخ، ص (١٨٥)، وفتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقية، ط بدون، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م، ص (٢٢١).

(٢) المرجع نفسه، ص (٢٢٣).

هذه الأراضي المجاورة للنهر من جهتيه الشرقية والغربية، بما في ذلك بلاد الهوسا التي دخل إليها الإسلام في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[1].

المناخ:

تقع بلاد الهوسا ضمن إقليم مناخ السودان المدارى الذي يتميز بوجود فصلين من المناخ، فصل جاف طويل، وفصل ممطر قصير، ويمتد الفصل الجاف مدة ثمانية أشهر من نوفمبر حتى يونية، أما الفصل الممطر فيشمل الأشهر الأربعة الباقية من يوليه حتى أكتوبر، ويبلغ قمته في شهري أغسطس وسبتمبر، لذلك فالأمطار تنزل صيفاً[2].

إذاً فمناخها يتميز بفصل شتاء جاف طويل، تخضع فيه لعوامل الرياح الشمالية الشرقية، والشمالية القادمة من الصحراء المسماة (الهارمتان)، وهي رياح شديدة الجفاف، كثيرة الأتربة، تؤدي إلى ندرة ظهور السماء الزرقاء، والهواء النقي[3]، كما يتميز بفصل صيف قصير ممطر تتعرض فيه الصحراء لحرارة الشمس الزائدة فيحل فيها الضغط المنخفض تدريجياً محل المرتفع، ولذلك يجرى اجتذاب الرياح الرطبة

(١) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط (٣)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م، ص (١١٦).

(٢) محمد السيد غلاب، البلدان الإسلامية في قارة إفريقية، بحث ضمن المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، صفر ١٣٩٩هـ/ يناير ١٩٧٩م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ص (٥٠٦ - ٥٠٧)، ويسرى عبدالرزاق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، ط بدون، منشأة المعارف، الإسكندرية بدون تاريخ، ص (٥٤٠)، ومحمد عبدالغني سعودي، إفريقية دراسة شخصية الأقاليم، ص (١٨٦).

(٣) محمد رياض، وكوثر عبد الرسول، إفريقيا دراسة لمقومات القارة، ط (٢)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣م، ص (٤٥٨)، وأحمد نجم الدين فليجة، إفريقية دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية، ط بدون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٧٨م، ص (٣٥٢).

الدافئة من خليج غينيا التى تشكل رياحاً موسمية تحمل الأمطار، فتنزل على البلاد، وتصل إلى معدل ٥٠٠ م، مما يساعد على تلطيف حرارة الجو لفترة تصل إلى أربعة أشهر[١].

وتعتبر الأعشاب المدارية الطويلة أكثر أصناف النبات الطبيعي شيوعا فيها، وتوجد بمفردها أحيانا، ولكن تتخللها في الغالب أشجار متفرقة، وفي بعض الأماكن تزيد نسبة الأشجار على الأعشاب فتمثل الغابات المدارية الجافة، ولكنها قليلة الكثافة بصفة عامة، وفي الجهات الشمالية لبلاد الهوسا توجد نطاق من الأعشاب القصيرة، يطلق عليها اسم (السهوب المدارية)، كما توجد بمحاذاة ضفاف نهر النيجر وروافده أشرطة من الأشجار المتقاربة المعروفة باسم (غابات الرواق)[٢].

وهكذا تفاعل الموقع مع التضاريس والمناخ، فتوافد إلى هذا الإقليم شعوب من مختلف الأجناس، أخذوا يعيشون على هذه الأرض، فكونوا لهم حضارة، كانت اللغة هي العامل المشترك بينهم، حيث تعاونوا في تكوين حضارة مشتركة على أساس اللغة التي أخذوا يتفاهمون بها فيما بينهم حتى غلبت على الأرض التي سكنوها، فصارت هذه الأجناس تعرف بشعوب (الهوسا)، وأرضهم تعرف ببلاد (الهوسا).

كما توافد إليها بعض الشعوب التي ظلت تحافظ على لغتها مثل :

---

(١) أنور عبدالغني العقاد، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، ط بدون، دار المريخ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص (٢٧١).

(٢) جيز هـ. ويلر وآخرون، جغرافية العالم الإقليمية، جـ (٢)، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ص (٢٤٨)، ترجمة: محمد حامد الطائي وآخرون، راجع الترجمة، حسن طه النجم.

قبائل الفولاني الذين أخذوا يفدون إليها ابتداء من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[1]، فاكتسبوا لغة الهوسا من السكان الأصليين، ولكنهم في نفس الوقت حافظوا على لغتهم الفولانية إلى جانب اللغة العربية التي بدأوا ينشرونها بين هذه الشعوب عن طريق الدعوة إلى الإسلام في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حيث قامت حركة جهادية إسلامية بقيادة الشيخ عثمان بن محمد بن فودي ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م - ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م، وكانت بداية الحركة في الشمال الغربي لبلاد الهوسا حسب تعريفنا، وهي أقل مياهاً وأكثر جفافاً من المنطقة التي توسعت فيها، والتي تميزت بخصوبة أرضها.

---

(١) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص (١١٨).

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية في نجد وبلاد الهوسا قبيل قيام الدعوتين

لا ريب أن التطورات السياسية، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، والحياة الدينية، تعتبر عناصر متداخلة متشابكة مؤثرة بعضها في بعض، فالمناخ السياسي الذي يسود أي منطقة يؤثر على ضروب الحياة الاقتصادية، والمناشط الاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم تأتي الحياة الدينية التي تمثل محور الحياة لجميع الأمم فتشكل أنماط الفكر الذي يبرر الواقع المعاشي، أو يثبته، أو ينقلب عليه مغيراً مبدلاً، وفي الحالة الأخيرة لا يمكن أن نفهم حركات التغيير الإسلامي في نجد، أو في بلاد الهوسا، إلا على ضوء ما كان سائدا من أوضاع.

أولا: في نجد:

الأوضاع السياسية:

عندما استولت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، انضمت الحجاز رسمياً إلى السيادة العثمانية، حيث بادر شريف مكة أبو نمي بإرسال مفاتيح الديار المقدسة إلى السلطان سليم معلناً الطاعة والولاء له[١]. وفي عهد السلطان سليمان القانوني استولت الدولة العثمانية على اليمن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م[٢]. ثم استولت على الأحساء سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٢م[٣].

---

(١) قدوري قلعجي، الخليج العربي، ط بدون، دار الكاتب العربي، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص (٣٧٢).

(٢) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط بدون،، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص (١٠١).

(٣) محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ط (٢)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مكتبة المعارف بالرياض، ومكتبة الأحساء الأهلية، ص (١٢١).

أما نجد فقد ظلت محافظة على استقلالها، ولكنها بقيت مجزأة بالقبلية التي كانت تعصف باستقرارها نتيجة للحروب بين قبائلها، ولهذا لم تجد الدولة العثمانية ما يغريها للتوسع في نجد، مع أن نجداً أصبحت محاطة بالأراضي التي تحت نفوذ العثمانيين من كل جهة تقريبا. لذلك لم يكن من المتوقع أن يدخل العثمانيون تدخلاً مباشراً في نجد، وإنما المتوقع تدخل القائمين بالأمر في المناطق المجاورة ولا سيما الأحساء. والغريب في الأمر أن التدخل لم يأت من الأحساء، وإنما جاء من قبل أشراف الحجاز، إما للحصول على غنائم، أو لجباية الضرائب السنوية[1].

بدأت حملات الأشراف على نجد ابتداء من عهد الشريف حسن بن أبي نمي[2] الذي سار بجيش قوامه خمسون ألفاً، ووصل إلى إقليم العارض فحاصر بلدة (معكال) قرب الرياض سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، "وطال مقامه فيها وقتل فيها رجالا، ونهب أموالا، وأسر أناسا من رؤسائهم، وأقاموا في حبسه سنة، ثم أطلقهم على أنهم يعطونه كل سنة ما يرضيه[3]". ثم أعاد الكرة على نجد بعد ذلك بثلاث سنوات، فوصل

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط (٢)، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧٦م، ص (٢٦). عبدالله الصالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة الدارة، العدد (٤)، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٩٥هـ/ ديسمبر ١٩٧٥م، ص (٦٩).

(٢) هو الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات، ولد سنة ٩٣٢هـ، وتوفي سنة ١٠١٠هـ، تولى شرافة مكة سنة ٩٩٢هـ. انظر: أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه السلام إلى وقتنا هذا بالتمام، ط (١)، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٥هـ، ص.ص (٥٥، ٥٦، ٦١).

(٣) ابن بشر، المصدر السابق، جـ ٢، ص (٣٠٤).

إلى الخرج، والسلمية، واليمامة . . . وغيرها[1]. وقد استمرت تدخلاتهم في نجد، ولكنها على فترات متباعدة، ولم تضعف حتى تمكن بنو خالد من إجلاء العثمانيين عن الأحساء سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م على يد براك بن غرير[2]، الذي بدأ يتدخل في شؤون نجد وينافس الأشراف فيها[3]، فقد هاجم سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م قبيلة الظفير في التلال الواقعة جنوب غربي القصيم، وفي طريق عودته إلى الأحساء هجم على آل نبهان في واحة سدوس[4]، ثم أعاد الكرة على نجد في سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م فأغار على آل عساف قرب الدرعية[5]، ومضى بنو خالد يغزون نجدا، ويحاولون مدّ نفوذهم على أجزاء منها، مزاحمين بذلك نفوذ أشراف مكة[6].

وعلى أية حال فإن محاولات الأشراف للتدخل في شؤون نجد، ومن بعدهم محاولات بني خالد، لم تفلح في بسط سيطرة كل من الأشراف وبني خالد، ولم يستطيعا أن يحدثا أي نوع من الاستقرار السياسي فيها، فالحروب بين البلدان النجدية استمرت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة لم يتوقف، أو تخف حدته[7].

---

(١) نفسه.

(٢) هو: براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد، تولى رئاسة بني خالد وطرد العثمانيين من الأحساء، فتولى رئاسة الأحساء إلى أن توفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م. انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ(٢)، ص.ص (٢٣١، ٢٣٦).

(٣) بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ (١)، ط (٢)، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤م، ص (٩٥).

(٤) عبدالله فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ط بدون، المكتبة الأهلية، بيروت بدون تاريخ، ص.ص (٢٢، ٢٣)، ترجمة عمر الديراوي.

(٥) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (٢)، ص (٢٣٤)، وعبدالله فيلبي، المرجع السابق، ص (٢٣).

(٦) عبدالله العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الأولى، ص (٦٩).

(٧) نفسه.

وإذا كانت محاولات الأشراف وبني خالد لم تفلح في بسط السيطرة التامة على نجد، فإن أيًا من زعماء البلدان النجدية أيضاً لم يفلح في توحيد بلدانها تحت سيادتها، بحيث يدير شؤونها ويصرف أحوالها، ففي كل بلدة منها أمير مستقل، وهو على عداء مع أمير البلدة المجاورة له، وكانت الحروب مستمرة بينهم، وكلما شعر أحد الأمراء بضعف الأمير الآخر، قام بحملة عسكرية ضده، لينهب ما عنده من الخيرات، ثم لا يلبث أن يعيد عليه الكرة إذا ضعفت قوته، وهكذا الحال في سائر البلدان النجدية حاضرها وباديها، فكانت بذلك أشبه ما تكون بحالتها في الجاهلية[1]. ومن الأمثلة على تلك الحروب ما دار بين العيينة وحريملاء من قتال بدأ عام ١٠٩٠هـ/ ١٦٨٤م، واستمر لمدة ثلاثة وعشرين عاما[2].

أما الزعامة في البلدان النجدية فقد كانت لدى الحاضرة لشيوخ الأسر ذوى المنزلة والمكانة، وتكون بطريقة وراثية أحياناً، وأحياناً أخرى لا يوصل إليها إلا عن طريق القوة والاغتيال[3]. أما لدى البادية فكانت على حسب الإمكانيات الشخصية للفرد التي تؤهله للزعامة، مثل الكرم والشجاعة وسداد الرأي[4].

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٢٤)، جوهان لود فيج بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ط (١)، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ترجمة عبدالله بن صالح العثيمين، ص (١٣). أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط بدون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص.ص (١٧، ١٨).

(٢) محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري، تاريخ ابن ربيعة، ط بدون، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، ص (٧٢).

(٣) عبدالله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ط(١)، مطابع دار الهلال للأوفست، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص (١٥).

(٤) مؤلف مجهول، لمع الشهاب في مسيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط بدون، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، بدون تاريخ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ص (٢٩).

ونتيجة لاختلاف طريقة الوصول إلى الرئاسة لدى الحاضرة عنها لدى البادية، فإن علاقة الحضري بأميره تختلف عن علاقة البدوي بأميره، ذلك أن الخوف من الثأر عند أمراء البلدان الذين وصلوا إلى الإمارة بالقوة أو الاغتيال يؤدي إلى اتخاذ إجراءات تعسفية أحياناً، كما أن قلة المصادر الاقتصادية لدى بعض الأمراء تحتم على الأمير القيام بإجراءات اقتصادية جائرة في نظر الكثير من سكان إمارته، وبما أن الحضري لا يستطيع ترك بلدته في أكثر الأحيان لأن ثروته فيها غير قابلة للنقل، كالسكن، والمتجر، والمزرعة، لذلك كان عليه أن يصبر على بعض الجور الذي يلاقيه من أميره. أما رئيس القبيلة فكان يحرص على أن تظل الثقة به موجودة لدى أتباعه لأنه لم يصل إلى الرئاسة إلا عن طريق شخصيته القيادية، وكذلك فإن البدوي إذا أحس بالجور من قبل رئيسه، فإنه يسهل عليه أن يرحل، لأن حياته حياة تنقل وترحال، كما أنه سيجد ترحيباً من رئيس القبيلة الأخرى التي سيرحل إليها[1].

مما سبق يتضح أن نجدا قبيل قيام حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانت مجزأة سياسيا، مضطربة أمنيا، ولم تتوفر عوامل لبروز قيادة داخلية موحدة لها، كما لم يتيسر ضمها لوحدة إسلامية أكبر في الجزيرة، أو من خارج الجزيرة، وذلك لأن الدولة العثمانية وقتئذ كانت تمر بأسوأ حالات ضعفها، مما أغرى بها دول أوربا النصرانية التي بدأت تشن عليها الغارات، والتي توالت في مقبل السنوات حتى غدت الدولة العثمانية رجل أوربا المريض[2].

(١) عبدالله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص - ص (١٥، ١٦).

(٢) عبدالله القصيمي، الثورة الوهابية، ط (١)، المطبعة الرحمانية، مصر ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م، ص ص (٦٩، ٧٠).

ولا ريب أن هذا التفكك السياسي قد أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية تاثيراً مباشراً. فما مدى هذا التأثير؟

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

كانت نجد في الفترة التي سبقت ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب منطقة تكاد تكون منعزلة عن بقية مناطق شبه الجزيرة العربية، حيث لم تر الدولة العثمانية فائدة اقتصادية، أو سياسية، أو عسكرية من ضمها إلى ممتلكاتها. هذا بالإضافة إلى أن نجداً كانت بعيدة عن المناطق الساحلية، والأماكن المقدسة، والتي غالبا ما تكون مكاناً مناسباً للامتزاج السكاني[1].

لذلك حافظ أهل نجد غالباً على نقاء دمهم العربي، وعلى عاداتهم وتقاليدهم عصوراً طويلة[2].

ولكن مع كونها منطقة منعزلة، إلا أنها كانت موطناً مناسباً للفرار إليها عند الظروف القاهرة التي ربما تعيشها فئة من الناس خارجها، كما أن موقعها على طرق الحج القادمة من المشرق قد أدى إلى أن بعض من يأتي إلى الحج يطيب له المقام فيها، فيستقر، ويزاول فيها بعض الأعمال التجارية، والحرف المختلفة، هذا إضافة إلى من يفد إليها عن طريق الرق[3].

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ص (١٢).

(٢) حافظ وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ط (١)، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص (٢٢).

(٣) عبدالله الصالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ص (١٣).

وهذا التمازج البشري المحدود لم يجعل عزلة نجد عزلة تامة عن العالم الذي حولها، وفي نفس الوقت كانت عزلة محدودة الأثر، لم تغير النظرة الاجتماعية السائدة فيها. وانتماء الشخص أو الأسرة إلى إحدى القبائل العربية الأصيلة كان من الأمور التي تحدد المكانة للفرد أو الأسرة في مجتمعه، فمثلا لا يتزوج الرجل إلا من عربية أصيلة مثله، ولا يزوج ابنته إلا لعربي أصيل مثلها. كما أن العربي في نجد كان يستنكف عن مزاولة الأعمال المهنية، كالحدادة، والنجارة، والقصابة، والصياغة . . . ونحوها[1].

والمجتمع في نجد ينقسم إلى قسمين: بدو، وحضر، ولكل قسم منهما طريقته الخاصة في معيشته، ومسكنه، وطباعه.

فالبدو يمثلون أغلبية السكان، ويفضلون حياة الارتحال الدائم مع أسرهم وأنعامهم في البوادي والهضاب، فينصبون خيامهم حيث يجدون الأعشاب لرعي أغنامهم وإبلهم، ثم لا يلبثون أن يتركوا هذا المكان، ويذهبوا إلى غيره بحثا عن المرعى[2].

أما طباعهم، فإنهم بحكم بيئتهم القاسية كانوا خشنين، قساة الطباع، وكانت حياتهم الخشنة هذه سبباً في تقاتل قبائلهم من أجل المرعى والماء، فكل قبيلة تغير على من جاورها، فتضطر المهزومة للهجرة إلى أرض جديدة[3].

أما الحضر فهم غالبا ما يستقرون قرب موارد المياه التي تنمي

(١) المرجع السابق، ص (١٤).

(٢) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط بدون، دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ص (١٥).

(٣) نفس المرجع، ص (١٦).

مواردهم الاقتصادية عن طريق الزراعة، فيسكنون إلى جانب الأودية والواحات، ويبنون بيوتهم فيها، ويباشرون عملهم الزراعي بغرس الأشجار والنخيل والزروع، وأحيانا ينشئون المدن على الطرق التجارية، ولكنهم مع ذلك لا يستغنون عن الزراعة لأنها تمدهم بالقوت اليومي الذي لا يمكن الاستغناء عنه[١].

وقد اعتاد أهل كل بلدة أن يحيطوها بسور كبير مبني من الطين، لحمايتها من الغارات الخارجية عليها، وكان سور بريدة الذى بناه حجيلان بن حمد ١١٧٩ - ١٢٣٤هـ/ ١٧٦٤-١٨١٧م يمشي البعير فوق رأس الجدار، ويفرغ حمولته من الطين، فيخلط الرجال الطين في مكانه[٢].

أما طباعهم فهي تختلف من بلدة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر فأحيانا يتصفون بالشدة والقسوة، فتشن بعض البلدان الحروب والهجمات المباغتة على جاراتها، وأحياناً يتصفون باللين والرحمة، فيعطفون على من أضرت بهم العوامل المناخية، ويأذنون لهم بأن يحلوا في بلدتهم إلى أن تتحسن أوضاعهم[٣].

وهناك مرحلة انتقالية يمر بها البدو الذين يفدون إلى الحواضر، ويألفون حياة الاستقرار، والتي غالبا ما تحدث أيام القحط الشديد، حيث يفد البدو إلى الحواضر لإنقاذ حياتهم من الهلاك، كما حدث في

---

(١) عبدالله العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ص (١٤).

(٢) إبراهيم بن عبدالعزيز المعارك، بريدة ماض مجيد، وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق، ط الأولى، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٧هـ، ص (٤٧).

(٣) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (٢)، ص (٣٢١).

سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م فقد "عم المحل والغلاء والقحط من الشام إلى اليمن في البادية والحاضرة، وماتت الأغنام وكل بعير (يشال) عليه الرحل، وهثل أكثر البوادي في البلدان"[1]، فإذا تحسن الوضع بنزول المطر ونبات الكلأ غادر أغلب هؤلاء البدو البلدان، ولكن منهم من كانت تطيب له حياة الاستقرار فيبقى مستقراً، ولكنه مع ذلك يعيش حياة لا هي بدوية صرفة ولا هي حضرية بحتة، نتيجة استقرارهم مع ممارستهم للرعي أحيانا وللزراعة أحياناً أخرى[2].

أما العلاقة بين البدوي والحضري، فلا توجد في الغالب ألفة بينهما، فأهل الحضر لا يألفون البدو، كما أن أهل البادية يحتقرون الحضر، ذلك أن الحضري لا يرى في البدوي تلك المكانة الاجتماعية التي يراها في مجتمعه من التحضر والرقي، بل يرى فيه التغطرس والهمجية.

أما البدوي فإنه لا يرى في الحضري تلك الشجاعة التي يراها في نفسه، فهو فارس الصحراء، وهو المتكيف مع طبيعتها التي غالبا ما تكون جافة في أغلب فصول السنة، لذلك فهو يحتقر الحضري، وغالباً ما يصفه بقوله "حضيري" تصغيراً لشأنه[3].

وهناك عدة مشكلات يعاني منها سكان البادية والحاضرة:

١- انتشار الأمراض التي قد تحدث في نجد، ومن ذلك ما حدث في سدير من الوباء سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، وفي بلاد ثرمدا والقصب ورغبة والبير والعودة سنة ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م، وفي العارض سنة

---

(١) المصدر نفسه، جـ (٢)، ص (٣٦٥).

(٢) محمد سعودي، الوطن العربي "دراسة للامحه الجغرافية، ص (٢٦٤).

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص (١٧).

١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، وفي العيينة سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م[١].

٢- الهجمات التي تتعرض لها بعض البلدان، فقد تؤدي في بعض الأحيان إلى طرد سكان هذه البلدة، والاستيلاء عليها من قبل هؤلاء الغزاة، ومن ذلك ما حدث في سنة ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م فقد استولى آل حنيحن محمد وعبدالله على بلد (البير) . . . أخذوه من العرينات فعمروه وغرسوه"[٢].

٣- المشكلات التي قد تحدث بين العشيرتين في بلدة واحدة، والتى ربما ينتج عنها جلاء إحدى هاتين العشيرتين من البلدة، ومن ذلك ما حدث بين عشيرتي (آل وهبة) و (آل وائل)، فقد كانتا تسكنان بلدة أشيقر، وفي فصل الربيع تتقاسمان الخروج للمرعى، فيوماً تخرج (آل وهبة) للمرعى، ويبقى (آل وائل) في البلدة يسقون الزروع والنخيل، وفي اليوم الثاني يتبادلان الموقف، ولكن الأمر لم يستمر على هذه الحالة، فقد خاف (آل وهبة) من ازدياد عدد آل وائل، فقرروا طردهم من البلدة، على أن يحملوا معهم ما خف حمله، وأن يوكلوا عنهم من يتولى بيع أملاكهم التي في البلدة، ثم يعود وفد منهم لاستلام مستحقاتهم بعد أن يجدوا مأوى لهم[٣].

٤- كثرة الأمطار والسيول والرياح والعواصف، والتي غالباً ما تؤدي إلى هدم المنازل، وإغراق المزارع، وإعدام النخيل، ومن ذلك ما حدث في سنة ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م حيث " طاح قصر رغبة، وطاح

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ ٢، ص. ص (٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (٣٠٦).

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ط بدون، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، بدون تاريخ، ص. ص (٢٨ - ٣٠).

نخل البير من ريح شديدة ودق البرد زرع ملهم »[١].

٥- انتشار القحط لانقطاع الأمطار لفترة طويلة، وما ينتج عنه من هجرة القبائل إلى بلدان نجد وإلى غيرها من البلدان الخارجية، ومن ذلك ما حدث سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م عندما عم القحط والغلاء كل مناطق الجزيرة العربية، فهاجر كثير من أهل نجد إلى الأحساء والبصرة والعراق، كما أدى هذا القحط إلى هلاك مواشي أهل البادية، ووصف حالة نجد في هذه السنة والتي بعدها شاعر من أهل سدير بقوله:

غدا الناس أثلاثاً فثلث شريد يلاوى صليب البين عار وجائع

وثلث إلى بطن الثرى دفن ميت وثلث إلى الأرياف جال وناجع[٢]

أما المقومات الاقتصادية لحياة كل من البدو والحضر في نجد، فإن البدو يعتمدون على الثروة الحيوانية ومنتجاتها من اللبن، واللحم، والصوف، والجلود، وعلى ما يغنمونه من الحروب التي يشنها بعضهم على بعض، وعلى ما يستولون عليه من القوافل التجارية. ولكن الثروة الحيوانية تمثل لهم المصدر الاقتصادى الأول، وبخاصة وقت نزول الأمطار، حيث ينبت الربيع، وتنتشر المراعي، فتنمو ثروتهم الحيوانية، ويزداد إنتاجها من الحليب ومشتقاته، ومن اللحم . . . وغيرها. أما إذا تأخر نزول المطر، وحل القحط والجوع، فإن ذلك يسبب لهم كوارث اقتصادية ضخمة وليس أمامهم الا أحد خيارين: إما أن يشنوا الحروب على غيرهم، وإما أن يهاجروا إلى مناطق ربما تكون أحسن من

(١) محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري، المصدر السابق، ص (٨٤).

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (٢)، ص . ص (٣٦٥، ٣٦٦).

منطقتهم، أو إلى المدن وهو الغالب[1].

كان اعتراض القوافل التجارية والاستيلاء عليها يمثل لهم مورداً اقتصادياً إلا أن ذلك كان في حدود ضيقة، ونادراً ما يحدث، وذلك لأن القوافل غالباً ما تأخذ احتياطاتها اللازمة للحيلولة دون تعرضها لهجماتهم، فتصحب معها ممثلين لجميع القبائل التي تتوقع أن تمر من قربهم، وأحياناً قد تمر القافلة على قبيلة ليس لها ممثل معها، فتكون بذلك عرضة لنهبها والاستيلاء عليها[2]، وأحياناً يستفيدون من هذه القوافل وبخاصة قوافل الحج حيث تستأجر منهم بعض الإبل لنقلهم، كما أنهم يعطون رؤساء هذه القبائل هدايا اتقاء لشرهم وخطر الهجوم عليهم، هذا إضافة إلى ما يشترونه منهم من الأغنام والدهن ونحوهما[3].

أما التجارة فهي: على نطاق ضيق، وتتمثل ببيع الحيوانات ومشتقاتها من السمن والصوف، حيث يفدون إلى المدن، فيبيعون ما معهم منها، ويشترون بثمنها ما يكفي حاجتهم من الأطعمة واللباس والسلاح[4].

أما الحضر فإنهم يعتمدون على الزراعة والتجارة، والزراعة تعتبر أهم مقوماتهم الاقتصادية، وكانت تتمثل بغرس الأشجار والنخيل، وكذلك الزروع مثل القمح والشعير، ولكن النخيل تمثل أهم موارد

---

(١) المصدر السابق، جـ (٢)، ص . ص (٣٣٢، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٤).

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى، المصدر السابق، ص (٧٤).

(٣) عبدالله العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ص (٢٥).

(٤) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص (١٩٢).

الحضر الاقتصادية ذلك أنهم يستفيدون منها من عدة وجوه، فهم يأكلون ثمرها، ويسقفون بيوتهم من عسبانها، ويستخدمون كل جزء منها في غرض من أغراض حياتهم اليومية، إضافة إلى أنها لا تحتاج إلى خدمة كبيرة، أو عناية فائقة، فحياتها مقرونة بوصول الماء إليها، أما ثمرتها فبالإضافة إلى كونها تنتج كميات كبيرة، فهي تمر بمراحل ثلاث:

التلقيح، ثم التركيب، ثم قطف الثمر، وهذه المراحل لا تكلف المزارع جهداً كبيراً، فقد يستأجر من يقوم بهذا العمل مقابل جزء من ثمرتها، أو مقدار من المال، لذلك فربحه مضمون[1].

أما الأشجار، فتوجد في نجد:

١- أشجار مثمرة ليست لها جدوى اقتصادية مثل أشجار الفواكه.

٢- أشجار غير مثمرة ولها جدوى اقتصادية، مثل الأثل.

ومع أن الزراعة تعتبر أهم المقومات الاقتصادية، إلا أنها لا تخلو من بعض الصعوبات والمشكلات التي عانى منها أغلب المزارعين في ذلك الوقت ومنها: -

١- صعوبة استخراج الماء من الآبار، حيث يحتاج المزارع إلى عدد من الحيوانات التي تقوم بذلك، واليد العاملة التي تلاحظ تلك الحيوانات[2].

٢- تعرض الآبار لجفاف المياه فيها، كما حدث في سنة ١١٣٦هـ و١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م حيث جفت الآبار في بلاد سدير، ولم يبق في

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ص (١٧).

(٢) المرجع السابق، ص (١٨).

بلدتي العودة والعطار غير بثرين في كل منهما[1].

٣- الأمطار الغزيرة المصحوبة أحياناً بالعواصف والبرد. وقد سبق الحديث عنها[2]

٤- هجمات الجراد والدبا على المزارع، والذي غالباً ما يأكل الزروع والأشجار[3].

٥- تعرض المزارع لهجمات الأعداء ونهبها، كما حدث لأهل أشيقر عندما نهب الأعداء الذرة من مزارعهم، وذلك في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م[4].

أما التجارة فقد كانت على ثلاثة أنواع:

١- تجارة محلية بين السكان في كل بلدة.

٢- تجارة إقليمية بين البلدان النجدية، أو بين حاضرة نجد من جهة وبين باديتها من جهة أخرى.

٣- تجارة خارجية بين حاضرة نجد وباديتها وبين الأقطار الأخرى[5].

فالتجارة المحلية والإقليمية تتم بين سكان نجد وحدها، ولكن يدخل فيها ما يستورده التجار من خارج نجد، حيث تقوم كل بلدة

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٦٥).

(٢) انظر: ص ٢٩.

(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى، المصدر السابق، ص (٨٩).

(٤) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (٢)، ص. ص (٣٦٩، ٣٧٠).

(٥) عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ط (١)، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص.ص (٤٠، ٤١).

بتصدير الفائض منها إلى البلدان الأخرى، وأحياناً يذهب بعض التجار إلى البوادي ليبيعوا عليهم ما يحملونه من أطعمة وملابس وسلاح، ويشترون منهم ما يريدونه من الحيوانات والدهن والصوف.

أما التجارة الخارجية، فكانت تتمثل بتصدير الفائض من الحيوانات إلى الأقطار الأخرى، وبخاصة الإبل والخيل، كما يصدرون التمر أيضاً، ويستوردون من هذه الأقطار بعض أنواع الأطعمة مثل: السكر والهيل والبهارات، وكذلك الملابس والأواني والحديد والرصاص[1].

ويدخل في ميدان التجارة الخارجية التبادل التجاري بين قوافل الحج القادمة من شرق نجد، حيث تمر هذه القوافل ببعض بلدان نجد فتشتري ما تحتاج إليه من أطعمة، ويبيع رجالها ما يزيد عن حاجتهم إلى سكان هذه البلدة، وقد تتسبب هذه القوافل بغلاء الأسعار في البلاد التي يمرون بها[2].

وكان تعرض القوافل التجارية للنهب والسلب من قبل البدو أو الحضر من أهم المشكلات التي يعاني منها التجار في ذلك الوقت، وقد حدث لأهل العيينة سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م أن اعترض أهل البير لقافلة تحمل اللباس وهي في طريقها إلى العيينة، فاستولوا عليها[3].

ومن الملاحظ أن معظم أهل نجد ليس لديهم الرغبة في الرحلات والسفر إلى البلاد البعيدة، ولذلك صار الممارسون لحرفة التجارة الخارجية أقل من غيرهم[4].

---

(١) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص.ص (١٩٠،١٩١).

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (٢)، ص (٢٤٣).

(٣) المصدر نفسه، جـ (٢)، ص (٢٤٣).

(٤) محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، ط بدون، المطبعة السلفية، مصر ١٣٤٣هـ، ص (٤١).

ومن هذا يتضح أن الأوضاع السياسية كانت مرتبكة، والموارد الاقتصادية محدودة، والحياة الاجتماعية محافظة، فأثر ذلك في منظور الناس الديني، وتطبيقهم العملي لمعتقداتهم الدينية، ومحصولهم العلمي.

الأوضاع الدينية:

إن حياة العزلة الطبيعية، والتجزئة السياسية، لم تشجعا على ظهور عالم واحد من العلماء قبل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذين يمكن أن يقال بأن شهرتهم عمت نجداً فضلا عن تجاوزها، فلا نعرف مؤلفاً واحداً نبغ في علم من العلوم، ولا عالماً واحداً برز في فن من الفنون[١].

وهذا لا يعني أن نجدا قد خلت طوال هذه الفترة من أي عالم، كلا، بل المقصود في ذلك، أننا لم نعرف فيها عالماً واحداً لعب دوراً هاماً فيها، سواء عن طريق التأليف والكتابة، أو عن طريق الدعوة والإرشاد، فقد كان جل اهتمامهم في الفقه، أي في المسائل الفرعية الفقهية، أما العلوم الدينية الأخرى، كالتوحيد، والحديث، والتفسير فمشاركتهم فيها قليلة جداً، حتى العلوم العربية لم يهتموا منها إلا بعلم النحو في مختصرات كتبه التي يتعلمون منها ما يقوم ألسنتهم عن اللحن[٢].

وكذلك فإن التعليم كان محصوراً في فئة قليلة من الناس، إذ هو معدوم لدى البادية، وقليل جداً لدى الحاضرة، ويرجع سبب ذلك إلى انشغال الناس بالبحث عن لقمة العيش، وعدم وجود من يتولى التعليم

---

(١) عبدالله القصيمي، المرجع السابق، ص (٦٤).

(٢) عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ط(١)، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ، ص (١٧).

برعاية مالية [١].

ومع قلة العلماء الذين عرفتهم نجد، طوال هذه القرون حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فلم نعرف منهم من عمل في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فحال بين الجهال وبين ما يعتقدونه من معتقدات باطلة، وحاول أن يبين لهم أن عملهم هذا مخل بالعقيدة، ومخالف للتعاليم الإسلامية. وهذا راجع إلى تركيز هؤلاء العلماء على فن واحد من علوم الدين، وهو فروع الفقه التي تتعلق بالعبادات من تعليم الصلاة، وإخراج الزكاة، وصيام رمضان، وإقامة الحج . . . الخ، من غير نظر في أصول فقه، أو بصر بقضايا توحيد، ولهذا لم يولوا مسائل العقيدة كبير اهتمام، لذلك ظهرت في مجتمعات نجد بعض مسائل الجاهلية من بناء على القبور، والتوسل بها، وسؤالها جلب الخير ودفع الشر منها، والتقرب إلى أصحابها بالذبح لهم حتى تحقق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان»[٢].

وقد كانت المذاهب الأربعة كلها موجودة في نجد، إلا أن مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ هو المذهب الغالب في معظمها [٣].

ويرجع انتشاره في نجد إلى كونه أقرب المذاهب الأربعة إلى ظاهر نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، فصار بذلك يمثل البساطة إلى

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية ص. ص (١٧، ١٨).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، مؤلفاته، القسم الخامس، الرسائل الشخصية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بدون تاريخ، ص (١١٣).

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، المرجع السابق، جـ (١)، ص (١٨).

حد ما، والبساطة من الأمور المحببة لدى الفرد النجدي[1]. لذلك فهم يجيدون مذهب الإمام أحمد إجادة تامة ويعنون به عناية فائقة، حيث يدرسون كتبه دراسة إمعان ويبحثونها بحث تحقيق وتدقيق[2].

وقد كان لتركيز علماء نجد على علم الفقه الدور الكبير في انتشار القضاء الشرعي في نجد للفصل في الخصومات، وحققت في هذا المجال الاكتفاء الذاتي، ذلك أن أكثر البلدان النجدية كان لها قضاتها[3]، وكان القضاء الشرعي خاصا بالحاضرة من أهل نجد، أما البادية فمرجعهم في الخصومات إلى العرف فقط[4].

أما في مجال العقيدة فقد أدخل فيها الجهلة من ضعفاء الإيمان ـ في مختلف البلدان الإسلامية ـ أموراً لا تتفق مع التعاليم الإسلامية، فقدسوا الرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء والصالحين وغيرهم، كما قدسوا الأشجار والأحجار، وتشبهوا بالنصارى وبعض الطقوس الدينية الأكثر بدائية[5]. فانتشرت البدع والخرافات في العالم الإسلامي إلى حد يصعب معه تمييزها عن الوثنية[6].

وإذا كان هذا وضع العالم الإسلامي بصفة عامة، فإن نجدا هي

---

(١) عبدالله بن صالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص (١٨).

(٢) عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، المرجع السابق، جـ (١)، ص (١٧).

(٣) عبدالله بن صالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص (١٨).

(٤) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص (٢٩).

(٥) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط (١٠)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ص (٥٥٠) ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي.

(٦) جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ط بدون، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص (١١)، ترجمة علي حيدر الركابي.

الأخرى قد حذت حذوهم، وصارت على شاكلتهم[1].

وهناك بدع كثيرة في معتقدات النجديين وممارساتهم منها: البناء على قبور الأولياء والصالحين والتوسل بها. ومنها الاعتقاد بالأشجار والأحجار والتبرك بها والنذر لها، ومنها الاستعاذة بالجن والنذر لهم ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم، ومنها التعلق بالأولياء الأحياء والتوسل بهم والذبح لهم، ومنها الحلف بغير الله .. وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر[2].

ومن هذه القبور التي افتتن بها الجهال في نجد: قبر زيد بن الخطاب[3] في الجبيلة، وقبور بعض الصحابة التي يزعمون أنها في قريوة في الدرعية، وقبر ضرار بن الأزور[4] الذي يزعمون أنه في شعيب غبيراء، أما الأشجار التي تعلقوا بها فهي ذكر النخل (الفحل)، حيث كانت المرأة تأتي إليه وتقول: " يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول !! " وكانت هذه الفحال منتشرة في بلدة الفدا، وكذلك شجر الطرفية التي

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ (١)، ط (٢)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص (٤٣٦).

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ص.ص (٣٣، ٣٤)، سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، ط بدون، مطبعة المنار بمصر ١٣٤٠هـ، ص (٥).

(٣) هو: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، صحابي جليل من شجعان العرب في الجاهلية والإسلام، أسلم في مكة قبل الهجرة، وشهد المشاهد كلها، ثم كانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة، فثبت إلى أن استشهد، وكان ذلك سنة ١٢هـ/٦٣٣م.
انظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الثالث، ص (٥٨).

(٤) هو: ضرار بن مالك (الأزور) ابن أوس بن خزيمة الأسدي: أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، قاتل يوم اليمامة أشد قتال حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل والخيل تطأه، ومات بعد أيام في اليمامة سنة ١١هـ/ ٦٣٢م.
انظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الثالث، ص.ص (٢١٥، ٢١٦).

تعلق عليها النساء الخرق، وذلك إذا ولدت المرأة ذكراً لعله يسلم من الموت. كما كان هناك في أسفل الدرعية غار يسمونه مغارة بنت الأمير يرسلون إليه اللحم والخبز ويبعثون إليه بصنوف الهدايا. أما الأولياء الذين تعلقوا بهم فمنهم رجل اسمه "تاج" من أهل الخرج، زعموا أنه أعمى وأنه يأتي من الخرج إلى الدرعية من غير قائد، وكذلك أبو حديدة، وعثمان الذى في الوادى، وكذلك شمسان .. وغيرهم من شياطين الأنس[1].

هذه هي حال أهل الحاضرة من نجد، أما أهل البادية فكانوا أشد جهلاً من الحاضرة، فقد كانوا ينكرون البعث، وكانوا يصفون القرآن الكريم بأنه كتاب الحضر، وكانوا يمنعون المرأة من الميراث، وبالجملة كانوا مسلمين بالاسم فقط، غير مبالين بأركان الإسلام وفروضه[2].

والجدير ذكره أن بعض هذه البدع والخرافات التي دخلت على عقائد النجديين قد وصفها الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنها شرك أكبر، بل أنها أعظم من شرك أهل الجاهلية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شركهم في الرخاء، أما في الشدة فإنهم كانوا يخلصون العبادة لله تعالى، قال تعالى: **﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى**

---

(١) حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأنهار لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام، جـ (١)، ط (٢)، شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض ١٤٠٣هـ، ص. ص (١١ -١٣)، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، وعبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط (١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ص (٢١- ٢٣).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، المصدر السابق، ص (١٥٢).

﴿الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾[1]. أما أهل نجد قبيل قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته فإن شركهم كان في الرخاء والشدة معاً[2].

والحقيقة أن الأوضاع الدينية في نجد كانت بحاجة ماسة إلى من يقوم بتنقيتها مما شابها من أمور الجاهلية، فكان أن بعث الله سبحانه وتعالى رجلاً من أهلها جعل له الفضل بعده في الرجوع بأهل نجد إلى الإسلام الصحيح، ذلك هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي الذي كرس جهده ووقته في نصح الناس وتوجيههم ودعوتهم إلى الدين الإسلامي الخالص من شوائب الشرك، وحمل السلاح في وجه من خالفه من أهلها بمساندة الأمير محمد بن سعود[3] أمير الدرعية في ذلك الوقت.

ثانياً: في بلاد الهوسا:

الأوضاع السياسية:

لم تعمل القبائل التي استطاعت أن تقيم دولاً في غرب إفريقية على فرض لغاتها، وعاداتها، وتقاليدها على الشعوب التي غلبتها، ولهذا لم تقم في غرب إفريقية وحدة شاملة، ولا استمرار لدولة غالبة،

---

(١) الإسراء: آية ٦٧.

(٢) محمد بن عبدالوهاب، المصدر السابق، ص (١٥٢).

(٣) هو: محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، وهو مؤسس الدولة السعودية في دورها الأول، ولد في الدرعية سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م، وتولى إمارة الدرعية سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م، وهو الذي تبنى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وآمن بها، واحتضن صاحبها، وحماه. وفي عهده امتد نفوذ الدعوة حتى وصل إلى كل من سدير، والوشم، والمحمل، والشعيب، والحاير، إضافة إلى بلدان العارض ـ باستثناء الرياض، وقد ظل وفياً للدعوة مخلصاً لها، ويجاهد في سبيل نشرها حتى توفي بالدرعية سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.
انظر: عبدالله بن محمد بن خميس، الدرعية العاصمة الأولى، ط (١)، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ص (١٦١-١٧٤).

وإنما كان تاريخ الإقليم كله تجزئة سياسية متصلة الحلقات، وفي بعض الأحيان تظهر بارقة أمل مع دولة تحاول أن تبسط سلطانها على أجزاء كبيرة من منطقة غرب إفريقية، ولكن تلك البارقة لا تلبث أن تزول من هذا القبيل، ما حاولته دولة غانة، ومالي، وأخيرا دولة صنغي التي ازدهرت في الفترة التي نهتم بالنظر فيها، تمهيداً لدراستنا هذه وكانت قوة هذه الدولة أعظم ما كانت في فترة حكم الآسكيا محمد بن أبي بكر الطوري (٩٠٠هـ/ ١٤٩٣م - ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م)، الذي بسط سيطرته على أوسع نطاق في غرب إفريقية سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، حيث اكتسحت امبراطوريته أقاليم غانة، ومالي، والتكرور، وبلاد الهوسا. فصارت مملكته تصل إلى بلاد الموسي في الجنوب، والهوسا في الجنوب الشرقي، وتلامس الصحراء في الشمال، وتنتهي عند حدود درجة ١٠ شمالا في الشرق وفي الغرب[١].

ومن عوامل قوة هذا الملك التي ساعدته على تكوين هذه الدولة المتسعة الأطراف: أنه عمل بكل جهده على إحداث عوامل الوحدة والوئام بين الشعوب والقبائل التي يحكمها، والتي تختلف في عاداتها، وتقاليدها، ولغاتها. ولما توفي لم تجد دولته من يتابع عملية تطورها، فعادت إلى صورتها القبلية كما كانت قبله، فسارت البلاد من ضعف إلى أضعف إلى أن سقطت سنة ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م، على يد المغاربة في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي[٢].

وبعد سقوط هذه الدولة، قامت الثورات في البلاد، فأخذ الفولاني، والبمبارا، والطوارق ينهبون، ويسلبون، ويخربون، حتى أن

---

(١) عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، ط بدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص (٣٩).

(٢) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص.ص (١١٢، ١١٣).

الجيش المغربي الذي غزا هذه البلاد، لم يستطع السيطرة إلا على (جاو)، وتمبكتو، وجنّي، فاستخدمها كقواعد عسكرية للإغارة منها على ما يليها. في الوقت الذي بدأ فيه الأوربيون ينزلون على سواحل إفريقية الغربية، ويطمعون في مناجم الذهب[١].

أما إذا نظرنا إلى التطورات السياسية في بلاد الهوسا، فقد كانت التجزئة السياسية فيها راسخة، وفشلت محاولات آسكيا الحاج محمد للسيطرة عليها، وضمها إلى مملكته المترامية الأطراف، كما أن بلاد الهوسا كانت منطقة نزاع بين الدولتين الكبيرتين (صنغي، وبرنو) مما ضاعف الاضطراب السياسي، وما رافقه من اختلال الأمن وترسيخ الانقسام والتشتت. وكل ذلك يحصل في بلاد الهوسا على الرغم من أن أهلها جميعاً كانوا متحدي اللغة، ومتشابهي العادات، والتقاليد، والنظام السياسي، فقد كانت تتألف من عدة ممالك صغيرة متناحرة متنافرة، ولم تقم رابطة بينهم، أو حتى مجرد بادرة للوحدة، إلا عندما قامت حركة الشيخ عثمان بن فودي، فاستنجد ملك غوبر بملوك الهوسا ضد الشيخ عثمان[٢].

والسمة البارزة في الحياة السياسية لدى ولايات الهوسا هي: الحروب المستمرة بينها، حيث إن كل دويلة حال قوتها تحاول ضم الدويلات المجاورة لسلطانها، فلا تلبث أن تضعف بواسطة الحروب، في الوقت الذي تقوى فيه دويلة أخرى، تفكر في التوسع، لتجعل

(١) المرجع نفسه، ص (١١٣).

(٢) محمد بيللو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ط بدون، شركة لوزاك، لندن ١٩٥٧م، ص (٣٢).

الدويلات الأخرى تحت سيطرتها[١].

وهكذا عاشت هذه الدويلات فترة طويلة من الزمن في صراع مستمر، أدى إلى ضعفها، كما جعلها هدفاً للتدخلات الخارجية من شعب البرنو في الشرق، الذي غزا بلاد الهوسا، واحتل إمارات كشنة (كاتسينا)، وزكزك (زاريا)، وكانو في سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[٢].

وتعتبر دويلة (كَب) أقوى الدويلات في بلاد الهوسا الغربية ابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس عشر حتى العقد الأول من القرن الثامن عشر، فكانت بذلك أقوى إمارات الهوسا لفترة قرن ونصف استطاعت خلاله أن تفرض سلطانها على معظم بلاد الهوسا[٣]. على أنها طوال هذه الفترة لم تسلم من الثورات التي قامت ضدها، والتي أدت في النهاية إلى ضعفها، ومن ثم سقوطها على يد سلاطين غوبر، وآهير، وزنفرا في بداية القرن الثامن عشر، واقتسام بلادها فيما بينها[٤].

وبعد ضعف دويلة (كَب) أخذت دويلة (زنفرا) تشق طريقها لترث سلطانها بالقوة فى أوائل القرن الثامن عشر، فصارت أقوى دويلات الهوسا حتى منتصف ذلك القرن، لكن أصابها ما أصاب غيرها من الوهن والضعف، فضعفت شوكتها، وصارت فريسة سهلة لهجوم

(١) Kani, A. M., The political and Social basis of the Sokoto Jihad, Seminar papers of the Department of History, Ahmadu Bello University, Zaria 1980/1981 Session, pll.

(٢) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص (١١٧).

(٣) Kani, Op. Cit. p 8.

(٤) آدم عبدالله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م، ص (٧٨).

الغوبريين عليها سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م[1].

ومن منتصف القرن الثامن عشر حتى بداية القرن التاسع عشر كانت (غوبر) أقوى دويلات الهوسا، فقد قامت بفتوحات واسعة اجتاحت أراضي زبرما، وغرما، وكانو، وكشنة (كاتسينا)، وزنفرا . . . وغيرها، وامتد نفوذها إلى يوربا في الجنوب حتى أصبح اسمها علماً على بلاد الهوسا كلها[2].

وعند قيام جهاد الشيخ عثمان بن فودي في بداية القرن التاسع عشر، كان الموقف السياسي في بلاد الهوسا يتمثل في الآتي:

١- كانت غوبر في أقصى قوة لها في الشمال الغربي.

٢- كانت برنو السيد غير المنازع في الجنوب الشرقي.

٣- كانت مملكة نيب لا تزال مستقلة، ولكن الحروب الأهلية قد أضعفتها.

٤- كانت زكزك (زاريا)، وكشنة (كاتسينا) مستقلين اسمياً ولكنهما تحت وصاية برنو[3].

ومن هذا العرض للأوضاع السياسية في بلاد الهوسا قبيل حركة الشيخ عثمان بن فودي، تتجلى حقيقة واضحة وهي: أن التمزق

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (١٤٤)، وآدم عبدالله الألوري، المرجع السابق، ص (٧٦).

(٢) آدم عبدالله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص (٨٣).

(٣) زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨م، ص (٢٩٠).

السياسي أدى إلى اضطراب وفوضى عظيمين أثرا على مصالح الناس، واضطرب حبل الأمن، فلم يعد أحد آمن على نفسه، ولا ماله، ولا عرضه، ولا ريب أن مثل هذا الوضع قد ترك أثراً بالغاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الهوسا وقتئذ.

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

لقد أدى تعدد الأجناس البشرية في غرب إفريقية، إلى تغير نظمها الاجتماعية، فكانت النظرة القبلية لدى المجتمعات المتحضرة أقل منها لدى المجتمعات البدوية، وذلك لأن المجتمعات البدوية حافظت على عزلتها من المؤثرات الخارجية، وبالتالي حافظت على عاداتها وتقاليدها، بينما أدى اختلاط الشعوب، وتنوع الثقافات في المجتمعات المتحضرة إلى تغير عاداتها وتقاليدها تبعاً لتطورها الحضاري.

ومع أن القبائل في غرب إفريقية قد حاولت أن تحافظ على بقاء عنصرها، باتخاذ الوشم على الجباه والخدود والأيدي، وذلك لِيُمَيِّزَ أفراد القبيلة، فيدافع بعضهم عن بعض، حتى لايقعوا في الأسر فيصبحوا أرقاء[1] إلا أن ظروف الحياة الاقتصادية المعقدة ألجأت كثيراً من أبناء القبائل المختلفة للعمل في المدن، فاختلطت القبائل بعضها ببعض في الحواضر الكبرى[2].

(١) آدم عبدالله الألوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ط (١)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص (٩٦).

(٢) محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية الأرض والناس، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص (٨٤).

وكمثال على ذلك: فقد تزاوج الفولانيون مع الهوسا عبر القرون، حتى أوشكت جماعات الفولانى أن تذوب في الهوسا[1] ومثال آخر: يمكن ملاحظته في قبائل الهوسا التي تنتمي إلى أخلاط من قبائل شتى تمازجت عبر العصور، ولكنها توحدت تحت ظل لغة واحدة، منها اكتسبت اسمها[2].

ويمكننا أن نقسم المجتمع في بلاد الهوسا إلى قسمين: -

القسم الأول: الحضر الذين يسكنون في المدن والقرى.

القسم الثاني: البدو الذين ليس لهم سكن معين، وإنما يتنقلون طلباً للماء والكلأ، وهم قلة.

أما الحضر سكان المدن فقد كانوا يحيطون مدنهم بأسوار لحمايتها من الغزو، حيث كان يحيط بكل مدينة من مدن الهوسا سور كبير مبني باللبن، وخندق متسع يجري فيه الماء للدفاع عنها[3].

والخلية الأساسية للحياة الاجتماعية عندهم هي القرية، حيث يعيشون وفق نظام جماعي يحكمهم كبير الأسر[4]. وهذا النظام يختلف من مجتمع إلى آخر حسب العقيدة التي يدين بها ذلك المجتمع، فالمجتمعات الإسلامية يتكيف نظامها الاجتماعي إلى حد كبير مع تعاليم

---

(١) محمد عبدالفتاح إبراهيم، لوحات حية من إفريقية المعاصرة، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م، ص (١٩٩).

(٢) شيخو أحمد سعيد بلادنث، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط بدون، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص (٤١).

(٣) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص (١١٦).

(٤) أحمد سويلم العمرى، الإفريقيون والعرب، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م، ص (١٦).

الثقافة الإسلامية وإن كان يشوبه بعض البدع والعادات الوثنية[١] والمجتمعات الوثنية أيضا لها نظامها الاجتماعي الخاص بها وبفلاحيها وذكرياتهم ومعتقداتهم[٢].

وكان من عادة الناس في بلاد الهوسا أنهم كانوا لا يهتمون كثيراً بمن يحكمهم طالما يسمح لهم بزراعة حقولهم في أمان، ويسمح لهم أيضا بممارسة أية حرفة يرغبونها، لذلك طوروا نظامهم الاجتماعي بإدارة شؤونهم بأنفسهم[٣].

وهناك بعض المشكلات الاجتماعية التي عانى منها السكان، سواء ما كان منها يرجع إلى علاقات هذه المجتمعات مع غيرها، أو علاقاتها مع الحاكم. فأما علاقاتها مع غيرها فقد كانت في معظم الأحيان تعيش على محاربة بعضها بعضاً، فيتغلب القوى على الضعيف فيستعبده، ويستخدمه في أي حرفة يشتغل بها، أو يبيعه في أسواق الرقيق قربت أم بعدت[٤]. وبناء على ذلك فإن كل قبيلة ترى غيرها من القبائل عبيداً لها، فيستهينون بهم، وهذه العادة متأصلة بهم، ولا تهدأ إلا بحكم ضرورة التحالف التجاري في بعض فترات السلم[٥].

وهكذا أدى فقدان الوحدة السياسية إلى مضاعفة مشكلة الأمن والأمان مما ساعد على انتشار ظاهرة الاسترقاق بالقوة.

---

(١) زاهر رياض، المرجع السابق، ص (٢٨٨).

(٢) أحمد سويلم العمري، المرجع السابق ص (٢٠).

(٣) عبدالله عبدالرازق إبراهيم، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص (١٩٥).

(٤) آدم عبدالله الألوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ص (٩٦).

(٥) المرجع نفسه، ص (٩٧).

ومن حيث علاقة المجتمع بالحاكم، فقد كانت تمر في بعض الأحيان بنوع من ظلم الحاكم لأفراد مجتمعه، وذلك بفرض الضرائب غير القانونية على التجار وأصحاب المهن، وكذلك على العمد والمشايخ في الريف، وعلى من يريد أن يتزوج، بل إنها فرضت أحياناً على رجال الفكر في الدولة(١).

أما القسم الثاني من السكان فهم البدو، وهؤلاء البدو ينقسمون إلى قسمين قلة وهم الذين يسكنون الصحراء في المنطقة الشمالية، وخاصة الشمالية الغربية من بلاد الهوسا، وأكثرية، وهم الذين يتنقلون في المناطق الزراعية، وهم رعاة الأبقار وغالبيتهم من الفولانيين. والبدو من القسمين تختلف عاداتهم وتقاليدهم عن الحضر، فكل قبيلة لا تختلط، ولا تتزاوج مع غيرها، ولذلك احتفظت هذه القبائل بعصبيتها، واستمر معظمها على وثنيته، ومن أسلم منها خلط عاداته وتقاليده الوثنية مع تعاليم الإسلام، نظراً لجهلهم التام به(٢).

أما عن طباعهم فقد أكسبتهم حياة البداوة صفة الشجاعة لكي يحموا أهلهم، وممتلكاتهم من الخطر الذي ربما يأتي إليهم من قبيلة أخرى، أو من عصابات تجارة الرقيق(٣).

---

(١) Kani, Op. Cit. p. 11 .

وأحمد طاهر، أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، ط بدون، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، ص (٨٢).

(٢) شيخو أحمد سعيد بلادنث، المرجع السابق، ص (٤٣).

(٣) محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ، ص (٤٣).

وبالنسبة لمشكلاتهم الاجتماعية، فهي لا تختلف عن مشكلات الحضر، فالحروب قائمة بين القبائل، وكذلك الضرائب ربما يفرضها عليهم حاكم المنطقة التي يرعون فيها ماشيتهم، والتي تعرف بضريبة الرعي [١].

وهكذا فإن الحياة الاجتماعية رسخت تقاليد في العمل الاقتصادي، وأورثت تقاليد، وأعراف، وطقوس في النواحي الدينية.

أما مقوماتهم الاقتصادية فقد شملت في الزراعة، والتجارة، والصناعة، وصيد الأسماك، وتربية الماشية.

الزراعة: لقد مارس هذه الحرفة الحضر من سكان المدن والقرى، فقد كانت هناك المزارع في القرى، كما أن بعض سكان المدن كان ينشئ إلى جانب منزله مزرعة صغيرة، عبارة عن حديقة فيها بعض الأصناف التي يحتاجها في عيشه اليومي، وقد يبيع الفائض منها في الأسواق الداخلية.

وأهم المزروعات التي كان يزرعها السكان هي: القطن والبصل والأرز واليام والكاسانا والذرة والمانيوك والطماطم والذرة الرفيعة وبعض النباتات الجذرية والمانجو والبوبو التي تنمو طبيعيا [٢].

---

(١) Kani, Op. Cit. p. II.

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، حيازة الأرض في نيجيريا في القرن التاسع عشر، ط (١)، دار العلوم، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص (٧٠) نقلاً ع:

Murdock, George peter: Africa, ITS PEOPLES, THEIR CULTURE HISTORY. NEW YORK MCGRAW _ HILL, 1959. P. 94.

وقد كانت الأرض في الغالب تمنح للمواطنين من قبل الحاكم، حيث كان يوزعها على أبناء قبيلته أو أقربائه في الأسرة، وكذلك على الموظفين حتى يكسب تأييدهم له[1].

وتتركز الزراعة أساساً في بلاد الهوسا، ويمارسها جميع السكان على مختلف أجناسهم، وبخاصة في فصل الصيف، حيث يترك التجار وأصحاب الحرف الأخرى أعمالهم، ويمارسون الزراعة، لأنها تمثل الحرفة الأساسية لهم[2].

ويستخدم السكان في حرث الأرض وزراعتها سكاكين مصنوعة محلياً مثل: الفؤوس، وهي على نوعين: كبيرة وصغيرة. فالكبيرة تستخدم في الحفر وزراعة النباتات الجذرية والحصاد، والصغيرة تستخدم في زراعة الخضروات. أما الحرث المنظم الكامل للمزرعة فلم يكن معروفاً حتى سنة ١٢٧٦هـ/ ١٨٦٠م[3].

أما السماد الذي يستخدمونه في زراعتهم، فهو إما أن يكون عن طريق الاتفاق بين المزارع وبين أحد أفراد إحدى القبائل البدوية، حيث يترك هذا البدوي ماشيته في حقل المزارع أثناء فصل الجفاف، ثم يأخذها في فصل سقوط الأمطار[4]، أو أن المزارع يقوم بإحراق الشجيرات والأعشاب ويستخدم رمادها كسماد، وذلك قبل حلول فصل سقوط الأمطار[5].

---

(١) أحمد طاهر، المرجع السابق، ص (٨٥).

(٢) دنيس بولم، الحضارات الإفريقية، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٤م، ترجمة علي شاهين، ص (١١٨)، وزاهر رياض، المرجع السابق، ص (٢٨٨).

(٣) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المرجع السابق، ص (٢٢٧).

(٤) دنيس بولم، المرجع السابق، ص (١٩٥).

(٥) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المرجع السابق، ص.ص (٢٢٦، ٢٢٧).

أما التجارة فكانت على ثلاثة أنواع : تجارة محلية بين السكان في كل بلدة من بلاد الهوسا ، وتجارة إقليمية بين مدن بلاد الهوسا وقراها . وتجارة خارجية بين بلاد الهوسا ، ومن جاورهم من الأمم والشعوب .

وكانت التجارة بأنواعها الثلاثة تمثل حجر الأساس في سياسة دويلات الهوسا السبعة ، فقد شجعت هذه الدويلات رعاياها على أن يستحوذوا على التجارة وينتفعوا بأرباحها ، على الرغم من ظروف التجزئة السياسية ، فنشأ عن ذلك نشاط الحركة التجارية في جميع بلاد الهوسا ، ووصلت شهرة بعض بلدانها إلى أكثر دول إفريقية حتى أن لغة الهوسا أصبحت معروفة في جميع الأسواق من أم درمان حتى خليج غانه[١] .

وتعتبر تجارة الرقيق من أهم الأصناف التجارية ، وقد ساهم في انتشارها ، وتوسيع نطاقها ، دخول اليهود كطرف فيها من مراكزهم في الصحراء ، بعد إجلائهم عن الأندلس[٢] . ثم دخول الأوربيين فيها بصورة مكثفة عندما نشط البرتغاليون ، ثم الهولنديون ، ثم الإنجليز[٣] ، وبقدر ما نتج عن هذه التجارة من مشكلات اقتصادية واجتماعية - لا زالت تعاني منها إفريقية حتى الوقت الحاضر - إلا أنها كانت تمثل مورداً اقتصادياً ضخماً للقبائل والبلدان التي مارست هذه التجارة ، منذ بدايتها حتى أجمعت الدول الأوروبية على تحريمها في مؤتمر برلين عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م[٤] .

---

(١) زاهر رياض، المرجع السابق، ص (٢٨٨).

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المرجع السابق، ص (٢٤٦).

(٣) محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا، ص.ص (١٣٦،١٣٧).

(٤) آدم عبدالله الألوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ص (٩٧).

ثم تأتي بعدها تجارة الذهب بين غربي إفريقية وشمالها، حيث كانت تقايض الذهب بملح الصحراء والبضائع المصنوعة في شمالي إفريقية[1]. وقد اشترك تجار الهوسا في تجارة الذهب في القرن الثامن عشر اشتراكا فعالاً، لا سيما عندما دخل الونغراما في تجارة بلاد الهوسا بعد سقوط دولة (صنغي).

وأخيراً تأتي تجارة المنتوجات الزراعية والصناعية على حد سواء، والتى حملها التجار المحليون إلى معظم البلاد الإفريقية، فأدى ذلك إلى قدوم التجار من هذه البلاد إلى بلاد الهوسا التي اشتهرت منتجاتها الصناعية، فجذبت التجار من الغرب، واكتسبت كثير من مدنها أهمية كبيرة[2].

أما الصناعة: فقد كانت صناعة بدائية تتمثل بصناعة الجلود والنسيج والأصباغ، وكذلك الفؤوس التي تستخدم في الزراعة، وتعتبر بلاد الهوسا أهم مناطق غرب إفريقية في هذه الصناعات[3].

أما الصيد فقد كان على نوعين:

صيد الحيوانات في الغابات، وهو يمثل نوعا من الغذاء لبعض القبائل في غرب إفريقية. وصيد السمك على نهر النيجر، وهو بالإضافة إلى كونه يمثل نوعاً من الغذاء، إلا أنه يدخل في ميدان نشاطهم التجاري، حيث يستبدل الناس الأسماك المملحة بحاصلات جيرانهم الزراعية[4].

---

(١) أحمد رياض، المرجع السابق، ص (٤٥).

(٢) زاهر رياض، المرجع السابق، ص (٢٨٨).

(٣) زاهر رياض، المرجع السابق، ص (٢٨٨).

(٤) محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية الأرض والناس، ص.ص (٧٩، ٨٠).

أما تربية الماشية: فكانت تمثل المصدر الاقتصادى الأول للقبائل البدوية، فقد كانت هذه القبائل في أثناء تنقلها لطلب الماء والمرعى، يحصل بينها وبين غيرها من البلدان التي تمر بها عملية التبادل التجاري، حيث تبيع بعض الحيوانات التي معها لتشتري ما تحتاجه من المأكل والملبس.

ومن أهم أنواع الماشية: الأغنام والجمال لدى الطوارق والقبائل العربية، والماعز والبقر لدى القبائل الفولانية[1].

ومن أهم المشكلات الاقتصادية في بلاد الهوسا: تجارة الرقيق، فهذه التجارة إضافة إلى مشكلاتها الاجتماعية والسياسية، وإضافة إلى مواردها الضخم لمن يتاجر بها، إلا أنها أدت إلى ضعف عنصر القوة لدى القبائل الإفريقية، وبخاصة من يشتغل منها بالزراعة، حيث إن تصدير هؤلاء الأرقاء إلى خارج إفريقية، أدى إلى نقص الأيدى العاملة في الأراضي الزراعية، وبالتالي قلة المساحة المزروعة، ويمكننا تصور هذه المشكلة، إذا علمنا أن ما بين ١٤ إلى ١٥ مليون زنجي قد نزحوا إلى القارة الأمريكية وحدها من خلال هذه التجارة، منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى مطلع القرن التاسع عشر[2].

ومنها أيضا الحروب المستمرة بين دويلات الهوسا ومن جاورهم، والتي يصحبها عادة القضاء على مزروعات البلاد المهجوم عليها، وذلك بإتلاف الحاصلات الزراعية أو نهبها أو إحراقها.

ومنها كذلك تعرض القوافل التجارية لقطاع الطرق، وبخاصة

---

(١) أحمد سويلم العمري، المرجع السابق، ص (١٦) وزاهر رياض المرجع السابق ص (٢٩٠) ومحمد عبد الفتاح إبراهيم المرجع السابق ص ص (٦٠ ـ ٦١).

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ، المرجع السابق، ص (٤٠).

تجارة شمالي إفريقية عن طريق الصحراء.

إن ظروف التجزئة السياسية، وما رافقها من اضطراب الأمن في غير المدن المسورة، نتج عنهما أوضاع اجتماعية قلقة، ومضطربة، ولا سيما في مجال عدم أمن الإنسان على حريته، على الرغم من تحصن الإنسان بقبيلته، كما أن هذه الأوضاع مجتمعة قد أثرت في دور الحياة الاقتصادية، مما جعل الناس يقيمون نوعاً من الاقتصاد الذي يفي بالاحتياج الذاتي أكثر منه للإنتاج والاستثمار، باستثناء الفعاليات التجارية لبعض أهل المدن، بتشجيع من حكام دويلات الهوسا السبع، على تفاوت بينهم في ذلك التشجيع. وتركت هذه الأوضاع أثرها في الحياة الدينية في بلاد الهوسا.

الأوضاع الدينية:

من المعلوم أن الإسلام دخل المغرب بعد أن استظل المغرب بظل الدولة الإسلامية، ولكن الإسلام دخل الصحراء وغربي إفريقية بطرق سلمية، فقد دخل الناس في الإسلام أولاً، ثم أقاموا دويلات إسلامية بعد ذلك، وكان دخول الإسلام في غرب إفريقية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، عن طريق التجار، ولا سيما تجار البربر من الخوارج الأباضية، ثم جاء بعد ذلك فترة نجد فيها دعاة متفرقين لنشر الإسلام، ونتج عن الأمرين (التجارة، والدعاة) إسلام بعض رؤساء القبائل أو ملوك بعض المدن والمناطق. وساعد إسلام رؤساء المناطق على توسيع دائرة انتشار الإسلام في غرب إفريقية، حتى أننا لنجد في القرن الخامس حركات جهادية تساوقت عبر القرون، وهدفها الأساسي هو: تجديد أمر الدين، وليس نشر الدين، وإن جاء الانتشار كنتيجة لتلك الحركات. ومن هذه الحركات حركة المرابطين، ومحاولة دنم دبلمي في

برنو، مروراً بحركة آسكيا الحاج محمد في صنغي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فدخل الإسلام بلاد الهوسا كسائر المناطق مع التجارة بشكل تدريجي، وربما كان ذلك في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إن لم يكن قبله، وشهدت محاولات تجديد قام بها بعض الملوك أو الفقهاء، كالذى حدث في ختام القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر من قبل ملوك كانوا، وكاتسينا، ومحاولات الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي[(١)(٢)].

وقد تبع انتشار الإسلام في هذه البلاد، انتشار التعليم فيها أيضا،

---

(١) الشيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان المغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط (١)، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص.ص (١٩١،١٩٢).

(٢) الشيخ المغيلي: هو محمد بن عبدالكريم بن محمد المغيلي التلمساني مفسر، فقيه، من أهل تلمسان، اشتهر بمناوأته لليهود وهدم كنائسهم في توات (بغرب تلمسان)، ورحل إلى السودان الغربي لنشر أحكام الشرع وقواعده، فزار جاو وكانوا، وكانم، وكاتسينا، وكتب عدة رسائل وجهها إلى الملوك والسلاطين، ينصحهم فيها، ويوضح لهم واجبات الأمير والمؤهلات التي تؤهله لحكم رعيته. كما اعتاد سلاطين وأمراء السودان الغربي على استشارته من وقت لآخر، فوجه إليه السلطان آسكيا محمد سلطان سنغي أسئلة عديدة تتعلق بالمشاكل التى تواجهه كحاكم مسلم يريد أن يطبق شريعة الله في مملكته. وقد أجابه الشيخ المغيلي برسالة قيمة أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية، في الموضوعات التي أثارها. فكان الشيخ المغيلي أكبر شخصية تركت أثرا لها في السودان الغربي، حتى أن كل داعية إسلامي أتى بعده نراه يعتمد على أجوبة الشيخ المغيلي للسلطان آسكيا محمد، ومن بين هؤلاء الدعاة الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. وقد توفي المغيلي في توات سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. انظر: عثمان بن محمد بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان (مخطوط)، سجل رقم (١٢١)، مظروف رقم (٣)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق. ق (٧-٩). وخير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد السادس، ص (٢١٦)، والشيخ الأمين عوض الله، المرجع السابق، ص. ص (١٨٥- ١٨٨).

فقد أصبحت ولايتي كانو، وكشنة (كاتسينا) في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، تعتبران من أهم مراكز التعليم ليس في بلاد الهوسا فحسب، بل في غربي إفريقية كلها، فقد زارهما كثير من العلماء وطلبة العلم، فدرسوا فيهما، وتزودوا منهما بالثقافة العربية الإسلامية [١].

وهكذا أخذ التعليم ينتشر في بلاد الهوسا من مكان إلى مكان فصارت هذه البلاد ابتداءً من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، من أهم مراكز التعليم في غرب إفريقية، وكانت مراكز ازدهار التعليم تكثر أو تقل من دويلة إلى دويلة، حسب الظروف السياسية، حتى أصبحت ولاية (زاريا) في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، من أهم هذه الدويلات، فوفد إليها كثير من طلاب العلم، واشتهرت بعلمي النحو واللغة [٢].

وكان من أبرز العلماء الذين ظهروا في غرب إفريقية الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني الذي زار في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي دويلتي كاتسينا، وكانوا، واتصل بحاكميها، وقام بمهمة التدريس فيهما، فأسس في كاتسينا أول مدرسة إسلامية للتعليم، وعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية فيها [٣].

---

(١) شيخو أحمد سعيد بلادنت، المرجع السابق، ص، ص (٤٧، ٤٨).

(٢) شيخو أحمد سعيد بلادنت، المرجع السابق، ص (٥١).

(٣) Gwarzo, Hassan Ibrahim, The Life and Teachings of Al-Maghili with particular referece to the Saharan jewish Community, thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic and Islamic Studies, in the=

وفي دويلة كانو وجد المغيلي بعض الطقوس الوثنية جنباً إلى جنب مع التعاليم الإسلامية، فعمل بجدية على محاربة هذه البدع، وتقويم ما انحرف من التعاليم الدينية، وأسس المعاهد والمؤسسات الإسلامية(١).

كما برز من الفولانيين علماء تولوا مهمة التدريس في معظم بلاد غرب إفريقية، حيث كانت تتوافر عندهم المعرفة والعلم، فتولى كثير منهم القضاء والتدريس في أرض مالي والسنغال(٢)، ولا سيما الونغراويين الذين حملوا معهم العلم مع تجارتهم إلى كثير من مناطق غرب إفريقية، فمن الثابت دخولهم إلى بلاد الهوسا، خاصة كانو في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على الأرجح، ومع دخولهم بدأت دراسات علم التوحيد تزدهر في كانو(٣).

ولم تسلم الثقافة الإسلامية هناك من بعض علماء السوء الذين اتخذوا من الممارسات الخاطئة عن طريق الشعوذة والدجل منهجاً للكسب المادي وكذلك العلماء الذين يدارون الملوك فيوافقونهم في أى عمل يريدونه، فأحلوا لهم أخذ الضرائب (المكوس) غير الشرعية، مع علمهم أن ذلك خطأ يجب منعه، كما أن معظم هؤلاء العلماء لا يجيدون اللغة العربية، ما عدا القليل منها، والتي اكتسبوها من العرب في المدن(٤).

=University of London, School of oriantas and African Studies, September 1972, P. P. 66 - 67.

(١) المرجع نفسه، ص (٧٠).

(٢) محمد عبد الفتاح إبراهيم، إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا، ص (١٤١).

(٣) Al- Hajj.M.A, The Meaning of the Sokoto Jihad, Studies in the History of the Sokoto Caliphate, the Sokoto Seminar papers. Published by the Department of History Ahmadu Belle University, Zaria, For the Sokoto State History Bureau, p. p.6,7.

(٤) Hiskett, M. An Islamic tradition of reform in the western Sudan from the=

ومع مر السنين ازداد عدد علماء السوء، ففشا الضعف في التعليم، حتى إذا جاء القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، تولى عملية التعليم في معظم بلاد الهوسا، أناس لا يستحقون هذا المنصب، فظهر علماء يلبسون الحق بالباطل، ويؤثرون متاع الدنيا على نعيم الآخرة، فيحكمون بالجهل وفقا للعادة والعرف فقط، ولا يعبؤون بالقرآن والحديث والإجماع، فينكرون واجبات الله ومنهياته، ويخففون للناس أمر الدين، ويعملون بأعمال الكفر وأقواله، مثل: ادعاء علم الغيب بالخط في الرمل، واختيارهم الأيام بقولهم: هذا يوم صالح، وهذا يوم قبيح، كما أنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم عندهم، ولو ترك الصلاة، والزكاة، والصوم، وخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر مثل: تكذيب البعث، وتصديق الكهان، والسجود للصنم، وعبادة بعض الكواكب، وغير ذلك[١].

أما المذهب الفقهي الغالب في بلاد الهوسا، فهو: مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، أما بقية المذاهب فتكاد تكون معدومة فيها[٢].

ويرجع انتشار المذهب المالكي في غربي إفريقية إلى تأثرها بالمغرب

=Sixteenthto the Eighteenth Century, Bull, Sch. Ori. Afr. Stud. Xxv, 1962, P.P 580 - 581.

(١) عثمان بن فودي، وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء والموالات وزيادة البيان على ذلك (مخطوط)، سجل رقم (٨)، مظروف رقم (٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، الورقات (٧، ٨، ١١، ١٣، ١٦، ١٧).

(٢) عثمان بن فودي، إرشاد الأمة إلى تيسير الملة (مخطوط)، سجل رقم (٨)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا بجامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٧).

العربي، حيث دخل الإسلام إليها عن طريقه، كما عمل العلماء المسلمون الذين تولوا القضاء في بلاد غرب إفريقية على نشر مذهب الإمام مالك والحكم بموجبه في جميع القضايا[1].

وقد انتشر القضاء الشرعي في الممالك الإسلامية بغربي إفريقية منذ أن دخل الإسلام إليها، وكان القضاة فيها يعينهم الملك، وكانوا يحكمون في الخلافات العقارية، وفي الأحوال الشخصية في الشؤون المتعلقة بالإرث والديون والقروض والتجارة[2]. كما كان القاضي يتولى بالإضافة إلى هذا الإشراف على مراقبة شؤون المدينة الأخلاقية، والإشراف على أموال اليتامى حتى يرشدوا، وكذلك الغرباء الذين يموتون حتى يحضر وكيلهم أو وريثهم الشرعي[3].

وقد استمر انتشار القضاء في غربي إفريقية مدة طويلة، ثم بدأ الضعف يدب فيه منذ أن خضع لنظام الوراثة، فإذا مات القاضي تولى ابنه الأكبر القضاء مكانه، سواء أكان يستحق هذا المنصب أم لا، فصار القضاة بذلك يحكمون على جهل، ويتبعون الهوى، ويأخذون الرشوة[4].

ومما تجب ملاحظته أنه عندما غلب على الفكر الإسلامي في المغرب طابع التصوف، انتشرت طرقه، وبخاصة القادرية والتيجانية،

---

(١) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص (٩٩).

(٢) عبدالقادر زبادية، المرجع السابق، ص.ص (٧٤، ٧٥).

(٣) عبدالقادر زبادية، المرجع السابق، ص.ص (٧٥،٧٦).

(٤) عثمان بن فودي بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية طبع على نفقة الحاج علي دوسا بدون تاريخ ص.ص (٢٧، ٢٨)

وكانت تعاليمها تدرس فيها بشكل واسع حتى أدت في النهاية إلى تسيدها على التعاليم الإسلامية في كل بلاد غربي إفريقية إلى وقتنا الحاضر[١]. وقد دخلت إلى المنطقة كجزء من التغلغل العام لثقافة شمال إفريقية[٢].

أما في مجال العقيدة وأركان الإسلام، فإن الناس في بلاد غربي إفريقية قبيل قيام دعوة الشيخ عثمان كانوا على ثلاثة أقسام:

الأول: المسلمون، وهم الذين يعملون أعمال الإسلام ولا يظهر منهم شيء من أعمال أهل الكفر، ولا يسمع منهم شيء مما يناقض أحكام الإسلام.

الثاني: المخلطون، وهم الذين يعملون أعمال الإسلام ومع ذلك يظهر منهم بعض الأعمال التي توجب كفرهم، مثل: إنكار البعث وغيره، وهؤلاء كفار بالارتداد عن دين الإسلام.

الثالث: الكفار، وهم الذين لم يشموا رائحة الإسلام ولم يدعوه[٣].

أما الذين يخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر فهم معظم ملوك بلاد غربي إفريقية وجنودهم، فقد كانوا يدعون الإسلام، ولكنهم مع

---

(١) فيج، جي، دي، تاريخ غرب إفريقيا، ط(١)، دار المعارف، مصر ١٩٨٢م، ترجمة السيد يوسف نصر، ص (٢٨٧).

(٢) Hiskett, op. Cit. P. 582 .

(٣) عثمان بن فودي، نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان (مخطوط)، مجموعة صكت، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفدرالية، ق (٦٥)، وعبدالله بن فودي، ضياء السلطان وغيره من الإخوان، (مخطوط)، مجموعة صكت، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (٢)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق.ق (٣٤، ٣٥)، ومحمد بيللو، المصدر السابق، ص (٣٢).

ذلك " يعظمـون بعض الأمـاكن وبعض الأشـجـار والأحـجـار بالذبح والصـدقة عندها ويستعينون بالكهنة والسحرة " [1]. وقد حكم عليهم الشيخ عثمان بالكفر، لأنهم دخلوا بابا من أبواب الشرك[2].

ومن البـدع التي انتشرت في غربي إفريقيـة بين الذين يخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر :

١- تعظيم بعض الأمـاكن وبعض الأشـجـار والأحـجـار بالذبح لهـا والصدقة عندها [3].

٢- الا ستعانة بالكهنة والسحرة الذين يشتغلون بتحصيل المغيبات بالقرعة وغيرها [4].

٣- الاعتقاد بالأيام بقولهم هذا يوم صالح وهذا يوم قبيح[5].

٤- الحلف بالنبي والكعبة والولي ونحوها [6].

٥- اتباع علم الكلام، حيث كان هناك بعض الطلبة الذين يتعلمون كتب علم الكلام، حتى حلف بعضهم بقوله : " والله ما أظلت السماء

---

(١) عثمان بن فودي، نجم الاخوان، ق (٦٥).

(٢) نفسه.

(٣) المصدر السابق، ق (٦٥).

(٤) عثمان بن فودي، اتباع السنة وترك البدعة (مخطوط)، مجموعة كنستيل، مجلد رقم (٤)، مظروف رقم (٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق. ق (٣٢٧، ٣٢٨).

(٥) عثمان بن فودي، نور الألباب (مخطوط)، مجموعة متحف جس، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفدرالية، ق (٩).

(٦) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (٢٢).

اليوم من على الحق غيره»[1].

٦- إيثار صلوات مبتدعة وتفضيلها على صلاة الفرض مثل صلاة أول خميس من رجب، وليلة نصف من شعبان، وليلة سبع وعشرين من رجب، ووداع رمضان وصلاة يوم الأسبوع، وعاشوراء، وصلاة القبر، وصلاة الوالدين، وصلاة كل يوم وليلة[2]. ومنها كذلك عدم قضاء الفوائت اعتماداً على أن النوافل تسد مسد الفرائض[3].

٧- استيلاء كبير الورثة على تركة الميت وتصرفه فيها كيف شاء مدة حياته، وكذلك أخذ العرفاء تركة الميت[4].

٨- اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق العامة وفي الطرقات، وعند الختان ووليمة النكاح والعقيقة والصدقة للميت مع ما يصطحب هذا الاختلاط من الرقص والغناء[5].

٩- الزنا وشرب الخمر، وقتل النفس، وبيع الحر[6].

---

(١) عثمان بن فودي،إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط في أصول الدين الذي هو = أصل النجاة يوم الدين (مخطوط)، مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٦)، مظروف رقم (١٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٣١).

(٢) عثمان بن فودي، اتباع السنة وترك البدعة، ق (٣٢٨).

(٣) عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، ط (٢)، المكتبة الإفريقية، للطبع والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص (١٠٣).

(٤) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (٢٨).

(٥) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق.ق (١٦، ١٧).

(٦) عثمان بن فودي، شفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل بن عمر، (مخطوط)، مجموعة متحف جس، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١٣)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٢٣٧).

وهكذا كانت الأوضاع الدينية في غربي إفريقية بحاجة ماسة إلى من يقوم بتنقيتها مما شابها من أمور الجاهلية، ومما أدخل عليها ضعاف العقول من المنتسبين إلى الإسلام. فكان أن وفق الله رجلاً من أهلها هو الشيخ عثمان بن محمد بن فودي، الذى بذل نفسه وماله لخدمة هذا الدين، فألف المؤلفات، وخطب في الناس في كل مكان، فجمع بذلك بين القلم واللسان، ثم أتم عمله بأن أعلن الجهاد ضد ملوك الهوسا حتى استطاع أن يقيم دولة إسلامية في غربي إفريقية.

الفصل الثاني

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: رحلاته ومؤلفاته.

المبحث الثالث: دعوته.

المبحث الرابع: جهاده.



المبحث الأول
ولادته ونشاته

هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف التميمي. ولد في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م[١].

تربى الشيخ محمد في كنف والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان[٢]، فحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة من عمره، وقد كان حاد الفهم، سريع الحفظ، فصيح اللسان، وكان والده يتوسم فيه الخير، ويتحدث فيه في بعض مجالسه، ويقول: إنه استفاد منه في بعض الأحكام[٣].

وليس بغريب على الشيخ عبدالوهاب أن يفتخر بابنه الذي ظهر علمه بالأحكام قبل بلوغه سن الرشد، كما بلغ الحلم قبل هذه السن أيضا، كما قال بذلك والده في كتاب بعثه إلى بعض جماعته يثني فيه على ابنه محمد، وعلى حفظه، وفهمه، وإدراكه، فقال: "إن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وأنه رآه حينئذ أهلاً للصلاة بالجماعة لمعرفته بالأحكام، فقدمه ليؤمّ الناس"[٤].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ ١، ص (٧٥).

(٢) هو عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي، فقيه حنبلي من أهل العيينة بنجد، ولي قضاءها، ثم انتقل إلى حريملاء وتوفي فيها سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م. انظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الرابع، ص (١٨٢).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٥).

(٤) نفسه.

ولما كان الشيخ قد بلغ الحلم وهو في الثانية عشرة من عمره، فإنه من الطبيعي أن يحثه والده على الزواج، خاصة وأن الزواج المبكر كان مألوفا بين أهل نجد في ذلك الوقت[1]، ولهذا فقد زوجه والده في هذه السن ليحصنه من جهة، وليكون سبباً في تكثير النسل من جهة أخرى، وبعد أن تزوج طلب من والده أن يأذن له بتأدية فريضة الحج، فأذن له، فسار إلى مكة، وبعد أن قضى حجه، زار مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقام فيها شهرين، ثم رجع إلى العيينة[2].

من المؤكد أن الشيخ محمد قد تأثر بما شاهده في مكة والمدينة من حلقات الوعظ والدرس حول المشايخ، خاصة وأن إقامته في المدينة لمدة شهرين لم تكن للزيارة فقط، فلو كانت للزيارة لأقام فيها فترة وجيزة، ولكنه شاهد من قرب حلقات المشايخ، واستفاد منهم، ولعله قد تعرف في هذه الفترة بالشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف[3] الذي أصبح فيما بعد أحد أساتذته[4].

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ط. بدون، دار العلوم، الرياض، بدون تاريخ، ص (٢٧).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٥).

(٣) هوالشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري، نسبة إلي قبيلة شمر .. انتقل مع والده من بلدة المجمعة المعروفة بناحية سدير بنجد، إلى المدينة المنورة، وقرأ على علمائها، ثم جلس في المدينة لطلاب العلم، فأخذ عنه العلم في المدينة خلق كثير من ضمنهم الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وبقي الشيخ عبدالله في المدينة حتى توفي بها. وقد ولد له في المدينة ابنه الفرضي الشهير الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن سيف مؤلف كتاب "العذب الفائض في علم الفرائض " .. انظر: عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٥).

(٤) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره ص (٢٨).

وعلى أية حال فإن الشيخ لما رجع إلى "العيينة"، أخذ يَدْرس الفقه على والده على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأكثر من القراءة لكتب التفسير، والحديث، والتوحيد، وكان سريع الكتابة، حتى أنه كان "يكتب في المجلس الواحد كرّاساً من غير أن يتعب، فيحار من يراه لسرعة حفظه، وسرعة كتابته"[1]، ولما يتمتع به من سرعة في الحفظ، وسرعة في الكتابة، فقد ساعده ذلك على معرفة التوحيد، ومعرفة نواقضه، مما جعله ينكر تلك البدع والانحرافات التي كانت موجودة في نجد في ذلك الوقت. وعلى الرغم من تأييد بعض الناس له، إلا أنه رأى أن الأمر لن يتم له كما يريد، فقرر الرحلة في طلب العلم[2]، ثم العودة إلى وطنه بعد أن يتزود من العلوم بما يكفي لأن يكون سلاحاً له في محاربة هذه البدع.

وهناك عدة عوامل ساعدت الشيخ محمد، على تحصيل العلم، والرحلة في سبيله إلى بعض البلدان.

ومن هذه العوامل ما يلي:

أولا: أنه نشأ في أسرة تشتهر بالعلم والدين، فقد كان آباؤه وأعمامه وبنو أعمامه من أهل العلم في نجد[3].

ثانيا: أنه كان حاد الفهم وقوي الذاكرة[4].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٦).

(٢) نفس المصدر، جـ (١)، ص (٧٦).
وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص ص (٣٤،٣٥).

(٣) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٨١).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٥).

ثالثا: أن وضعه الاقتصادي والمعيشي يسمح له بالتفرغ للدراسة[1].

رابعا: أن أوضاع مجتمعه المتردية وبخاصة ـ الدينية منها ـ قد دفعته إلى التزود من العلوم بما يكفي للقضاء عليها.

خامسا: أن سفره لتأدية فريضة الحج في المرة الأولى، قد جعله يتأثر بما شاهده في الحرمين من حلقات الدرس والوعظ، مما حدا به إلى أن يجعل الحرمين أول الأماكن التي رحل إليها في طلب العلم[2].

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص (٢٦).

(٢) مسعود الندوي، محمد عبدالوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه، ط بدون، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص (٣٢)، ترجمة عبدالعليم عبدالعظيم البستوي.

المبحث الثاني
رحلاته ومؤلفاته

لقد كان لرحلات الشيخ محمد الدور الكبير في تزويد معارفه الدينية، وتوسيع مداركه، وإعطائه دفعة قوية نحو الاتجاه لإصلاح مجتمعه، والعودة به إلى الإسلام الصحيح كما هو مبين في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال العلماء من أهل السنة والجماعة.

رحلته إلى مكة والمدينة:

لقد بدأ الشيخ رحلاته بزيارة الحرمين، فسافر إلى مكة المكرمة، لتأدية الحج للمرة الثانية، ومنها رحل إلى المدينة، والمصادر التي عنيت بتأريخ دعوته لم تذكر السنة التي بدأ فيها رحلاته العلمية، كما أنها لم تذكر عمره عندما بدأ هذه الرحلات، ومن الراجح أنه بدأها قبل بلوغه العشرين من عمره[1].

وبعد انتهاء موسم الحج، رحل الشيخ إلى المدينة، والتقى فيها بالشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف، فلازمه وأخذ عنه في الفقه الحنبلي. وقد ذكر ابن بشر: أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قال: "كنت عنده يوماً فقال لي: أتريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة؟ فقلت: نعم، فأدخلني منزلاً فيه كتب كثيرة. فقال: هذا الذي أعددنا لها"[2]، ومن المتوقع أن هذه الحادثة قد جعلت الشيخ محمد يصمم على التزود من العلوم الدينية بما يكفي لإصلاح مجتمعه.

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص (٢٩)، مسعود الندوي، المرجع السابق، ص (٣٢).

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٥).

ثم إن الشيخ عبدالله بن سيف، أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومضى به إلى الشيخ محمد حياة السندي[1]، فعرّفه به، وبأهله، فأخذ عنه الحديث وعلومه، وكان الشيخ محمد حياة السندي، محارباً للبدع والتعصب للمذاهب، كما كان يدعو إلى الاجتهاد[2]، وفي أحد الأيام كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب واقفاً عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى أناس يدعون ويستغيثون عند قبره صلى الله عليه وسلم، إذ مر به الشيخ السندي، فسأله عن رأيه فيهم، فقال: " إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون "[3].

وقد كانت هذه المقولة من الشيخ السندي بمثابة دفعة ثانية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإذا كان هؤلاء يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان رأى الشيخ السندي فيهم، أنهم على ضلال، فكيف بمن يستغيثون بالصالحين، وبالأشجار والأحجار، كيف يكون حكم عملهم؟ من المؤكد أن عملهم هذا شرك وكفر بالله عز وجل، وعلى هذا فإن هذه الحادثة قد دفعت بالشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى العزم على تغيير أوضاع مجتمعه، والعمل على إصلاحه مهما كلفه ذلك من جهد.

(١) هو الشيخ العلامة المحدث محمد حياة بن ابراهيم السندي، الحنفي، محدث، فقيه، أصولي، مفسر، ولد بالسند، ونشأ بها، وتوفي بالمدينة سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م. من تصانيفه: " شرح الترغيب والترهيب للمنذري "في مجلدين، " شرح الأربعين النووية"، " مختصر الزواجر لابن حجر المكي"، " تحفة الأنام في العمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد".
عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ (٩)، ط بدون، دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ ص (٢٧٥) وخير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد السادس، ص (١١١).

(٢) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره ص (٣٢).

(٣) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، (٣٦).

ومما لا شك فيه أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لم يقتصر في تلقي العلم على هذين الشيخين، بل لابد أن يكون قد حضر دروس وحلقات غيرهما من العلماء في المسجد النبوي، إلا أن تأثره قد بدا واضحا بهذين الشيخين، كما أن صلته بهما كانت أوثق من صلته بغيرهما من علماء المدينة، وكان تأثره بهما ليس في التحصيل العلمي فقط، وإنما في الاتجاه الإصلاحي أيضا[1]، كما أن تأثره بالشيخ محمد حياة السندي، كان أكثر من تأثره بالشيخ عبدالله بن سيف، وإن كان قد تعرف بالشيخ عبدالله قبل الشيخ محمد، إلا أن ملازمته للسندي كانت أكثر من ملازمته لابن سيف، كما أن تتلمذه على السندي، كان أكبر، خاصة وأنه أصبح من تلامذته الخواص[2].

رحلته إلى البصرة:

بعد أن قضى الشيخ فترة لا يُعلم طولها في المدينة - حيث لم تذكر المصادر هذه الفترة - عاد إلى العيينة، ومكث فيها بعض الوقت ثم سار إلى البصرة، وكان يريد الشام[3]، حيث كانت هناك مدرسة حنبلية نشطة، كانت في يوم من الأيام مركزاً لنشاط الإمام ابن تيمية[4]، وفي

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، ص (٣٠).

(٢) المرجع نفسه، ص (٣١)، ومسعود الندوي، المرجع السابق، ص (٣٣).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٦)، وعثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٦).

(٤) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره، ص (٣٣).
- الإمام ابن تيمية: هو الإمام الشيخ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. ولد في حران سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م =.

البصرة تلقى العلم فترة من الوقت على عالم من علمائها يسمى " محمد المجموعي " ، ومن العلوم التي درسها في البصرة : الفقه ، والحديث ، والنحو ، وقد كتب الشيء الكثير عن اللغة والحديث في أثناء إقامته هناك[1] .

كما أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، قد هاله ما شاهده هناك من المنكرات ، فأخذ ينكرها ، ويدعو إلى عبادة الله وحده ، وقد استحسن منه شيخه هذا العمل[2] ، ومن الأمور التى أنكرها : أن يصرف الإنسان شيئا من أنواع العبادة لغير الله ، وعبادة الأولياء والصالحين والتوسل بهم عند قبورهم ، حتى قالوا عنه : " إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء "[3] .

ولما كثر من الشيخ إنكاره لهذه العادات السيئة ، آذاه بعض أهل البصرة ، وأخرجوه منها وقت الظهيرة في شدة حرارة الشمس[4] ، كما

= وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطُلِبَ إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق سراحه فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ، وأطلق ثم أعيد، وتوفي معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول له مؤلفات تزيد على ثلاثمائة (٣٠٠) مجلد من أشهرها (الفتاوى) طبعت في (٣٧) مجلد.

انظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، المجلد الأول: ص: (١٤٤).

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٦).

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٦).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧).

لحق شيخه (المجموعي) منهم بعض الأذى[1]، فقرر الشيخ السفر إلى الشام، إلا أن ضياع نفقته في الطريق قد حالت بينه وبين السفر إلى الشام، فانثنى عزمه عنها، وعاد إلى نجد[2].

رحلته إلى الأحساء:

لما رحل الشيخ من البصرة إلى نجد، مر في طريقه بالأحساء، ونزل فيها عند الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف[3]، فأخذ عنه العلم، كما ناقش بعض علمائها في التوحيد والعقيدة، ثم رحل منها إلى حريملاء، حيث إن والده قد انتقل إليها في سنة ١١٣٩هـ بعد عزله من القضاء في العيينة[4].

وهنا دخلت حياة الشيخ مرحلة جديدة، حيث بدأ دعوته، فأخذ ينكر ما يراه من عادات مخالفة للشريعة الإسلامية، ودخل فيها في صدام مع المعارضين له من أهل حريملاء. ثم رحل إلى العيينة فآواه

وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٦).

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٦).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧).
وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٧).

(٣) هو: عبدالله بن محمد بن عبداللطيف أحد علماء الأحساء ينتسب إلى مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ وقد وقف من دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب بعد ظهورها موقف العداء، فأرسل إليه الشيخ رسالة يبين له فيها حقيقة دعوته، ويلومه لموقفه المعادي له، ويطلب منه ألا يحكم عليه إلا بعد أن يقف على حقيقة دعوته. هذا ولم أقف له على تاريخ ميلاد أو وفاة، ولكن الراجح أنه توفي بالأحساء.
انظر: محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص.ص (٢٥٠ - ٢٦٧).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧)، وعثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٧)، ومحمود شكري الألوسي، المرجع السابق ص (١٠٧).

حاكمها عثمان بن معمر[1] في بادئ الأمر، ثم طرده من بلدته، فاتجه إلى الدرعية، واستقر فيها، فدخلت دعوته مرحلة جديدة أيضاً، هي مرحلة الجهاد في سبيل الله.

وإذا كانت رحلات الشيخ قد أكسبته معرفة كبيرة بالعلوم الشرعية والعربية فإنه كداعية يريد أن يعود بمجتمعه إلى ما كان عليه في صدر الإسلام، لذا بدأ يضيف إلى دعوته بلسانه، الدعوة بالقلم عن طريق تأليف الكتب وبعث الرسائل إلى الأمصار، وبهذا يجعل لدعوته صداها الواسع في نجد وخارجها. فمن كان عنده يأخذ العلم عنه مباشرة، ومن كان بعيداً عنه يأخذ العلم عن كتبه ورسائله التي بيّن فيها دعوته.

مؤلفاته:

لقد كتب الشيخ محمد مؤلفات كثيرة في التوحيد، والفقه، والحديث، والتفسير، والسيرة النبوية، وغيرها. كما أنه كتب كثيراً من الرسائل التي فاقت مؤلفاته كثرة، والتي بعثها إلى المعارضين له في نجد وغيرها، ليبين لهم حقيقة دعوته، وأنها مستمدة من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء من أهل السنة والجماعة.

(١) هو عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، تولى إمارة بلدة العيينة بعدما قتل أخوه محمد سنة ١١٤٢هـ. وقد ناصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما انتقل إليه بعد وفاة والده سنة ١١٥٣هـ، ولكنه لم يستمر طويلا، طرده في سنة ١١٧٥هـ تلبية لطلب حاكم الأحساء، ولكنه ندم فيما بعد فلحق به في الدرعية، وطلب منه العودة معه، فلم يجبه الشيخ إلى طلبه. فعاد إلى العيينة، ثم رأى أنه لابد له من مناصرة الشيخ والأمير محمد بن سعود، فأيدهما، وناصرهما في مواطن عدة، وقاتل معهما أعداءهما، إلا أن بعض رجاله من أنصار الشيخ ذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد، وموالاة الأعداء سرا، فقتلوه في مسجد العيينة بعد انتهائه من صلاة الجمعة سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م. أنظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، المجلد (٤)، ص.ص (٢٠٤– ٢٠٥).

أما مؤلفاته فهي:

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

٢- كتاب الإيمان.

٣- كتاب أصول الايمان.

٤- فضائل الإسلام.

٥- فضائل القرآن.

٦- السيرة المختصرة.

٧- السيرة المطولة.

٨- مختصر الصواعق.

٩- مختصر العقل والنقل.

١٠- مختصر منهاج السنة.

١١- مختصر فتح الباري.

١٢- مختصر الهدي النبوي.

١٣- مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه.

١٤- مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

١٥- كشف الشبهات.

١٦- آداب المشي إلى الصلاة.

١٧- الاستنباط.

١٨- مسائل الجاهلية.

١٩- كتاب الكبائر.

٢٠- مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد(١).

---

(١) إسماعيل محمد الانصاري، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جـ (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض=

كما كتب كثيراً من الرسائل التي بعثها إلى الخاصة، والعامة، من العلماء وغيرهم في داخل نجد وخارجها. وكانت هذه الرسائل تدور حول خمسة موضوعات هي:

(١) عقيدته، وبيان حقيقة دعوته، ورد ما ألصق به من التهم.

(٢) بيان أنواع التوحيد.

(٣) بيان معنى لا إله الا الله، وما يناقضها من الشرك في العبادة.

(٤) بيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله، والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة.

(٥) توجيهات عامة للمسلمين في الاعتقاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

=١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ص.ص: (١٤٤،١٤٥)

ولقد أورد حسين بن غنام في كتابه: تاريخ نجد، تسعة من المؤلفات هي: " كتاب التوحيد، فيما يجب من حق الله على العبيد، وكتاب الكبائر، وكتاب كشف الشبهات، والسيرة المطولة، ومختصر الهدي النبوي، ومجموع الحديث على أبواب الفقه، ومختصر الشرح الكبير، ومختصر الإنصاف". انظر: حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص: (٨٤، ٨٥).

كما أورد عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد ثمانية من هذه المؤلفات وهي "كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وكتاب الكبائر والمسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، ومختصر الشيخ الكبير، والإنصاف، وآداب المشي إلى الصلاة ومختصر الهدى النبوي لابن القيم" .. انظر: عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٨٥).

(١) لقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بجمع هذه الرسائل في كتاب واحد بلغ مجموعها إحدى وخمسين رسالة في ٣٢٣ صفحة.
أنظر: محمد بن عبدالوهاب، مؤلفاته، القسم الخامس الرسائل الشخصية.
كما ذكر حسين بن غنام ستًا وعشرين رسالة في كتابه السالف الذكر تتعلق بهذه الموضوعات.
انظر حسين بن غنام المصدر السابق، جـ (٢) ص. ص (٧ - ٢٦٠).

المبحث الثالث

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

لقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تمثل النور الذي أضاء نجداً بالإيمان، بعد أن كان الإيمان فيها يأخذ بالنقصان يوما بعد آخر. فلما أضاء شعاع الدعوة وتمكنت في نجد، بدأت نجد تتأسف على ماضيها، وتلوم نفسها التي تركت تعاليم دينها الحنيف، واستبدلته بضلالات شياطين الإنس والجن. وتحمد الله الذي بعث لها من عمل على تطهيرها، وإعادتها إلى ما كانت عليه في صدر الإسلام. ذلك هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي، الذي استمد تعاليمه من كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأقوال العلماء من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مبادئ الدعوة:

لقد اعتمد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته على الكتاب والسنة، وأقوال علماء السلف الصالح في حالة اجتماعهم، أما في حالة اختلافهم، فإنه يرجع إلى الكتاب والسنة، فيرجح من أقوالهم ما يكون الدليل فيه أقوى.

أولا: العقيدة:

لقد انتسب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كما أقر بذلك في رسالته إلى أهل القصيم، حيث جاء فيها: " أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله صلى

الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود . . . وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وإعادة الأرواح إلى الأجساد . . . الخ . . وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة . . . وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم . . . وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفّع . . . وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة . . . وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبين والمرسلين . . . وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية . . . "[1].

وهكذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب موافقة للكتاب والسنة، ومطابقة لعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثانيا: الفروع:

انتسب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفروع إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - كما صرح بذلك في إحدى رسائله، فقال: " وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص. ص (٨ – ١١).

السنة "[1]، كما أنه لا ينكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف قولهم نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها[2].

موقفه من الاجتهاد:

لم يتقيد الشيخ محمد بمذهب الإمام أحمد بن حنبل في جميع الفروع، بل وافقه فيما رأى أنه موافق للكتاب والسنة، أما إذا ضعفت عنده رواية الإمام أحمد، فإنه يتركها، ويأخذ برأي إمام آخر يكون الدليل معه أقوى، ولما سئل عن حقيقة الاجتهاد عنده، أجاب بقوله: " نحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله تعالى "[3]. وقال الشيخ عبدالله[4] بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ونحن " لا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها، إلا أنا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب (مذهب الإمام أحمد بن حنبل) كإرث الجد والأخوة، فإنا نقدم

(١) المصدر نفسه، ص: (١٠٧).

(٢) نفسه، ومحمود شكري الألوسي، المرجع السابق، ص (٤٥).

(٣) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٩٦).

(٤) هو عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ، ونشأ في بيت والده، وتلقى العلم من والده أيضا. ولما توفي والده خلفه في أعماله، فصارت له الزعامة الدينية، واستمر في منصبه إلى أن سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م على يد إبراهيم باشا، الذي حمل معه الشيخ عبدالله إلى مصر. فبقي الشيخ عبدالله في مصر إلى أن توفي سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م.

انظر: عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، المرجع السابق، جـ (١)، ص. ص (٤٨ -٥٤).

الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة»[1].

وهكذا يكون الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد فتح باب الاجتهاد، بعد أن أغلق لأكثر من ستة قرون، عاش خلالها المسلمون عالة على التقليد الأعمى، والتقيد بأحد المذاهب الأربعة، مما أدى بهم إلى التخلف العلمي، في الوقت الذي بدأت فيه الحضارة الأوربية تتقدم حتى وصلت إلى ما نراه في الوقت الحاضر من تقدم علمي كبير في مجال الصناعات بأنواعها.

ثالثا: الاجتماع والأخلاق:

لقد أثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب الناحية الدينية، وأولاها إدراكه وإرادته، حتى تعمق بها وأتقنها، ثم اتجه بعد ذلك إلى إصلاح ما اختل في مجتمعه من السلوك والأخلاق، فاجتهد في القضاء على الجهل، وحرص على تهذيب السلوك وغرس القيم الفاضلة، وجعل الناس أمة واحدة لافضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى، وكانت مبادئه الاجتماعية والأخلاقية تعتمد على: -

(١) الحث على صلة الأرحام[2].

(٢) أن الحب والبغض لا يكونان إلا في الله[3].

(٣) عدم التسرع والحكم على الغير إلا بعد التحقق من صحة ما نسب

---

(١) سليمان بن سحمان النجدي، الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، مجموع خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها، ط (٢)، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤هـ، ص (٣٩).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٢٧٠).

(٣) المصدر نفسه، ص (٣٢٢).

إليه[١].

(٤) أنه يجب على كل رجل أن يعلم أبناءه وأهل بيته أمور الدين[٢].

(٥) العناية بالعامة، عن طريق مكافحة الأمية، وحث الناس على العلم، وبخاصة علوم الدين مثل: معنى الشهادتين، وثلاثة الأصول، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، وسائر شعائر الإسلام[٣].

(٦) وجوب المحافظة على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، عن طريق الالتزام بما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعدم الاعتداء على المسلمين إلا بمستند شرعي[٤].

(٧) الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في سبيله[٥].

(٨) عدم إنكار المنكر إذا كان يحصل بسببه افتراق لا يمكن القضاء عليه[٦].

(٩) أن أخوة الإسلام مقدمة على أخوة النسب، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا[٧].

---

(١) نفسه، ص (٢٨٥).

(٢) نفسه ص (٣٢٣).

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل، المرجع السابق، ص (٣٩)، وعبدالعزيز سيد الأهل، داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب، ط (٢)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م، ص (٥١).

(٤) إسماعيل محمد الأنصاري، المرجع السابق، ص (١٤٩).

(٥) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٢٩٦).

(٦) نفسه.

(٧) محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، كتاب الكبائر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب،الرياض،بدون تاريخ،ص (٦٦).

رابعا : المبادئ الاقتصادية :

تعتمد مبادئ الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاقتصادية على تحريم أكل أموال الناس بالباطل، عن طريق العشور والمكوس (الضرائب)، وكذلك الرشوة التي يأخذها القاضي مقابل الفصل بين المتخاصمين، وأن الراشي والمرتشي يشتركان في الإثم، ومنها أيضا أن الأمانة تجب في البيع والشراء وكذلك في الكيل والوزن، فلا يجوز الغش في البيع، ولا التطفيف في الكيل والوزن. وبالجملة فإن مبادئ الشيخ الاقتصادية تتفق مع تعاليم الإسلام الاقتصادية من جهة، ومع تعاليم الإسلام بصفة عامة من جهة أخرى، حيث إن المصلحتين إذا تعارضتا فإن الشريعة الإسلامية تقضي بتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ومن ذلك ما حدث للشيخ محمد بن عبدالوهاب مع الأمير محمد بن سعود بعد الاتفاق الذى تم بينهما سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م حيث كان من شروط الأمير محمد بن سعود أن لا يُعَارض الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ما يأخذه الأمير محمد بن سعود مَن أهل الدرعية وقت الثمار، مقابل حمايته لهم، فقد كان يأخذ منهم ضريبة وقت نضوج الثمار[1]. وقد أقر الشيخ محمد هذا القانون لسببين :

الأول : أنه لو عارضه على هذا القانون لتسبب في القضاء على مصلحة أهم منها، وهي : عدم السماح له بحرية الدعوة في الدرعية الأمر الذى يتطلب منه البحث عن بلدة أخرى يأوي إليها، وتتكفل بنصر دعوته، خاصة إذا علمنا أن معظم بلاد نجد كانت مناوئة لدعوته في ذلك الوقت.

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨١). وابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٤٢).

الثاني: أنه يأمل أن يعوضه الله خيرا منها، عن طريق الغنائم التى سيحصل عليها أثناء عملية الجهاد. ويفسر هذا قول الشيخ محمد ابن عبدالوهاب: أما القانون "فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوّضك الله من الغنائم ما هو خير منها"[1].

خامسا: المبادئ السياسية:

تركزت مبادئ الشيخ محمد بن عبدالوهاب السياسية على مهام ولي الأمر، وما ذلك إلا لأن وجود ولي الأمر الصالح، ينتج عنه تحقيق الأمن للرعية، الأمر الذي يؤدي إلى مزاولتهم لأعمالهم، والبحث عن أرزاقهم وهم آمنون. وهذا يؤدي إلى نهضتهم وتقدمهم، ومسايرتهم للعصر الذي يعيشون فيه، وتكييفه مع تعاليم الإسلام. ومن أهم مبادئه ما يأتي:

١- أن طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية الله[2].

٢- تحريم الخروج على السلطان المسلم[3].

٣- مشروعية قتل من أراد أن يشق عصا الطاعة ويفرق الجماعة[4].

٤- يحرم على السلطان قتل المسلم بغير حق[5].

٥- يجب على السلطان نصر الشريعة الإسلامية ومن تبعها، وعداوة من

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨١).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، كتاب الكبائر ص. ص(٤٥، ٤٦).

(٣) المصدر نفسه، ص (٤٦).

(٤) نفسه.

(٥) نفسه، ص. ص (٤٩، ٥٠).

خرج عنها[1].

٦- أن السلطان مسؤول عن رعيته، فيجب عليه أن يحقق لهم الأمن فيحفظهم، ويحفظ أملاكهم[2].

٧- يجب على السلطان أن يحقق العدل في رعيته، ويشفق عليهم، ويرفق بهم[3].

٨- يحرم على السلطان الاحتجاب دون حاجات رعيته[4].

٩ - يحرم على السلطان أكل أموال رعيته بالباطل.

١٠- يجب على السلطان أن يحسن اختيار ولاته على الأقاليم، فلا يعطي الولاية لمن يطلبها، ولا يعطيها لإنسان محاباة له وهو لا يستحقها[5].

١١- يجب على الوالي أن يُعَيِّن القضاة الأكفاء، نظرا لأهمية مركزهم[6].

١٢- ينبغي على المسلم ألا يطلب الولاية، فإذا أعطي إياها فهي أمانة يجب حفظها[7].

وهكذا كانت نظرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للحياة السياسية

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٣١٢).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، كتاب الكبائر ص (٥٩).

(٣) المصدر السابق، ص. ص (٥٦، ٥٧).

(٤) المصدر نفسه، ص (٥٧).

(٥) نفسه، ص. ص . (٥٦، ٥٧).

(٦) نفسه، ص (٥٨).

(٧) محمد عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، كتاب الكبائر، ص (٥٦).

نظرة تستمد أسسها وتعاليمها من منهج الإسلام لحماية مصالح الأمة، ذلك المنهج الذي يحث على تحقيق الوحدة، وعدم الفرقة بين المسلمين، وذلك بطاعة السلطان، وعدم الخروج عليه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [١].

موقف الشيخ محمد من التصوف :

كان التصوف في بادئ الأمر بمثابة حركة زهاد لا تتعارض مع طبيعة العقيدة الإسلامية، ولكن مع دخول عناصر من الحضارات القديمة وفدت معها أفكار مناقضة للعقيدة الإسلامية الصحيحة، من ذلك فكرة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، فغدا التصوف نتيجة لذلك حركة ثقافية فكرية انحرف بها بعضهم عن أصول التوحيد، وقامت لتلك الانحرافات ممارسات صوفية هي أقرب للشرك. وتفاوت موقف العلماء منها بين مهادن لها، محاولا تحويرها لتتلاءم مع كلية الإسلام، وبين متشدد تجاهها، محارب لها، ساع لتقويضها[٢].

أما موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من التصوف فقد كان منطلقا من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية وآرائه، ويتضح لنا موقفه من خلال ما كتبه في بعض مؤلفاته، وبخاصة في رسائله إلى علماء نجد وغيرهم، فقد أقر فيها بعدم إنكاره على التصوف الأول المعروف بالزهد، وجاء في الرسالة التي كتبها ابنه الشيخ عبدالله عند دخوله مكة مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢١٨ هـ قوله: " ولا ننكر الطريقة

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) للتوسع في معرفة التصوف، وكيفية تحوله تدريجيا عن الإسلام .. انظر: عبدالمتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر، ط. بدون، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، بدون تاريخ.

الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح، مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي، والمنهج القويم المرعي، إلا أننا لا نتكلف له تأويلاً في كلامه ولا في أفعاله[1] . . . "، وجاء في الرسالة التي بعثها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أهل القصيم قوله: " وأقر بكرامات الأولياء ومالهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله "[2].

وهكذا يقر الشيخ محمد بن عبدالوهاب التصوف - بطريقته الأولى - الذي يتجه بالإنسان نحو غاية عملية هي: النجاة بالنفس من عذاب الآخرة عن طريق الزهد بالدنيا، والاقتناع منها بالقليل من المأكل والمشرب.

أما البدع التي دخلت على التصوف مع مر السنين، فقد حاربها الشيخ، وكان " لا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المختلفة المخالفة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته في العبادات والخلوات والأذكار المخالفة للمشروع[3]".

وسائل الشيخ محمد لتغيير أوضاع مجتمعه:

لقد استخدم الشيخ محمد بن عبدالوهاب عدة وسائل لإصلاح مجتمعه فجاهد بقلمه ولسانه ويده في سبيلها، فألف في التحذير من البدع التي كانت موجودة في مجتمعه كثيراً من الكتب والرسائل، كما خصص بعض أوقاته للدروس والوعظ، واتصل في سبيل تحقيق ما يصبو إليه بأمراء نجد، فلما استقر به المقام في الدرعية أضاف إلى دعوته

(١) سليمان بن سحمان، المصدر السابق، ص (٥٠).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص.ص (١٠، ١١).

(٣) سليمان بن سحمان، الهدية السنية، ص (٩٤).

السلمية طابع الجهاد حتى تمكنت دعوته من السيطرة على معظم شبه الجزيرة العربية .

الوسائل الفكرية :

تنوعت وسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب الفكرية لتصحيح أوضاع مجتمعه ، فبدأها بتصحيح مفهوم العقيدة عند النجديين ، ثم اتجه إلى الفروع فبين لهم قواعد الأحكام والعبادات ، وذلك في مؤلفاته ، ومجالسه للدرس والوعظ والإرشاد ، فنتج عن ذلك ثروة علمية كبيرة خلفها الشيخ وجعلها من مؤلفاته ورسائله .

وقبل أن نتحدث عن وسائله لإصلاح عقيدة النجديين ، ومعالجة قواعد الأحكام والعبادات عندهم . نلقي نظرة على الأوقات التي يجلس فيها للتدريس والوعظ والإرشاد ، وكذلك الموضوعات التي كان يتحدث عنها في هذه المجالس .

الأوقات التي يجلس فيها للوعظ والدرس :

لم تحدد المصادر التي كتبت عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الأوقات التي كان يجلس فيها للتدريس ، أو للوعظ والإرشاد . واقتصرت على ذكر الأوقات بصيغة العموم ، يقول ابن غنام : " وقد بقي الشيخ رحمه الله سنتين في الدرعية : يناصح الناس ويهديهم إلى سبيل الحق[1]" . أما ابن بشر فإنه يعطي هذا الموضوع بعض الوضوح بقوله : " وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨٢).

وقت[1] . . . » ، كما أنه يحددها في موضع آخر بأنها كانت في النهار فيقول : « ولما كثر المهاجرون عند الشيخ ضاق بهم العيش وشدة الحاجة ، وابتلوا في ذلك أشد بلاء ، فكانوا بالليل يحترفون ويأخذون الأجرة ، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة »[2] .

على أننا نجد ابن بشر في موضع آخر يذكر أن الشيخ كان يأمر أهل البلدان بتوجيه الأسئلة إلى الناس في المسجد بعد صلاة الصبح ، أو بين العشاءين عن معرفة ثلاثة أصول[3] .

ويمكن أن نستخلص مما سبق ، أن الشيخ اقتصر على وقت النهار للوعظ والدرس ، بينما جعل الليل للنوم والعبادة ، وهذا التحديد يمكن أن يأخذ صفة العموم ، وإلا فإنه من المحتمل أن الشيخ كان يجلس في بعض الأحيان بالليل ، وخاصة بين العشاءين ، هذا إضافة إلى أنه من المتعارف عليه والشائع عند أهل نجد إلى وقتنا الحاضر ـ وبخاصة طلاب العلم ـ أنهم يجلسون في ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء الآخرة ، يستمعون إلى وعظ أحد المشايخ ، أو يتدارسون في جانب من جوانب أمور الدين . وهذه العادة يحتمل أيضا أنها وصلتهم عن طريق الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، لأن أهل نجد في الوقت الحاضر من المؤيدين والمتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أما الموضوعات التي كان يتحدث بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب

---

(١) ابن بشر ، المصدر السابق ، جـ (١) ، ص (١٨١) .

(٢) المصدر السابق ، جـ (١) ، ص (٤٣) .

(٣) نفسه ، جـ (١) ، ص (١٨٣) .

في المجالس، فيمكن إجمالها فيما يلي :

١ - ذكر أصول الدين (تفسير لا إله إلا الله، الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها) .

٢ - توضيح قواعد الإسلام من حيث أحكامه وواجباته ونواهيه .

٣ - التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم وما دعا إليه .

٤ - تأكيد البعث بعد الموت بالأدلة والبراهين [١] .

دروسه في أصول الدين :

لقد أعطى الشيخ محمد بن عبدالوهاب علم أصول الدين الأولوية في مجالس وعظه وتدريسه، وذلك لحاجة مجتمعه الماسة إلى فهم هذا العلم، خاصة وأنهم قد أدخلوا على هذا العلم أمورا هو منها بريء، لذلك لابد أن يحارب الشيخ هذه الأمور بالأدلة والبراهين .

فبدأ أولا بتعريف الحنيفية فقال : " أعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده، مخلصا له الدين[٢]" ، وهذه العبادة هي التي أمر الله بها جميع الناس، ولم يخلقهم إلا لها . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، وبين لهم أن هذه العبادة إذا أداها الإنسان على الوجه المطلوب، فإنه يكون قد حقق التوحيد، وكفر بما يعبد من دون الله[٤] .

ثم بين لهم المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها وهي :

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص : (٤٥).

(٢) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، ص (١٨٦).

(٣) سورة الذاريات، آية ٥٦ .

(٤) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، ص (١٨٦) .

المسألة الأولى: أن الله خلقنا ولم يخلقنا عبثاً، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً ومعه كتاب، من أطاعه فهو في الجنة، ومن عصاه فهو في النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾[1].

المسألة الثانية: أن أعظم ما جاء به هذا الرسول ألا يشرك مع الله في عبادته أحد، قال تعالى- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[2].

المسألة الثالثة: أن من وحد وعبدالله تعالى لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، قال تعالى- ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ

---

(١) سورة المزمل: آية ١٥، ١٦.

(٢) الجن: آية ١٨.

الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾[1][2].

ثم ينتقل بهم إلى الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها وهذه الأصول هي: " معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم "[3].

ومن الملاحظ أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يكتف بتدريس هذه الأصول فقط، بل حاول أن يبين لمجتمعه أن أوضاعهم الدينية تشبه إلى حد كبير الأوضاع في الجاهلية، إن لم تكن أشد منها . فأخبرهم بأنه ينبغي عليهم أن يفهموا هذه القواعد الأربع، حتى لا يقعوا بما وقع به المشركون في عصر الجاهلية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذه القواعد هي:

القاعدة الأولى: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، ومع ذلك فهم كافرون.

القاعدة الثانية: أن المشركين في الجاهلية يقولون: ما دعونا هذه الأصنام وتوجهنا إليها إلا لطلب القربة والشفاعة .

القاعدة الثالثة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم، فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار

---

(١) المجادلة : آية ٢٢.

(٢) محمد بن عبد الوهاب العقيدة والآداب الإسلامية ص.ص (٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٣) المصدر نفسه ص (١٨٧).

والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقد قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[1]، أما مشركو زماننا، فشركهم دائم في الرخاء والشدة[2].

وهكذا نرى الشيخ يتبع منهجاً علمياً سليماً في معالجته لأوضاع مجتمعه، حيث قارن بين شرك الجاهلية - قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم - وبين الشرك في زمانه، فبدأ هذه المقارنة بذكر الحقائق الجزئية تدريجياً، حتى يصل إلى النتيجة الكلية، والتي من أجلها ذكر هذه الحقائق الجزئية، فالشيخ أورد هذه القواعد، وبدأها أولاً بذكر نوع شرك الجاهلية، ثم انتقل إلى بيان مرادهم من إشراك غير الله معه في العبادة، ثم بين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين هؤلاء المشركين فحاربهم جميعاً على اختلاف معبوداتهم، فمهد السبيل بذلك لتبيين هدفه من إيراد ما سبق، وهو: إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين من أشرك مع الله في عبادته من الملائكة والنبيين والصالحين، وبين من أشرك معه من الأشجار والأحجار والشمس والقمر، فكيف يكون الحال في زمانه، إذا كان الشرك فيه قد فاق شرك

(١) العنكبوت: آية ٦٥.

(٢) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، ص. ص (٢٠١، ٢٠٢).

الأولين، خاصة إذا علم أن الأولين يشركون في الرخاء، ويوحدون في الشدة، والمشركون في هذا الزمان شركهم دائم في الرخاء والشدة ؟!

وبهذا المنهج العلمي السليم يثبت بالدليل القاطع، أن الشرك في زمانه أعظم من الشرك الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

دروسه في العبادات والأحكام:

تناول الشيخ محمد بن عبدالوهاب الأحكام العامة، والأحكام الخاصة .

أما الأحكام العامة، فقد بين للناس القواعد التي تدور عليها الأحكام في جميع علوم الدين الإسلامي، وحددها بأربع قواعد هي :

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

القاعدة الثانية : أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفوٌ لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه لقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾[2] .

القاعدة الثالثة : أن ترك الدليل الواضح، والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ . قال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ**

---

(١) الأعراف: آية ٣٣ .

(٢) المائدة : آية ١٠١ .

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾[1]، إذا فالواجب على المسلم اتباع المحكم، وإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

القاعدة الرابعة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر : " أن الحلال بينٌ، والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات "[2]، فمن لم يفطن لهذه القاعدة، وأراد أن يتكلم على مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل[3].

وبعد أن بين لهم القواعد التي تدور عليها الأحكام، انتقل إلى ذكر نواقض الإسلام على العموم، فقال :-

« اعلم أن نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك في عبادة الله وحده . .

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة .

الثالث : من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم .

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه .

---

(١) آل عمران : آية ٧ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقات، المجلد الثالث، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ص . ص (١٢١٩، ١٢٢٠).

(٣) محمد بن عبدالوهاب، مؤلفاته، القسم الثاني، الفقه، المجلد الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ، ص.ص (٣، ٤) .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه ولو عمل به . . .

السابع : السحر ومنه الصرف والعطف . .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام .

العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به[1] . . . " .

وهذه النواقض يتساوى فيها الهازل والجاد والخائف، ولا يستثنى منها إلا المكره، الذي يأتي بشيء منها وقلبه مطمئن بالإيمان[2]. والشيخ بذكره لهذه النواقض يبين أنها من أعظم الأخطار، وأن كثيراً من الناس قد وقع فيها فيقول: "وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه . . "[3].

أما الأحكام الخاصة فقد تحدث فيها عن أحكام العبادات، وبدأها بتعليمهم حكم الصلاة، وكيفيتها، ثم الزكاة، ومتى تجب، ثم الصوم وعلى من يجب، ثم الحج لمن استطاع إليه سبيلا، ثم الجهاد في سبيل

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص . ص (٢١٢ - ٢١٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (٢١٤) .

(٣) نفسه.

الله، ثم البيع وأنواعه، ثم النكاح، ثم الديات، ثم القضاء، وقد تناول جميع هذه العبادات بالتفصيل في مؤلفاته في الفقه وعلومه .

ومن الملاحظ أن جميع المصادر التى تناولت حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، لم تذكر طريقة تدريسه لهذه العبادات والأحكام، إلا أنه يمكن معرفة طريقته بالرجوع إلى مؤلفاته التي كتبها في هذه المواضيع . فنجده في الفقه يبدأ كتابته عن الركن الثاني من أركان الإسلام وهو: الصلاة، بالتحدث عن الطهارة من حيث الاستنجاء والاستجمار، وسنن الوضوء وفروضه، وصفته، ونواقضه، وكذلك الغسل، والتيمم، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان الأذان والإقامة، ثم شروط الصلاة وصفتها، وأنواعها .

وقد اتبع الشيخ محمد بن عبدالوهاب هذا المنهج في العبادات والأحكام الأخرى، حيث كان يبدؤها بالجزئيات تدريجياً حتى يصل إلى النتيجة النهائية. ومن الطبيعي أن هذا المنهج قد يسر على أتباعه تعلم أحكام الدين . وفي الوقت نفسه قد ساعده بالقضاء على البدع التي كانت موجودة في مجتمعه آنذاك .

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة :

لقد استفتح الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبدأها بذكر الأدلة من الكتاب والسنة في تحريم البدع والنهي عنها، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ**

---

(١) النساء: آية ٤٨، ١١٦ .

على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾[2].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه: أن رجلاً تصدق بصدقة ثم تتابع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[3]. وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: « أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[4].

وعن حذيفة قال: « كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد فلا تعبَّدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا

(١) الأنعام: آية ١٤٤.

(٢) النحل: آية ٢٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، المجلد الثاني، ص. ص (٧٠٤، ٧٠٥).

(٤) سنن الترمذي، باب العلم، المجلد الرابع، ط (٢)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص. ص ١٤٩، ١٥٠.

طريق من كان قبلكم»[1].

وقد بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته إلى الله في حريملاء، وذلك بعد وفاة والده سنة ١١٥٣هـ[2]، وإن كان قد بدأها قبل وفاة والده، إلا أنه توقف عنها لمنع والده له خوفاً عليه من ثورة العامة[3]، ثم أعلن دعوته بعد وفاة والده، فأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واشتد إنكاره لمظاهر الشرك والبدع، وبذل النصح للخاص والعام، ولم يخش في الله لومة لائم[4].

ومن هنا بدأ صيته ينتشر في بلدان العارض، فأتى إليه كثير من الناس، وانضموا إليه، واتبعوا طريقه ولازموه، في الوقت الذي عاداه وحاربه باقي أهل نجد وهم الأكثر[5].

لذلك كان من الضروري للشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، ص (٢٢٥).

(٢) من المعلوم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان قد بدأ دعوته العملية في مدينة البصرة بالعراق، حيث كان أثناء مقامه فيها ينكر ما يرى ويسمع من الشرك والبدع، ويحث على طريق الهدى والاستقامة، وينشر أعلام التوحيد ويعلن للناس أن الدعوة كلها لله : يكفر من صرف شيئا منها إلى سواه ..." حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٦) .
إلا أن إنكاره البدع فيها لم يأخذ طابع العزم والتصميم في القضاء عليها بأي وسيلة، حتى لو استدعى الأمر حمل السلاح، فبمجرد أن خرج من البصرة بعد طرده منها، لم يفكر في العودة إليها، ولكن دعوته فيها تنفيذ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) .

(٣) محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ط (١)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص (٣٠).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧). وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٧) .

(٥) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٧، ٧٨) .

يضمن بقاء دعوته واستمرارها، ألا يقتصر على الوسائل الفكرية في تعديل أوضاع مجتمعه، بل يجب عليه أن يضيف إليها الوسائل العملية أيضا، وذلك عن طريق عرض دعوته على الأمراء والحكام، ليسند دعوته الدينية بالقوة السياسية التي تدعمها وتقف إلى جانبها، وتعينه على تنفيذ حكم الله في بلاد ذلك الأمير أولاً، ثم باقي بلدان نجد - بعد أن تصل إليها الدعوة - ثانياً .

الوسائل العملية:

لقد حاول الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يبدأ عمله التطبيقي لأحكام الدعوة في بلدة حريملاء، وذلك عندما أراد منع عبيد إحدى العشيرتين اللتين تحكمان حريملاء عن الفساد، ولكون البلدة لا تخضع لرئيس يخضع له الجميع بالسمع والطاعة، حيث كان رؤساؤها يتبعون لعشيرتين من قبيلة واحدة، وكل منهما تدعي الرئاسة لها، فقد قرر الشيخ تركها والانتقال إلى العيينة بعد أن حاول هؤلاء العبيد الغدر به وقتله[1].

الاستعانة بالسلطة لتطبيق أحكام الدعوة :

تعتبر القوة السياسية من أكبر العوامل المساعدة على نجاح الدعوة الدينية إذا اتفقتا معاً على التعاون فيما بينها، وذلك أن القوة السياسية تعتبر بالنسبة للدعوة الدينية الحصن الذي يحميها من أعدائها، والمأوى الذي تمارس فيه الدعوة نشاطها بأمن وطمأنينه، كما أن القوة السياسية تضمن للدعوة وأتباعها المكان الذي يستقرون فيه، والذي من خلاله

---

(١) المصدر السابق، جـ (١) ، ص (٧٨) .

يقومون بنشرها في الأماكن القريبة والبعيدة منها .

لذلك نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر الانتقال من حريملاء إلى بلدة تكون القوة السياسية فيها ـ والتي تتمثل بالرئيس الذي يخضع له الجميع بالسمع والطاعة ـ هي المسيطرة على أحوال البلدة الداخلية والخارجية، وكانت هذه القوة متمثلة بحاكم العيينة عثمان بن معمر .

اتصال الشيخ محمد بحاكم العيينة :

لما كانت العيينة تمتاز عن باقي بلدان نجد، بأن الحكم فيها مستقر، وأنها أكبر قاعدة في نجد ـ في ذلك الوقت ـ كما أنها مسقط رأس الشيخ محمد، فيها ولد ونشأ، وبالتالي فهو يعرف أهلها أكثر من معرفته لغيرهم من بلدان نجد، فقد قرر الشيخ الانتقال إليها، وإعلان دعوته فيها إذا سمح له رئيسها بذلك .

كان حاكم العيينة عندما قدم الشيخ محمد إليها، عثمان بن حمد ابن معمر ١١٤٢ - ١١٦٣هـ، وقد تلقى الشيخ بالقبول والإكرام، ثم عرض عليه الشيخ دعوته، وطلب منه الوقوف إلى جانبه ونصره، وقال له: «إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها»[١]، فرضي بدعوته، وأعلن تبعيته له، وناصره، وفرض على أهل العيينة أن يمتثلوا أمره، فبدأ الشيخ دعوته فيها، وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[٢].

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٨) .

(٢) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٨)، ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص، ص (٣٨، ٣٩) .

ولما كان في العيينة وما جاورها كثير من القباب المبنية على القبور، وكثير من الأشجار التي تعظم، ويتبرك بها، فقد رأى الشيخ أن يقضي على هذا النوع من أنواع الشرك، فيهدم القباب، ويقطع الأشجار، حتى يحول بينها وبين أهلها، ويقضي على هذا الشرك الذي استحسنه بعض أهل نجد في ذلك الوقت، ورأوا أنه يقربهم إلى الله زلفى، وهو في الحقيقة يبعدهم عن الله، ويدنيهم من الشيطان الذي لقي المناخ المناسب له، ليغرس مبادئه الضالة في قلوب هؤلاء الجهال.

ولما شرع الشيخ في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي في العيينة، وما جاورها، انتقلت أخباره وشاعت في بلدان نجد، والحجاز، والأحساء، والبصرة، عن طريق المعارضين للدعوة. وفي الوقت الذي لم تعمل بلدان نجد، والحجاز والبصرة على الحيلولة دون نجاح الدعوة، وتوقيف نشاطها إما لعجزهم عن ذلك، وإما لعدم مبالاتهم بها. نجد حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن غرير يستجيب لطلب المعارضين للدعوة في نجد، وذلك عندما قالوا له: «إن هذا (أي الشيخ محمد) يريد أن يخرجكم من ملككم ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويبطل العشور والمكوس»[1]، فأرسل إلى أمير العيينة بأمره بقتل الشيخ أو إجلائه، وقد هدده بقطع راتبه السنوي عنده إن لم يفعل ما أمره به، كما هدده بالاستيلاء على ممتلكاته في الأحساء، ومنع جباته عن تحصيل ماله من نخيل فيها، ومنع تجار بلده عن مزاولة التجارة في الأحساء، أو أي بلد تابع له[2].

ونتيجة لهذا التهديد، فقد أذعن عثمان بن معمر لطلب حاكم

---

(١) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨٠).

(٢) مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، ص. ص: (٣١، ٣٢).

الأحساء، لأن دعوة الشيخ لم تكن قوية في ذلك الوقت بحيث يعوض ابن معمر بهذه القوة ما يفقده من كسب مادي من حاكم الأحساء[١]، إضافة إلى أنه لم تكن لديه القوة الكافية لمواجهة حاكم الأحساء إذا ما قام بمهاجمة العيينة . والمعروف عن (ابن غرير) أنه يهجم على من لم يجب أمره من أمراء نجد[٢].

لذلك طلب من الشيخ أن يرحل من بلده إلى بلد يريدها، ولما لم تجد محاولات الشيخ معه بالبقاء في العيينة، فقد قرر الرحيل إلى الدرعية .

اتصال الشيخ بحاكم الدرعية:

لقد اختار الشيخ الدرعية مكاناً يأوى إليه بعد خروجه من العيينة لعدة أسباب منها :

١ - أن الدرعية في ذلك الوقت تتمتع باستقلال تام لا تخضع فيه لأى سيطرة خارجية[٣]، فإن قدر وقبل أمير الدرعية دعوة الشيخ - وهو ما حدث فعلاً - فإن الشيخ سيتمتع بحرية كاملة في الدعوة إلى الله، والعمل على نشر هذه الدعوة في بلدان نجد وغيرها، بل إنه سيحظى بمأوى لأتباعه المنتشرين في بلدان نجد .

٢ - أن علاقة الدرعية بزعماء بني خالد في الأحساء كانت سيئة، وإذا كان خروج الشيخ من العيينة قدتم بناء على طلب حاكم الأحساء،

---

(١) محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان، المرجع السابق، ص (٣١) .

(٢) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص (٣٢) .

(٣) محمد بن عبدالله السلمان، المرجع السابق، ص (٣٢)، نقلا عن عبدالله الشبل، محاضرات في تاريخ الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية، كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، مؤسسة الأنوار، العام الجامعي ١٣٩٧هـ/١٣٩٨هـ، ص (٣٦).

سيشترك مع أمراء الدرعية ضد خصم واحد[١].

٣- ولعل أهم الأسباب لاختياره الدرعية هو: أن دعوته كانت قد لقيت قبولاً كبيراً بين الشخصيات المهمة في الدرعية، وعلى رأسها أخوا أمير الدرعية ثنيان ومشاري، وكذلك ابن الأمير عبدالعزيز[٢][٣].

وعلى أية حال فإن الشيخ قد ترك العيينة، وخرج منها إلى الدرعية في سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، فلما وصل إليها رحب به أميرها (محمد بن سعود)، وقال له: «أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة. فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها، وعمل بها، ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل، والفرقة، والاختلاف وقتال بعضهم بعضا، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك»[٤].

ثم بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب يعلم الأمير محمد بن سعود بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده، وقارنها

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ/ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص (٥٣).

(٢) المرجع السابق، ص (٥٣).

(٣) هو: عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، ولد بالدرعية سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، وتولى الإمامة بعد وفاة والده سنة ١١٧٩هـ، وفي عهده اتساع نطاق دولته، وامتد ملكه من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير. اغتيل في جامع الدرعية على يد أحد الشيعة القادمين من العراق سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م.
انظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الرابع، ص (٢٧).

(٤) ابن بشر المصدر السابق جـ (١) ص (٤٢).

بما عليـه أهل نجـد في زمنه من الشـرك بالله، والبـدع، والاختـلاف، والظلم[1]. ولما تحقق الأمير مما يدعو إليه الشيخ، بايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتم بينهما ما يعرف تأريخياً باسم «اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م»[2] ويتضمن الشرطين التاليين:

١- ألا يرحل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويستبدل بالأمير محمد بن سعود غيره، عندما يفتح الله لهما البلدان.

٢- ألا يعارض الشيخ، ما يأخذه الأمير محمد بن سعود من أهل الدرعية وقت الثمار، مقابل حمايته لهم.

وكان جواب الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم، والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ماهو خير منها»[3].

وقد تحقق للشيخ ما كان يرجوه، حيث أتى الإمام محمد بن سعود غنيمة كبيرة، فقال له الشيخ محمد: هذا أكثر مما أنت تأخذه على أهل بلدك، فترك الإمام محمد بن سعود ذلك القانون ولم يرجع إليه[4].

وهكذا وجدت الدعوة المكان المناسب لها، وصار الشيخ لا يخاف على نفسه أو دعوته، فقد وجد من يناصره، ويقف إلى جانبه، وصارت الدرعية بذلك المكان الذي انطلقت منه الدعوة إلى معظم بلاد الجزيرة العربية، وغيرها من بلاد العالم الإسلامي.

---

(١) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص(٨٠، ٨١).

(٢) المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨١).

(٣) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٤٢).

(٤) نفسه.

إزالة آثار الشرك :

لما قبل رئيس العيينة عثمان بن معمر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وذلك قبل أن يأمره حاكم الأحساء بقتل الشيخ أو إجلائه ـ طلب منه الشيخ أن يأذن له بهدم القباب، وقطع الأشجار، فأذن له، فبدأ بقطع الأشجار المعظمة عندهم، مثل: شجرة (الذيب) في العيينة، وقد باشر الشيخ مهمة قطعها بنفسه، وشجرة (قريوة) في الدرعية، وقد قطعها: ثنيان بن سعود، ومشارى بن سعود، وأحمد بن سويلم وغيرهم[1].

ثم أراد الشيخ أن يهدم قبة زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في الجبيلة، فأذن له عثمان بن معمر، وسار معه بنفسه، ومعهما حوالي ستمائة رجل، فبدأ الشيخ بهدم هذه القبة بنفسه، ثم تبعه أصحابه[2].

وهكذا أخذ الشيخ يزيل القباب، والأشجار، وجميع الأوثان التي في البلاد التابعة لعثمان بن معمر حتى قضى عليها[3].

تنفيذ أحكام الله : (رجم الزانية) :

لما بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب يطبق أحكام الله في العيينة بإزالة آثار الشرك منها، حدث أن جاءته امرأة من العيينة، أقرت على نفسها بالزنا أربع مرات، في أربعة أيام، فلما تأكد الشيخ من سلامة عقلها وصحته، أمر برجمها لأنها محصنة، فخرج عثمان بن معمر وجماعة معه، فرجموها بالحجارة حتى ماتت، وكان عثمان أول من بدأ

---

(١) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٨).

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٢٩).

(٣) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٧٨).

برجمها[١].

ولقد كان لهذه الأعمال التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب مدى واسع، ليس في نجد وحدها، بل في الحجاز، والأحساء، والبصرة أيضا، فقد اتصل المعارضون للدعوة بهذه البلدان يعظمون لهم شأن الشيخ، وما استحدثه من بدع في الدين - على حد زعمهم - فنتج عن هذه الاتصالات بعض النتائج التي كادت توقف نشاط الدعوة، أو تقضي عليها، لولا أن من الله على الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتأييد الأمير محمد بن سعود له .

نتائج الدعوة:

لقد استطاع الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بتوفيق من الله - أن يعيد نجدا إلى الإسلام الصحيح، كما كانت في صدر الإسلام، فقد أزال الوثنية منها، وأقام الحدود فيها، ووحدها تحت سيادة أمير واحد هو: الأمير محمد بن سعود، ومن بعده ابنه عبدالعزيز، ثم سعود[٢] بن عبدالعزيز، فعبدالله[٣] بن سعود الذي سقطت في عهده الدولة السعودية في دورها الأول سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

(١) المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص (٧٩، ٨٠)، ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٩).

(٢) هو سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولد في الدرعية سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م وتولى إمامة الدرعية بعد مقتل أبيه سنة ١٢١٨هـ. وفي عهده امتد ملكه من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير إلى شواطئ الفرات وبادية الشام ومن الخليج العربي إلى البحر الأحمر. توفي سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م . انظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الثالث ص (٩٠).

(٣) هو عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، تولى إمامة الدرعية بعد وفاة والده سنة ١٢٢٩هـ، وحاربته جيوش العثمانيين القادمة من مصر بقيادة إبراهيم باشا، وسقطت الدرعية في عهده سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، وحمله إبراهيم باشا معه إلى مصر، ثم إلى الأستانة، فقتل فيها سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م. أنظر: الزركلي، الأعلام، المجلد الرابع، ص (٨٩).

كان هناك بعض النتائج التي ترتبت على الدعوة منذ بدايتها في العيينة، وتابعتها بعد أن انتقلت إلى الدرعية، واستمرت معها حتى استطاعت الدعوة أن تفرض نفسها على بلاد نجد وما جاورها في بداية العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. ولعل من أبرزها معارضة بعض العلماء للدعوة، وكذلك بعض الرؤساء في نجد والحجاز والأحساء.

موقف علماء نجد من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

لما ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبدأ يدعو الناس إلى الإسلام الصحيح، انقسم الناس تجاهه إلى قسمين:

قسم آمن بدعوته، فانضم إليه، وبايعه على ما دعا إليه، وأخذ يحضر دروسه ومواعظه. وقسم أنكرها، وحاربها، وبذل نفسه ووقته في سبيل القضاء عليها، واتصل أصحاب هذا القسم بعلماء الجزيرة العربية في الحجاز، والأحساء، والبصرة، ولما لم يستطيعوا القضاء عليه بواسطة العلماء، اتصلوا بالحكام، فعظموا لهم شأنه، وقالوا لهم: إن الشيخ سيقضي على ملكهم، وسيسعى في قطع ماهم عليه من الأمور، وسيبطل العشور والمكوس[1].

وقد استجاب لهم سليمان بن محمد بن غرير الخالدي رئيس الأحساء - كما مر سابقاً - ولكنه لم يستطع إيقاف دعوة الشيخ، أو القضاء عليها وإنما نتج عن موقفه منها، أن تغيّر خط سير حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث اتخذت من الدرعية مقراً لها[2].

---

(١) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص(٧٨ - ٨٠).

(٢) عبدالله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص (١١٠).

أما موقف الشيخ محمد من هؤلاء العلماء، فقد صبر على اتهاماتهم له، وأخذ يفندها بالحجج، والبراهين، من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال العلماء، من الأئمة الأربعة وغيرهم، بل إنه دعا جميع العلماء، أن يجادل كلاً منهم على حسب المذهب الذي يتبعه، « إن كان شافعيا فبكلام الشافعية، وإن كان مالكيا فبكلام المالكية، أو حنبليا، أو حنفيا فكذلك»[1].

كما أعلن لهم بأنه على استعداد لمتابعتهم إذا رأى أنهم على الحق فقال: « وأنا أشهد الله وملائكته إن أتاني منهم حق لأقبلنه على الرأس والعين، ولكن هيهات أن يقدر أحد أن يدفع حجج الله وبيناته»[2].

وهكذا أخذت الحركة الفكرية في نجد وما جاورها، تزداد يوماً بعد يوم، عن طريق المؤلفات التي كتبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب والرسائل التي أرسلها إلى العلماء التابعين والمعارضين له، وعن طريق المؤلفات التي كتبها العلماء المعارضين له، والرسائل التي أرسلوها إليه، أو تبادلوها فيما بينهم، ثم تبلورت هذه الحركة الفكرية بانتصار الشيخ محمد بن عبدالوهاب عليهم، فصارت كلمته هي الكلمة المسموعة في جميع البلدان التي انضمت إلى الدرعية، أو التي انتصرت عليها.

ويعتبر سليمان بن محمد بن سحيم - قاضي بلدة الرياض - من أشد المعارضين للشيخ محمد ودعوته، ومن أكثرهم نشاطا ضد توسعها، واستخدم في ذلك جميع الوسائل، فكتب الرسائل في تضليل الشيخ وتبديعه وآثار العلماء للرد عليه، وحاول أن يصد الناس عن دعاته،

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (١٤٤).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٤٥).

ونشر بين الناس ما كتبه معارضو الدعوة من تضليل الشيخ وتبديعه، كما حرض الزعماء السياسيين ضده[1].

ومن أبرز الاتهامات التي اتهم بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأرسلها المعارضون إلى خارج نجد ما يأتي:

١- أنه هدم قبور الصحابة في الجبيلة، وبعثرها، لأنهم في حجارة لا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد، وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما عمد أيضا إلى مسجد في ذلك المكان، وليس له داع شرعي إلا اتباع الهوى!.

٢- أنه أحرق «دلائل الخيرات»[2] و«روض الرياحين»[3] وقال: هذا روض الشياطين.

٣- صح عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف لأخذت ميزابه، وجعلت بدله ميزاب خشب.

٤- ثبت أنه يقول: أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وإن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق، يقطع بكفره، ومن وافقه، وصدقه في كل ما قال، فهو موحد، ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا. فهو بهذا يدعو إلى توحيد نفسه، لا إلى توحيد الله.

٥- أنه قال: بأن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم

(١) عبدالله الصالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ص (٩٤).

(٢) «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار» تأليف محمد الجزولي المتوفي سنة ٨٥٤هـ.

(٣) «روض الرياحين في حكايات الصالحين» تأليف عبدالله اليافعي اليمني المتوفى سنة ٧٦٨هـ.

منهم، ولا عرفه أبوه، ولا أهل العارض.

٦- أنه يقطع بتكفير ابن الفارض، وابن عربي.

٧- أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول، لأنهم يأخذون النذور ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

٨- أنه ثبت عنه لما قيل له: اختلاف الأئمة رحمة؛ قال: اختلافهم نقمة.

٩- أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا.

١٠- أنه أبطل الجعالة على الحج.

١١- أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق لا يجوز تمجيده.

١٢- أنه قال: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها هي بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار.

١٣- أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثا - إذا قضوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة - إن ذلك رشوة.

١٤- أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة، ويسمي عليها، ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر واللحم حرام[١]. إلى غير ذلك من التهم التي روجوها ضد الشيخ في بلدان نجد وخارجها.

---

(١) ابن غنام، المصدر السابق، جـ (٢)، ص ص (٨٩-٩٠).

وقد كان موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من هذه التهم التي روجت ضده، أنه لم يترك الفرصة لهؤلاء العلماء، بأن يعكروا صفو الدعوة كيفما أرادوا، بل أخذ يراسل العلماء، ويفند لهم هذه التهم التي قيلت عنه، فما لم يقل به أنكره، وما كان قد قال به، اعترف أنه قائل به ولا يزال يقول به.

ويمكن إجمال النقاط التي أنكر الشيخ القول بها بما يأتي:

(١) إبطال كتب المذاهب.

(٢) أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء.

(٣) ادعاء الاجتهاد.

(٤) الخروج عن التقليد.

(٥) اختلاف العلماء نقمة.

(٦) تكفير من توسل بالصالحين.

(٧) تكفير البوصيري لقوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

(٨) لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها.

(٩) لو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب.

(١٠) إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر الوالدين وغيرهم.

(١١) تكفير من يحلف بغير الله .

وكانت إجابة الشيخ على جميع الاتهامات أن قال: « سبحانك هذا بهتان عظيم»[١] .

أما الاتهامات التي اعترف الشيخ بأنه قائل بها، وأنه لا يزال يقول بها، فهي :

١- لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله .

٢- إني أعرف من يأتيني بمعناها .

٣- إني أقول الإله هو الذي فيه السر .

٤- تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله، وأخذ النذر كذلك .

٥- إن الذبح للجن كفر، والذبيحة حرام، ولو سَمَّى الله عليها إذا ذبحها للجن .

« فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها»[٢] .

وهكذا كان موقف بعض علماء نجد، وبعض العلماء من خارجها تجاه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كانوا ينسبون إليه، الأقوال التي تنفر الناس، والحكام منه، رغبة منهم في القضاء عليه، وعلى دعوته، حتى ينفردوا بالعلم الذي يخولهم، لأكل أموال الناس بالباطل، عن طريق كتب الطلاسم، والحجب، وأخذ الرشوة . . وغيرها .

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٦٤).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٤).

على أن أهم النتائج التي نتجت عن قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حركة الجهاد التي قام بها الشيخ والأمير محمد بن سعود وأتباعهما ضد المعارضين للدعوة داخل نجد وخارجها، حتى استطاعوا أن يقيموا دولة إسلامية في نجد وما جاورها، قضوا من خلالها على جميع أنواع الشرك، والبدع التي كانت موجودة قبل ظهور الدعوة.

المبحث الرابع
جهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لقد بقي الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدرعية بعد الاتفاق الذي تم بينه وبين الأمير محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م لمدة سنتين يدعو الناس إلى الإسلام الخالص من شوائب الشرك، كما أخذ يكاتب أهل البلاد المجاورة ورؤساءها وعلماءها بدعوته، ويحضهم على اتباع شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان من ضمن من أرسل لهم حاكم الرياض دهام بن دواس[1] الذي وقف من الدعوة موقف العداء، وبخاصة بعد انضمام منفوحة إلى دعوة الشيخ، فأخذ يضطهد كل من اتبع دعوة الشيخ من أهل الرياض، ويسعى لهم بالمكايد ويتربص بهم الدوائر[2].

لم تفلح محاولات الشيخ والأمير محمد بن سعود مع دهام، فقد أعلن دهام الحرب ضد أهل منفوحة سنة ١١٥٩هـ ١٧٤٦م[3] وكانت منفوحة قد انضمت إلى الدرعية – واعتداؤه هذا على منفوحة بمثابة الاعتداء على الدرعية.

---

(١) دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان، من قبيلة مطير، كان والد، رئيسا لمنفوحة، فلما توفي تولى بعده ابنه محمد، ثم ثار عليه بعض أهل منفوحة فقتلوه، وأجلوا إخوانه عنها، فاستوطن دهام الرياض، وتمكن من الوصول إلى الرئاسة بعد أن هرب رئيسها سنة ١١٥١هـ، واستمر في رئاسته إلى أن سقطت الرياض في حوزة الدرعية سنة ١١٨٩هـ. فهرب دهام إلى الدلم وتوفي بها.
انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (٩٦، ٩٧).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (!)، ص. ص (٨٩، ٩٠).

(٣) المصدر نفسه، جـ (١) ص (٩٠).

وبذلك يكون دهام قد أشعل نار الحرب ضد الدرعية، وهو الذي بدأها، ويؤيد ذلك قول الشيخ محمد في إحدى رسائله:

"أما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكناً"[(1)].

وهذا لايعني أن الدرعية لاتقوم إلا بالدفاع عن نفسها، أو عن من انضم إليها فقط، وإنما يعني أن بداية القتال لم يكن من جانب الدرعية بل كان من جانب أعدائها، وبخاصة دهام حاكم الرياض. فبعد أن رجع من حربه لأهل منفوحة، بدأت الدرعية ترسل الجيوش المتتالية في أكثر الأحيان إلى الرياض وقد استمرت الحرب بينهما إلى سقوط الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م وأكد الشيخ محمد هذا بقوله: "ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها"[(2)].

وبعد أن قويت شوكة الدرعية وبدأ يخافها خصومها، أخذت ترسل الجيوش إلى بلدان نجد وغيرها، حتى استطاعت أن تفرض سيطرتها على بلدان نجد والأحساء في نهاية القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجريين، وكذلك بلاد الحجاز، وجنوب غربي الجزيرة العربية، ولم ينته الربع الأول من القرن الثالث عشر إلا وحدود الدرعية تمتد من الخليج العربي شرقا إلى البحر الأحمر غربا، ومن بادية الشام شمالا إلى الربع الخالي وبلاد اليمن جنوبا.

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (١٥٨).

(٢) المصدر نفسه، ص (١٥٨).

ويجدر بنا أن نقسم جهاد الشيخ إلى قسمين :

الأول : جهاده في نجد (توحيد نجد) .

الثاني : جهاده خارج نجد (توحيد معظم الجزيرة العربية) .

أولا : جهاده في نجد (توحيد نجد) :

من الطبيعي أن تكون بداية جهاد الشيخ محصورة في نجد وحدها ، وذلك لأن مركز دعوته "الدرعية" تقع في وسط نجد تقريباً ، ولذلك لابد أن تعمل الدولة على ضم البلاد المجاورة لها تدريجاً ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، فإن الشيخ كان يرى أن مجال نشاط دعوته هي منطقة نجد ، فقد قال للأمير عثمان بن معمر أمير العيينة عندما التقى به- بعد خروجه من حريملاء- " إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتمتلك نجدا وأعرابها[1] " ، وهذا يدل على أن الشيخ كان يؤمل أن يحمل نجداً وحدها في بادىء الأمر على الإسلام الخالص من شوائب الشرك ، وبعد ذلك يفكر في ضم البلدان الواقعة خارجها . ويؤيد ذلك رسائله التي وصلت إلى حاكم الأحساء وعلمائها والحجاز وعلمائه ، وكذلك العراق ، بل إنها وصلت إلى بلاد المغرب الإسلامي[2] .

أما من ناحية جهاده في نجد فقد كان على ثلاث مراحل هي[3] :

المرحلة الأولى : من بداية الحرب بين الدرعية وبين خصومها سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م حتى بداية التدخل الخالدي ضدها سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م .

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٣٨).

(٢) انظر: محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية.

(٣) عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١) ص(٩٣).

المرحلة الثانية: من سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م حتى استيلاء الدرعية على الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م.

المرحلة الثالثة: من سقوط الرياض حتى استكمال توحيد نجد في مستهل القرن الثالث عشر الهجري.

المرحلة الأولى: من ١١٥٩- ١١٧٢هـ/ ١٧٤٦- ١٧٥٩م:

تميزت المرحلة الأولى من جهاد الشيخ في نجد بتمركز الصراع بين جيوش الدعوة وبين حاكم الراياض دهام بن دواس، فقد حدثت بينهما حوالي تسع عشرة معركة كان زمام المبادأة في أكثرها للدرعية، كما تخلل هذه المعارك صلح واحد لجأ اليه دهام سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م، وكان بداية العداء بينهما اعتداء دهام على منفوحة سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.

ولما استجاب أهل منفوحة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودخلوا في طاعة الأمير محمد بن سعود، أصبحت الرياض محصورة بين الدرعية شمالا، ومنفوحة جنوبا، ولذلك أصبح لزاما على دهام بن دواس أن يختار أحد الأمرين: إما أن يضم إلى هذه الدعوة الجديدة، وإما أن يعاديها على القضاء عليها وهو ما حدث فعلاً، فقد سار بأهل الرياض ومعه سكان البوادى من آل ظفير، وقصد منفوحة، واستطاع أن يستولي على قصر الإمارة بعد أن خرج أهل البلدة لمطاردة جيشه، إلا أن استيلاءه عليها لم يدم طويلا، فقد رجع بعض أهل البلدة، وصعدوا إلى البيوت العالية المشرفة على قصر الإمارة، وأخذوا يرمون دهاماً ومن معه حتى تمكنوا من طرده عن البلدة بعد أن قتلوا فرسه وجرحوه، وقتلوا من جماعته أحد عشر رجلا[1].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق جـ (١)، ص ص (٩٠، ٩١).

وهذه المعركة كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت نار الحرب بين دهام وبين الدرعية على مدى ثمانية وعشرين عاما .

وقد كان جواب الأمير محمد بن سعود على هذا العداء ، أن بعث بسرية إلى الرياض ليلا ، تمكنت من دخولها ، حتى أتت إلى باب القلعة التي فيها قصر دهام ، فشذبوا الباب بالمنشار ، ورموا دهاما بالرصاص وهو في عليته ، ثم عادوا إلى الدرعية[1] .

ثم توالت المعارك بينهما حتى سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م ففي هذه السنة طلب دهام الهدنة من الأمير محمد بن سعود على أن يقدم له خيلاً وسلاحاً ، وأن يسمح له بأن يرسل عالما من قبله لكي ينشر في بلده أحكام الدين[2] .

على أن هذه الهدنة لم تدم أكثر من عام واحد ، فقد نقضها دهام في شعبان من سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥[3] فعادت العلاقة بينهما إلى سابق عهدها .

وفي هذه المرحلة وصلت جيوش الدرعية إلى الزلفي سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥١م ، كما استولت على "ثادق" سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م ، وعلى " حوطة سدير " و" جنوبية سدير" سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م .

كما أن هذه المرحلة شهدت انضمام أهل " منفوحة " و" ضرما " ، و" شقراء " و" حريملاء " ، و" القويعية " إلى الدرعية ، وقبولها لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

(١) المصدر السابق، ص (٩١).

(٢) المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٠٢).

(٣) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١٠٤).

ومع ذلك فإن هذه المرحلة لم تخل من بعض العقبات التي كان من أبرزها قضية أمير العيينة عثمان بن معمر .

لما علم عثمان بن معمر أن الشيخ محمد قد استقر في الدرعية، وأن الأمير محمد بن سعود آواه ونصره، حاول إرجاع الشيخ إلى العيينة ووعده النصر والمنعة ولكن محاولته لم تفلح، فقد جعل الشيخ الأمر للأمير محمد بن سعود الذي رفض تلبية طلب الأمير عثمان، فرجع عثمان إلى العيينة: " مضمرا العداوة والشر والغدر، وإن كان يبدى مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد"[1]، ومع أن عثمان أعلن انضمامه إلى الدرعية واشترك مع الأمير محمد بن سعود في حروبه عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م، إلا أن موقفه من الدرعية لم يأخذ طابع الإخلاص، فلم يشترك معها في حربها لدهام بن دواس سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، ثم عاد واشترك معها في سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، ورغبة من الأمير محمد بن سعود في كسب عثمان بن معمر إلى جانبه، فقد جعله ابتداء من هذه السنة القائد العام لقوات الدرعية، إلا أنه لم يخلص الوفاء للدرعية، حيث بدرت منه أمور جعلت الشيخ محمد والأمير ابن سعود يشكان في ولائه لهما ثم تأكد لهما غدره سنة ١١٦٣/ ١٧٥٠م، عندما أرسل إلى رئيس ثرمدا يدعوه إلى المجيء إليه، لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالدرعية[2]، ولكن آماله هذه لم تتحقق، حيث تمكن جماعة من قومه الموالين للدرعية من قتله بعد صلاة الجمعة في شهر رجب سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م[3].

---

(١) نفسه، جـ (١)، ص (٨٢).

(٢) المصدر السابق، جـ (١)، ص (٩٧).

(٣) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (٩٧).

ولم تنته العقبات بمجرد التخلص من عثمان بن معمر، فقد نقضت ضرما العهد، وأعلنت عداوتها للدرعية سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥١م[١]، وفي السنة التالية لها استطاع سليمان بن عبدالوهاب- أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب- [٢] أن يكثف من نشاطه العدائي ضد الدعوة، وأثر في أهل حريملاء، فنقضوا العهد، وطردوا أميرهم وأولاده من البلدة[٣]، كما نقضت منفوحة العهد سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م، وطردوا إمامهم فتبعه في يوم واحد نحو سبعين رجلا[٤].

وقد تمكنت الدرعية من القضاء على هذه التمردات، فاستعادت ضرماء بعد أربعة أشهر من نقضها للعهد[٥]، كما استعادت حريملاء سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م[٦] واستعادت منفوحة في المرحلة الثانية من مراحل جهاد الشيخ في نجد وذلك سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م[٧].

---

(١) نفسه، جـ (١)، ص (٩٩)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١) ص. ص (٦٢، ٦٣).

(٢) سليمان بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي. أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عارض أخاه في الدعوة، وكتب رسائل في ذلك منها: (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) و(الرد على من كفر المسلمين بسبب النذر لغير الله)، ثم تاب، فقدم الدرعية سنة ١١٩٠هـ فأحسن الشيخ محمد وفادته، وقام بجميع ما ينوبه ويحتازه من النفقة وبقي في الدرعية حتى توفي سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م.
انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص ٧١، ٧٨، ٢١٠، الزركلي، الأعلام، المجلد الثالث، ص. ص (١٣٠).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٠٠، ١٠١)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق ز، جـ (١)، ص. ص (٦٥، ٦٦).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٠٢) وعثمان بن بشر، المصدر السابق جـ (١)، ص (٦٦).

(٥) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٦٣).

(٦) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (٧٠، ٧١).

(٧) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٢٣، ١٢٤).

ومن الملاحظ أن هذه المرحلة من مراحل جهاد الشيخ، والتي استمرت ثلاثة عشر عاما، كانت الدرعية تواجه فيها قوى محلية مفككة بصفة عامة ولم تتعرض لأي تدخل خارجي، وبخاصة من بني خالد حكام الأحساء، الذين كان تدخلهم في شؤون نجد متوقعا نظرا لقربهم من الدرعية من جهة، ولأن النفوذ الخارجي في إقليم العارض قبيل قيام دعوة الشيخ محمد كان لهم من جهة أخرى[1].

المرحلة الثانية: ١١٧٢هـ- ١١٨٧هـ/ ١٧٥٩- ١٧٧٣م:

تميزت هذه المرحلة بالتدخل الخارجي في شؤون نجد من قبل بني خالد حكام الأحساء سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وسنة ١١٧٨هـ/ ١٧٧٣م، وكذلك غزو رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي[2] لنجد سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٧٣م. ولكن الدرعية والموالين لها ثبتوا في قتالهم، واستطاعوا أن يصدوا جنود الأحساء، وأن يحولوا بينهم وبين الاستيلاء على الدرعية، كما صالحوا رئيس نجران، وتبادلوا الأسرى فيما بينهم، وعاد هو إلى بلاده.

وكان أول هذه التدخلات هو الجيش الذي قادة حاكم الأحساء عريعر بن دجين واتجه به إلى نجد، وقد انضم إليه المعارضون للدعوة من أهل سدير والوشم والخرج، وذلك في سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م[3].

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص (٩٦).

(٢) الحسن بن هبة الله المكرمي، من الشيعة الإسماعيلية، ويمت بنسبه إلى قحطان، توفي في طريق عودته من نجد إلى نجران سنة ١١٨٩هـ.
انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص (٩٣، ١٢٦).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١١١).

ولما علم قادة الدرعية بعزم عريعر بن دجين على الخروج إلى نجد، أصدر الأمير محمد بن سعود أمره إلى جميع البلاد الموالية له بالاستعداد لهذا الغزو، والتحصن بما يكفي للوقوف ضده، كما أحاط ابنه عبدالعزيز الدرعية بسورين عليهما البروج لمراقبة جيش ابن عريعر ومنعه من تسلق السور والدخول إلى الدرعية[1].

لما خرج جيش ابن عريعر من الأحساء، وانضم إليه المعارضون للدرعية، قصدوا حريملاء، ففشلوا في الاستيلاء عليها، ثم ساروا الى الجبيلة، فحاربوا أهلها أياماً، ثم انصرفوا عنها بعد أن خسروا ستين قتيلا، دون أن يحققوا الغرض الذي قدموا من أجله، فعاد بنو خالد إلى الأحساء بينما رجع المعارضون إلى بلادهم[2]، وقد جنوا الويل على أنفسهم، لأن ابن سعود سينتقم منهم، خاصة وأن حليفهم حاكم الأحساء قد رجع إلى بلاده خائباً، وتركهم وحدهم في مواجهة ابن سعود.

وقد كان لهذا الغزو الخالدي، والذي نجحت فيه الدرعية والموالون بالصمود ضده، وإجباره على العودة من حيث أتى، أثره الواضح على أتباع الدرعية وعلى خصومها، ففي الوقت الذي ارتفعت فيه معنويات أتباع الدرعية، نجد أن خصومها قد أخذ الخوف منهم كل مأخذ، وصار كل منهم يدافع عن بلدته قدر استطاعته، على أن بعضهم قد لجأ إلى

---

(١) المصدر نفسه، ص (١١١).

(٢) المصدر نفسه، جـ (١)، ص. ص (١١١، ١١٢)، عثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (٨١، ٨٢).

مصالحة الدرعية مقابل مبلغ من المال، فقد طلب أهل المحمل[1] من الشيخ محمد والأمير ابن سعود الانضمام إليهما ومبايعتهما على السمع والطاعة، مقابل أن يعطوهما نصف زرعهم وربع ثمارهم[2] كما طلب أهل القصب الصلح من عبدالعزيز بن محمد بن سعود على نخيلهم بثلاثمائة أحمر، والدخول في طاعته[3] وفي سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م وفد أهل الفرعة إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود فبايعوهما على السمع والطاعة فلما رجعوا إلى بلدتهم أخذوا يضيقون الخناق على أهل أشقير حتى أجبروهم على الانضمام إلى الدرعية سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م[4].

وكان من نتائج نجاح الدرعية في صد هجوم بني خالد، أن أخذت جيوشها تقاتل في أماكن لم تصل لها من قبل، بل إنها وصلت إلى الأحساء سنة ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود[5].

وإذا كانت الدرعية لم تفكر بالاستيلاء على الأحساء في هذا الوقت، إلا أنها أثبتت لخصومها وبخاصة في نجد مدى قوتها، وأنه

---

(١) المحمل: إقليم في نجد يشتمل على قرى كثيرة متقاربة منها: ثادق ـ البير - الصفرات ـ رغبة ـ الرويضة ـ الحسي ـ دقلة ـ حليفة.. وغيرها.
انظر: عثمان بن بشر، المصدر الساب، جـ (١)، ص (١١٣).

(٢) المصدر نفسه ، جـ (١)، ص (٨٢).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١١٢)، وعثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨٢).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١١٦).

(٥) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١١٨)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٩٠).

باستطاعتها أن تصدر نشاطها الحربي إلى خارج نجد، الأمر الذي جعل أشد أعدائها دهام بن دواس يلجأ إلى الصلح معها سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، ويقبل الشروط التي شرطتها عليه مقابل هذا الصلح وهي: أن يدفع ألفي أحمر معجلة، وأن يرد لأتباعها الذين هاجروا من الرياض إليها، أموالهم التي تركوها هناك[١].

ولعل أهم العقبات والصعوبات التي واجهت الدرعية في هذه المرحلة هي: هجوم رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي على نجد سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. فقد حدث أن أغار فريق من العجمان على جماعة من سبيع سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، وسلبوا أموالهم، فلما وصل الخبر إلى عبدالعزيز بن محمد بن سعود- وكان يقاتل أهل نجد المعارضين للدعوة- لحق بالعجمان حتى أدركهم عند قذلة فهزمهم وقتل منهم نحو خمسين، وأسر أكثر من مائتين، كما أخذ ما معهم من الخيل والركاب[٢]. وقد فر من نجا منهم إلى نجران، فاستنجدوا برئيسها الحسن بن هبة الله، وأخبروه بما جرى لهم، فجمع جيشه، وخرج في سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م إلى نجد يدفع عاملان:

الأول: اختلاف مذهبه الديني الباطني مع عقيدة قادة الدرعية وأتباعهما.

الثاني: صلة النسب بين القبائل التابعة له، وبين قبيلة العجمان التي اعتدى عليها عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقتل منها نحو خمسين رجلا[٣].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١١٩)، وعبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص: (٩٩).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، زجـ (١)، ص (١١٩)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص ،ص (٩١، ٩٢).

(٣) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص (٩٩).

لما خرج رئيس نجران إلى نجد، ووصل الحاير اشتبك مع قوات الدرعية بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فانتصر عليهم، وقتل منهم أربعمائة[1]، وأسر ثلاثمائة، ثم واصل زحفة حتى وصل «الغذوانة» فقاتل أهلها، ثم رجع إلى بلاده بعد أن تم الصلح بينه وبين الدرعية على أن يطلق كل منهما ما عنده من الأسرى[2].

وقد أعاد هذا الغزو النجراني لبلاد نجد الروح والآمال للمعارضين للدعوة من أهل نجد، فحاولوا القضاء على الدرعية بواسطة نجران، حيث وفد إليه كل من: دهام بن دواس رئيس الرياض، وزيد بن زامل رئيس الدلم، وفيصل بن سويط قبيلة الظفير، فأهدوا إليه الهدايا، وهنؤوه بهذا الانتصار، وحثوه على القضاء على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والاستيلاء على الدرعية، فتخضع نجد له، ويكون هو رئيساً على الجميع[3]. كما بعثوا إلى رئيس الأحساء يستحثونه في النهوض إلى نجد لتدهور الأوضاع فيها، وأن الوقت قد حان للقضاء على الدرعية، فأرسل ابن عريعر إلى رئيس نجران يطلب منه البقاء حتى يصل إليه، ليتعاونا معا في الاستيلاء على الدرعية[4].

لكن آمال المعارضين لم تتحقق، فقد صالح رئيس نجران الدرعية، وعاد إلى بلاده قبل أن يصل ابن عريعر إلى نجد، أما ابن عريعر فإنه لما وصل إلى نجد، وعلم بالصلح الذي تم بينهما، عقد العزم للاستيلاء

(١) يذكر ابن بشر أن عدد القتلى كانوا خمسمائة قتيل. انظر: عثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص (٩٤).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٢٠، ١٢١).

(٣) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٩٥).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢١).

على الدرعية، والقضاء عليها، فانضم إليه المعارضون، ثم فرض الحصار على الدرعية لمدة عشرين يوماً، ثم رجع إلى بلاده خائباً، حيث لم يتم له تحقيق ما كان يريده من غزو نجد[١].

وبهذا الانتصار الذي حققته الدرعية ضد خصومها حافظت على قوتها ومكانتها في نجد، فلجأ أشد خصومها دهام بن دواس رئيس الرياض، إلى طلب الصلح معها سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، كما أنها أخذت تكثف من نشاطها الحربي في نجد، فاستردت منفوحة، واستولت على بعض بلدان سدير كما انضم إليها في سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م أهل الوشم والقرى التابعة لهم، وبايعوا قادة الدرعية على السمع والطاعة.

ولعل أهم النتائج التي ترتبت على فشل التدخل الخارجي من بني خالد ومن رئيس نجران، أن أيقنت الدرعية بأنها لن تكون السيد المطاع في نجد، إلا إذا قضت على دهام بن دواس الذي كان وراء تنشيط أي عدوان ضد الدرعية، لذلك نراها بمجرد نقض دهام للصلح الذي بينهما سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م[٢]، تكثفت عملياتها الحربية[٣] ضد الرياض[٤] حتى وصلت إلى ثلاث عشرة معركة[٥]، انتهت باستيلائها على الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م. ففي صفر من هذه السنة خرجت جيوش الدرعية بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى الرياض، وفرضت الحصار عليها، ثم استولت على بعض بروج البلدة وهدمت مرقبها، ثم رجعت بعد أن مهدت السبيل للاستيلاء عليها[٦].

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (٩٥- ٩٨).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢٣).

(٣) المصدر نفسه جـ (١) ص (١٢٧) وعثمان بن بشر المصدر السابق جـ (١) ص.ص (١٠٢، ١٠٣).

(٤) حسين بن غنام المصدر السابق جـ (١) ص (١٢٤).

(٥) انظر: حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص (١٢٥- ١٢٦).

(٦) المصدر نفسه، جـ (١)، ص ١٢٤).

وبعد هذا الهجوم على الرياض، أدرك دهام أنه لا طاقة له بمحاربة الدرعية، نظرا لقوتها المتزايدة من جهة، ولكبر سنه من جهة أخرى، إضافة إلى أن ابنيه دواساً وسعدوناً قد قتلا سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م وفي أثناء استعداده للخروج من الرياض، كان الأمير عبدالعزيز قد خرج من الدرعية يريد تدمير الرياض، والقضاء على دهام، فلما وصل إليها، وجد أن دهاماً قد خرج منها مع أولاده وأعوانه إلى الخرج[١]، ففرض سيادته عليها، وعين فيها أميراً وإماماً[٢].

وهكذا انتهت هذه الحرب بين الدرعية والرياض بعد أن استمرت بينهما على مدى ثمانية وعشرين عاماً، خسرت فيها الرياض حوالي ألفين وثلاثمائة قتيل، وخسرت فيها الدرعية حوالي ألف وسبعمائة قتيل[٣].

وباستيلاء الدرعية على الرياض تخلصت من أكبر عدو لها في نجد، وبدأت تسير الحملات الحربية إلى جنوب نجد حيث الخرج ووادي الدواسر، لأنها أمنت شر الرياض من أن تهاجمها من الخلف. كما ضمت الغنائم التي كسبتها من استيلائها على الرياض إلى خزينتها، فسددت منها الديون التي على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكانت تقدر بحوالي أربعين ألف محمدية[٤]، سبق أن استدانها الشيخ لمساعدة الفقراء من أتباعه[٥].

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢٠).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٣٥).

(٣) المصدر نفسة، جـ (١)، ص (١٣٦).

(٤) المحمدية: نقد كان يتعامل به أهل نجد في ذلك الزمان. انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٢٤٢).

(٥) المصدر نفسه، جـ (١)، ص(٤٦).

والجدير ذكره أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد أرسل إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعد استيلائه على الرياض رسالة يربطه فيها بالله عز وجل، ويأمره بأن يحمد الله ويشكره على هذا النصر الذي أتاه من غير حول منه ولا قوة، حتى لا يغتر بنفسه وبمدى قوته، فيكون سبباً لهزائم ربما تلحق به مستقبلا إذا اتكل على قوته ونسي قوة الله عز وجل. فقال: أحب لك ما أحب لنفسي، وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل، فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري، كان إذا ابتدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خلقنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وأحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت[1].

المرحلة الثالثة: ١١٨٧هـ- ١٢٠٦هـ/ ١٧٧٣- ١٧٩١م:

تميزت هذه المرحلة من جهاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأن الجيش السعودى قد انتشر في نجد فأخذ يقاتل في جنوب نجد وشمالها وشرقها حتى استطاع في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري أن يستولي على معظم شبه الجزيرة العربي ويجعلها تحت ملكه.

وقد شهدت هذه المرحلة انضمام أهل حرمة وأهل المجمعة إلى الدرعية، حيث وفدوا إلى الدرعية سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وعاهدوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير عبدالعزيز على السمع والطاعة لهما.

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٣٥، ١٣٦).

ويبدو أن سقوط الرياض في حوزة الدرعية قد جعل بلاد نجد المعارضة للدرعية تيأس من المقاومة لها مما جعلها تفد إلى الدرعية لتعلن ولاءها للدولة الجديدة .

ولكن هذه المرحلة لم تخل من بعض العقبات والصعوبات أيضا ، ففي سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م ، هجم عريعر بن دجين رئيس الأحساء على مدينة بريدة ، ويبدو أن غرضه من ذلك إجهاد الدرعية بالحرب معها في أطرافها ، خاصة بعد سقوط ساعده الأيمن في نجد حاكم الرياض دهام بن دواس ، فأراد أن يفكك وحدتها تدريجيا حتى يصل إلى الدرعية .

استطاع عريعر أن يستولي على بريدة ، وأن يعين عليها راشدا الدريبي وهرب حكامها من آل أبو عليان إلى الدرعية ، أما رئيسها عبدالله بن حسن فقد أخذه عريعر معه أسيرا ، ولكن شاءت إرادة الله أن تنكسر شوكة عريعر ، فبعد خروجه من بريدة وافته المنية ، فخلفه ابنه بطين على رئاسة بني خالد[١] .

وقد عزم بطين على اتباع سياسة أبية العدائية ضد الدرعية ، إلا أن خلافاً نشأ بينه وبين إخوته ، انتهت بقتله وتولي دجين رئاسة الأحساء ولم يلبث إلا قليل حتى مات ، فتولى أخوه سعدون رئاسة الأحساء . وفي أثناء الخلاف بينهم هرب عبدالله بن حسن أمير بريدة إلى الدرعية[٢] .

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٣٧).

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢٢).

وقد كان لهذا التدخل الخارجي في شؤون نجد، أثر في تشجيع بعض المعارضين للدرعية على أن ينقضوا العهد فقد نقضت حرمة العهد مع الدرعية سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، إلا أن سعود بن عبدالعزيز استطاع أن يخضعها بعد حصار فرضه عليها حتى استسلمت له[(١)] ولكنها مع ذلك لم تيأس فقد اتصل المعارضون فيها برئيس الأحساء الذي لبى طلبهم فقدم إلى نجد سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م وحاصر معهم المجمعة، ولكن محاولته هذه باءت بالفشل، فقد قاومت المجمعة الحصار حتى قدمت إليها الإمدادات من الدرعية بقيادة سعود بن عبدالعزيز، وعندها ترك سعدون الميدان وعاد إلى الأحساء، أما سعود فقد تتبع المعارضين وحاصرهم في حرمة حتى استسلموا له، وطلبوا منه الصلح فوافقهم على أن يطردوا من البلدة عوامل الشر فيها من المعارضين. فوافقوه على ذلك، ثم أمر بهدم سور البلدة وقصورها نظراً لتكرر نقض العهد منهم[(٢)].

وبهذا تكون الدرعية قد فرضت سيطرتها التامة على قلب نجد، فعملت على إخضاع جنوبيها إلى سيطرتها، فكثفت من نشاطها الحربي في جنوبي نجد حيث إقليم الخرج ووادى الدواسر.

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٤٥، ١٤٦)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٣٢ ١٣٥).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٤٧– ١٤٩)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٣٧– ١٣٩).

استيلاء الدرعية على جنوبي نجد :

لقد بدأت الدرعية مناوشاتها الحربية مع أهل الخرج ابتداء من سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، إلا أنها لم تأخذ طابع القوة والعزم للاستيلاء عليها إلا بعد استيلائها على الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م وعندئذ كثفت من حملاتها الحربية على إقليم الخرج .

لقد كانت الدلم أشهر بلدة في الخرج في معارضتها للدرعية، وكان رئيسها زيد بن زامل من أكبر أعداء الدرعية، وكان من الطبيعي أن يأخذ حذره من الدرعية بعد استيلائها على الرياض فاستنجد برئيس نجران سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م ودفع له مبلغ ثلاثين ألف زر[١] دفعة واحدة مقابل أن يعينه في القضاء على الدولة الجديدة في نجد[٢]، وفي السنة التالية وفىّ رئيس نجران بوعده فسار بجيوشه حتى وصل إلى الحائر ففرض الحصار عليها بمساعدة رئيس الدلم ولكن محاولتهم هذه باءت بالفشل، فقد قاومت الحاير الحصار إلى أن عقدت الصلح مع رئيس نجران، فخرج منها إلى ضرماء وتبادل مع أهلها القتال، فرجحت كفة أهل ضرما بمساعدة فرقة من جيش الدرعية لهم المتحالفون في تحقيق مرادهم، ورجع رئيس نجران إلى بلاده، ومات في الطريق من أثر مرض ألم به[٣].

---

(١) الزر: عملة كان يتعامل بها أهل ذلك الزمن، والغالب أنها من الذهب انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢١).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص. ص (١٣٦، ١٣٧).

(٣) المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٣٩).

ومن أهم أسباب فشل المتحالفين في تحقيق مرادهم ما يلي :

١- ارتفاع معنويات أتباع الدرعية بعد استيلائهم على الرياض .

٢- فشل جيوش الأحساء في تحقيق أهدافها في نجد سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م .

٣- انعدام الثقة بين أطراف المتحالفين ، ويتضح ذلك في أن رئيس نجران لم يشترك في هذه الحرب إلا مقابل مال يدفع إليه ، لذلك فإن أي قتال يقوم به فإنه كاف للتدليل على وفائه بالتزامه لمن دفعه إليه .

٤- كذلك فإن المرض الذي أصاب رئيس نجران أثناء الحرب قد أثر في معنويات قومه وعجل بانسحابهم[١] .

وبعد هذه الحرب التي فشل فيها زيد بن زامل لم يبق أمامه إلا الانضمام للدرعية ، فوفد إليها سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م ، وأعلن ولاءه لها ، وأعطى عبدالعزيز كثيراً من السلاح والخيل[٢] .

ولكن يبدو أن الطبع يغلب التطبع ، فقد نقض زيد العهد سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ، فسارت إليه جيوش الدرعية وفرضت الحصار عليه حتى أجبرته على الهرب من بلدته ، فدخلتها الجيوش السعودية بقيادة الأمير عبدالعزيز فأعطى أهلها الأمان إلا أعوان زيد فقد أجلاهم عن البلدة ، وأمر عليها سليمان بن عفيصان[٣] .

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص ص: (١٠٥، ١٠٦).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٤١).

(٣) المصدر نفسه جـ (١)، ص (١٤٢).

على أن هذا الاستيلاء لم يلبث طويلاً، فقد استدعى أهل البلدة أميرهم السابق ووعدوه الانتصار له، فأرسل إليهم ابنه براك، فلما وصل إلى البلدة طرد منها أتباع الدرعية، بعد أن قتل منهم حوالي عشرين رجلا[1]. وبهذا رجعت الدلم إلى سابق عهدها من العداء للدرعية.

وهنا أدركت الدرعية أنه لن يتحقق لها الاستيلاء على الدلم إلا بالقضاء نهائياً على زيد بن زامل، فعملت على إرسال الجيوش المتتالية إلى الخرج وبنوا قصراً أمام الدلم أطلقو عليه اسم قصر البدع وبقيت فيه قوة سعودية لترهق أهل الدلم بالحرب حتى تمهد السبيل للاستيلاء عليها، واستمرت الحرب بينهما إلى سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، ففي هذه السنة استطاعت إحدى كتائب الدرعية بقيادة سليمان بن عفيصان أن تقتل زيد بن زامل وهو عائد من غارة شنها على قبيلة سبيع قرب الرياض[2]. فتولى رئاسة الدلم بعده ابنه براك واتبع سياسة والده تجاه الدرعية، ولكن آماله تبددت، فقد حدث خلاف داخل أسرته أدى إلى مقتله سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م[3].

لقد مهدت هذه الأحداث السبيل لعبد العزيز لكي يستولى على الدلم فسار بجيوشه في هذه السنة وفرض الحصار عليها، ولما يئس أهل البلدة من المقاومة، طلبوا الأمان من عبدالعزيز فأمنهم، ودخل البلدة وعين فيها سليمان بن عفيصان أميراً[4].

---

(١) المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٤٣)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق جـ (١)، ص.ص (١٢، ١٣٠).

(٢) حسين بن غنام المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٧)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٥٢، ١٥٣).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٩).

(٤) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١٦٠).

وقد كان من نتائج استيلائهم على الدلم أن وفدت إلى الدرعية وفود باقي بلاد الخرج، وأعلنت انضمامها إلى الدرعية[1] وبهذا خضع إقليم الخرج إلى السيطرة السعودية في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.
وقد صاحب انتصار الدرعية الحربي في الخرج انتصار سلمي في وادي الدواسر، فقد وفد بعض زعماء الوادي إلى الدرعية سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وأعلنوا ولاءهم لها، كما عملوا على إخضاع بقية أهل الوادي إلى الحكم السعودي، بمساعدة بعض جيوش الدرعية، ولم تأت سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، إلا وقد خضع الوادي بأكمله إلى الدولة الجديدة في نجد.

استيلاء الدرعية على شمالي نجد:

لقد بدأ النشاط السعودي في المنطقة الواقعة شمالي نجد، ابتداء من منطقة القصيم وما يليها شمالا في سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م، وذلك عندما أرسل حمود الدريبي أمير مدينة بريدة إلى الأمير عبدالعزيز كتابا يعلن فيه تبعيته له، ويطلب منه إرسال الجيوش إلى منطقته، ليساعدها في إخضاع المنطقة للدرعية[2].

ولم يتوان الأمير عبدالعزيز في استغلال هذه الفرصة، فأرسل في هذه السنة جيشا بقيادة ابنه سعود إلى القصيم، فلما وصل إلى عنيزة قاتل أهلها، ثم رجع إلى الدرعية[3] وفي السنة التالية قاد الأمير عبدالعزيز الجيش بنفسه واتجه إلى القصيم، فاحتل بلدة الهلالية، ثم وفد عليه فيها أكثر أهل القصيم، وأعلنوا له الطاعة[4].

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٦٠، ١٦١).
(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٠٦).
(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٢٩).
(٤) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١٣٠)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق جـ (١) ص (١١٣).

ويظهر أن انشغال الدرعية بحروبها مع الرياض قد جعلها تترك أمر القصيم إلى أن يحين الوقت المناسب لإخضاعه جميعا، ولما استولت على الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م بدأت تولي القصيم الاهتمام، وبخاصة بعد هجوم عريعر بن دجين رئيس الأحساء عليها سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤، حيث استولى على بريدة، وأمر عليها من قبله راشداً الدريبي، وأسر أميرها من قبل الدرعية عبدالله بن حسن ولكنه أفلت من الأسر في أثناء أحداث الفتنة بين أبناء عريعر، فهرب إلى الدرعية[١].

ولقد حدث أن سارت الأمور لصالح الدرعية، فقد توفي عريعر بعد أن خرج من بريدة، فعاد جيشه إلى الأحساء[٢]، وبذلك صار من اليسير على الدرعية استعادة سيطرتها على بريدة.

من الطبيعي أن الأمير عبدالعزيز لن يرضى باختلال الأمن في بريدة وخروجها عن طاعته، لأنه بخروجها ستخرج باقي مدن المنطقة تدريجيا عن سيادتها. لذلك نجد الأمير عبدالعزيز يرسل في سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م جيشا إلى القصيم بقيادة ابنه سعود الذي اتجه الى بريدة، فحاصرها مدة، ثم أمر ببناء حصن أمامها بعد أن أعياه أمرها، لكي يضيق به على أهل البلدة حتى يستسلموا، وبعد أن تم بناء الحصن ترك فيه حامية من قبله بقيادة عبدالله بن حسن أمير بريدة السابق، وقد استطاع عبدالله أن يضيق الحصار على بريدة حتى طلب أميرها راشد الدريبي الأمان لنفسه وأولاده، فأعطاه عبدالله الأمان، فخرج منها واتجه إلى حليفه ابن عريعر في الأحساء[٣].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٢١، ١٢٢).

(٢) المصدر نفسة جـ (١)، ص (١٣٧).

(٣) المصدر نفسه جـ (١)، ص.ص (١٤٠، ١٤١)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٢٦، ١٢٧).

وبهذا رجعت القصيم إلى السيطرة السعودية، فوفد أمراؤها إلى الدرعية وعاهدوا الشيخ محمد والأمير عبدالعزيز على السمع والطاعة، فجعلهم عبدالعزيز في إمارتهم، إلا أنه ربطهم بإمارة بريدة، حيث جعل عبدالله بن حسن أميرا على القصيم عامة[1].

على أن منطقة القصيم لم تخضع للحكم السعودي بصورة مباشرة إلا في سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، ففي هذه السنة حاولت مدن القصيم الخروج على طاعة الدرعية، ماعدا بريدة والرس والتنومة واستنجدت برئيس الأحساء سعدون بن عريعر، فأنجدها بجيش قاده بنفسه، لأن الفرصة قد حانت له للتدخل في شؤون نجد، وإضعاف قوة الدرعية عن طريق حربها من أطرفها ولكن محاولته هذه لم تنجح، فقد استعصت عليه مدينة بريدة، وقاومت الحصار الذي تجاوز خمسة أشهر، فلما يئس منها عاد إلى الأحساء يجر معه ذيول الهزيمة[2].

وبعد فشل هذه المحاولة رجعت القصيم إلى السيطرة السعودية نهائيا، فقد انتقم أمير بريدة حجيلان بن حمد- الذي تولى إمارة البلدة بعد مقتل أميرها عبدالله بن حسن في الخرج سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م[3] من هؤلاء الخارجين على طاعته، فأخضع القصيم نهائيا للحكم السعودي[4].

---

(١) مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ط. بدون، دائرة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ -١٩٨٣م، تحقيق عبدالله صالح العثيمين ص(٧٨).

(٢) حسين بن غنام المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٥٢- ١٥٤)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٤٦- ١٤٨).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٤٤).

(٤) المصدر نفسة : جـ (١)، ص.ص (١٥٤، ١٥٥).

إلا أن التهديد الخارجي لمدينة بريدة لم ينته بعد، ففي سنة ١٢٠٠هـ ثار بعض زعماء بني خالد على رئيسهم سعدون بن عريعر بمساندة ثويني بن عبدالله رئيس قبيلة المنتفق، فهزم سعدون ولجأ إلى الدرعية[١]، كما أن أمير بريدة حجيلان بن حمد هاجم قافلة تجارية قادمة من العراق إلى جبل شمر فقتل بعض رجالها وأخذ ما معها من أموال لأهل الجبل[٢]، ولهذا خرج ثويني بن عبدالله سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م ومعه من المدافع والبنادق والقنابل مقدار سبعمائة حمل[٣] واستطاع بهذا الجيش أن يستولي على التنومة بعد أن أعطى أهلها الأمان، ثم غدر بهم، وأخذت جيشه تقتل كل من وجدته في طريقها، ولم ينج منهم إلا من استطاع الهرب[٤] ثم اتجه إلى بريدة فصمدت في وجهه، ثم فك عنها الحصار عندما أتاه الخبر بأنه قد حدث اضطراب في بلاده بعد خروجه منها[٥].

وهكذا فشلت جميع محاولات قادة الأحساء في الاستيلاء على القصيم، وعزله عن الدرعية، فبقيت القصيم تحت سيادة الدرعية، وبدأت تعمل على إخضاع البلاد الواقعة شمالا عنها إلى الدولة السعودية. فقد خرج أمير القصيم حجيلان بن حمد سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، بجيوشه إلى جبل شمر، لإخضاعه لسيادة الدرعية، فلما وصل إلى بقعا، رصد لقافلة تجارية لأهل الجبل قادمة من البصرة وسوق

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٢).

(٢) حسين بن غنام المصدر السابق، جـ١، ص ١٦٢. و عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ١، ص ١٥٢.

(٣) ابن بشر المصدر السابق، جـ١ ص ١٥٨.

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٦٣، ١٦٤).

(٥) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١٦٤)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٩).

الشيوخ فاستولى عليها[1]، ثم عاد في السنة التالية إلى الجبل ولم يرجع منه إلا وقد أخضعه تحت السيطرة السعودية[2].

وكان الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليهم حجيلان بن حمد من أهم عوامل إخضاع هذا الإقليم للسيادة السعودية، فقد كان يحارب من يمتنع عن الدخول في طاعته، ويستولي على أمواله، كما يستولي على التجارة الخارجية لهم؛ كذلك فإن إدراك زعماء الجبل لقوة الدولة السعودية الجديدة، واقتناع بعضهم إلى حد ما بصحة مبادئ دعوة الشيخ كانا من الأمور التي سهلت دخول الجبل في طاعة آل سعود[3].

وبعد أن ضمت الدولة السعودية جبل شمر إلى ملكها، بدأت تنظر إلى البلاد الواقعة عنه شمالا، فسيرت جيوشها من الوشم والقصيم والجبل بقيادة محمد بن معيقل أمير الوشم إلى الجوف، فقاتلت بلاد الجوف بلدة بلدة حتى أخضعتها للسيادة السعودية، وبايعوا على السمع والطاعة[4].

وهكذا أصبحت نجد وما يحدها شمالاً جزءاً من الدولة السعودية الجديدة في نجد.

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٧).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٦٥).

(٣) عبدالله العثيمين تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص ص: (١٠٩١– ١٠١٠).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٨٨).

ثانيا : جهاد الشيخ خارج نجد : (في الجزيرة العربية) :

١- في شرق الجزيرة العربية :

يعتبر إقليم الأحساء من أكبر أقاليم الجزيرة العربية التي ناوأت الدولة السعودية الأولى، والتي ارتبطت معها بعلاقات عدائية قبل قيامها فقد كانت الأحساء تحت إمارة بني خالد مستقلة عن الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت، كما كان لها بعض النفوذ في نجد إذاً لابد لها أن تسلك مسلك العداء ضد الدولة الجديدة التي ستنافسها على نجد، بل ولربما مدت نفوذها إلى الأحساء بعد أن تنتهي من توحيد نجد تحت سيادتها. لذلك نرى أمير الأحساء سليمان بن محمد بن غرير يأمر عثمان بن معمر بطرد الشيخ من بلده أو قتله حتى لاتقوم في نجد دولة تنافسه فيها.

وبعد انتقال الشيخ إلى الدرعية، وقيامه بقتال أهل نجد المعارضين له، نرى قادة الأحساء يقومون بمساعدة هؤلاء المعادين للدرعية والخارجين عليها، وأحيانا يقومون بإرسال الجيوش إلى نجد للحد من سيطرة الدرعية عليها، كما حاولوا مساعدة رئيس نجران في حربه للدولة الجديدة في الحاير سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، وكذلك سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م.

فكانت الأحساء بذلك خلف كل عملية عدائية ضد الدرعية ابتداء من سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م حتى سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، فبعد هذه السنة أدرك قادة الأحساء أنه ليس باستطاعتهم محاربة الدرعية في عقر دارها، أو في أي بلد من البلاد الخاضعة لها. وبدأت الدرعية هي التي تسير الجيوش إلى الأحساء حتى تمكنت من الاستيلاء عليه سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م.

ففي سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م وصلت جيوش الدرعية بقيادة سعود بن عبدالعزيز إلى قرية العيون في الأحساء وغنموا منها ما كان في القرية من الحيوانات والأمتعة والقوت[١].

ومن أهم العوامل التي جعلت الدرعية تعمل على إخضاع المنطقة إليها ما يلي: -

١- الموقف العدائي الذي وقفه قادة الأحساء تجاه الدرعية لفترة طويلة.

٢- رغبة الدرعية في نشر دعوتها الإصلاحية في شرقي الجزيرة العربية [لوجود المذهب الشيعي الذي لايتفق مع مبادئ دعوتها].

٣- رغبتها في توسيع رقعة مملكتها.

٤- أهمية المنطقة الاقتصادية لثروتها الزراعية من جهة، ولوقوعها على الخليج العربي مما يساعد على نماء تجارتها الداخلية والخارجية.

٥- استقلال المنطقة عن الدولة العثمانية التي كان قادة الدرعية يتحاشون الصدام معها في تلك الفترة[٢].

وقد حانت الفرصة السانحة للسعوديين للاستيلاء على الأحساء سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، حيث حدثت فتنة ثار فيها دويحس بن عريعر على أخية سعدون، وساعده في ذلك عبدالمحسن بن سرداح المهاشير من بني خالد وآل صبيح وثويني بن عبدالله رئيس المنتفق، وتمكن سعدون من الهرب إلى الدرعية[٣].

---

(١) المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٥٧، ١٥٨).

(٢) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١) ص: (١١٦).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٦١).

وبعد إيواء الدرعية لسعدون بن عريعر، ساءت علاقتها مع الأحساء أكثر مما كانت عليه من قبل، حيث حاولت الأحساء الاستيلاء على القصيم للمرة الرابعة سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، ولما فشلت في ذلك، أراد الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن يبد أهم بالقتال، وأن يشغلهم في الدفاع عن بلادهم، خاصة وأنه قد تم له إخضاع منطقة نجد وما يليها من الشمال والجنوب إلى ملكه، فيحول بذلك بينهم وبين التدخل في شؤون نجد من جهة، ويحاول بسط نفوذه عليهم من جهة أخرى.

فأرسل في سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م جيشا بقيادة سليمان بن عفيصان إلى الأحساء فهجم على بلدة الجشة، ثم على ميناء العقير، فأخذ ما فيه من الأموال، وأشعل في بيوته النيران[١] وفي السنة التالية أرسل الأمير عبدالعزيز ابنه سعود على رأس جيش إلى الأحساء، فحارب جيوش دويحس وعبدالمحسن، ولم تستمر الحرب بينهما طويلاً، فقد خشي سعود خيانة بعض الأعراب الذين معه فرجع إلى الدرعية، ثم خرج منها في نفس السنة أيضا، وتوجه إلى المنتفق حيث ثويني بن عبدالله، فالتقت جيوشه بجيوش ثويني، وتمكن في النهاية من الانتصار عليهم، وغنم منهم غنائم كثيرة[٢] ثم هاجم المبرز وقرية الفضول في شرق الأحساء وتمكن من اقتحام القرية، فقتل أهلها وأخذ ما فيها من المال والسلاح والحيوان والأمتعة والطعام[٣].

(١) المصدر نفسه، جـ (١)، ص.ص (١٦٩، ١٧٠)، وعثمان بن بشر المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٦٢، ١٦٣).

(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٦٨).

(٣) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧١، ١٧٢).

على أن أهم المعارك التي وقعت بين الدرعية والأحساء، كانت في سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، ففي هذه السنة التقت جيوش الدرعية بقيادة سعود بن عبدالعزيز- وكان معه زيد بن عريعر الذي هرب إلى الدرعية مع أخيه سعدون سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، وجيوش الأحساء بقيادة دويحس بن عريعر وعبدالمحسن بن سرداح، وذلك عند جبل غريميل قرب الأحساء، واستمرت المعركة بينهم ثلاثة أيام استطاع فيها جيش سعود أن يلحق أكبر هزيمة لجيوش الأحساء، وأجبروا دويحس وعبدالمحسن على الفرار إلى المنتفق، ودخلت جيوش السعودية إلى الأحساء، وغنمت منها غنائم كبيرة، وأمر سعود على الأحساء زيد بن عريعر[1].

ومن الملاحظ أن السعوديين لم يتمكنوا من الاستيلاء على الأحساء نهائيا بعد هذه المعركة، فقد تمكن براك بن عبدالمحسن بن سرداح من الاستيلاء على إمارة الأحساء، وذلك بعد أن غدر زيد بن عريعر بأبيه (عبدالمحسن) حيث دعاه إلى الأحساء لكي يتنازل عن الرئاسة له، فلما قدم إليه قتله[2].

وبذلك ساءت علاقات الدرعية مع الأحساء، فوجهت الدرعية جيوشها بقيادة سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م إلى القطيف وتمكنت من الاستيلاء عليها فأحرقوا كتب الشيعة فيها[3].

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٧٠).

(٢) المصدر نفسه، جـ (١)، ص (١٧٩).

(٣) نفسه، جـ (١)، ص (١٧٨).

على أن الدرعية لم تتمكن من الاستيلاء على إقليم الأحساء إلا في سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وذلك بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بسنتين، حيث استمرت الحروب المتواصلة بينهما في سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وكذلك سنة١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، حتى تمكنوا في هذه السنة من الاستيلاء على إقليم الأحساء كله، وضمه إلى سيادتهم وأمر عليه عبدالعزيز من قبله براك بن عبدالمحسن بن سرداح[1].

٢- في غرب الجزيرة العربية: (الحجاز):

لقد تأخر تدخل أشراف الحجاز في شؤون نجد الداخلية بطريق مباشر حتى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، أي بعد أن مضى على جهاد الشيخ قرابة خمسة وأربعين عاما، ويمكن إرجاع ذلك لعدة أسباب هي:

(١) أنهم لم يكونوا مدركين لقوة الدولة الناشئة في نجد.

(٢) أنهم كانوا يعتقدون أن المعارضة النجدية قادرة على القضاء عليها.

(٣) أنهم كانوا يرون أن منع أتباعها من الحج سترفع من معنوية معارضيها المحليين.

(٤) أنهم كانو يرون أن الدرعية لو انتصرت على معارضيها المحليين، فإن حكام الأحساء سوف يقضون عليها، نظراً لقربهم من جهة، ولكون نفوذهم فيها بارزاً قبيل ظهور دعوة الشيخ من جهة أخرى[2].

---

(١) انظر: حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٨١- ١٨٩) وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (٢٠٠- ٢٠٧).

(٢) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص (١٢٦).

على أن علاقة الشيخ محمد بالحجاز قد بدأت قبل هذا التاريخ، إلا أنها لم تأخذ طابع الحرب المباشرة إلا في هذه السنة، أما قبلها فكانت تتمثل إما بمنع أتباع الدعوة من الحج، وإما بالموافقة لهم بتأدية هذه الفريضة، وإما بطلب عالم من أتباع الشيخ يبين لهم حقيقة الدعوة.

وقد كان أول لقاء بينهما - حسب ما ذكره ابن غنام- تم في سنة ١١٨٣هـ، عندما صادفت جماعة من أتباع الدرعية فرقة للأشراف يقودها الشريف منصور، فأسرتها، ولما سلمتهم للأمير عبدالعزيز بن محمد أطلق سراحهم دون فداء، فكافأه الشريف منصور بأن أحضر له إذنا بالسماح لهم بتأدية فريضة الحج[١].

وفي سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م أرسل الشيخ محمد والأمير عبدالعزيز إلى شريف مكة أحمد بن سعيد ١١٨٤- ١١٨٦هـ/ ١٧٧٠- ١٧٧٢م، من يبين له حقيقة الدعوة تلبية لطلبه، وكان الرسول هو الشيخ عبدالعزيز الحصين الذي سار إلى مكة ومعه رسالة من الشيخ فيها مدح للسلطان والدعاء له بالنصر والتأييد، وامتثاله للأمر بإرسال من يبين له حقيقة الدعوة، فلما وصل الرسول اجتمع بالشريف ومعه بعض علماء مكة، وأجابهم على الأسئلة التي طرحوها عليه، وكانت تدور حول ثلاث مسائل.

الأول: التكفير على العموم.

الثانية: هدم القباب التي على القبور.

الثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة.

---

(١) حسين بن غنام المصدر السابق، جـ (١)، ص ص (١٣٠- ١٣١).

وقد أجابهم بأن الأولى: زور وبهتان، وأن الثانية: هي عين الحق والصواب، والثالثة: من الشرك الذي فعله القدماء. وقد اقتنعوا بإجابته بعد أن أحضروا كتب الحنابلة[1]. ومن هنا تحسنت العلاقات بينهما، إلا أنها لم تستمر طويلا، ففي السنة التالية أبعد شريف مكة أحمد بن سعيد عن الحكم، وحل محله سرور بن مساعد ١١٨٦ - ١٢٠٢هـ/ ١٧٧٢-١٧٨٨م الذي سار على سياسة عدم التفاهم مع الدرعية، واستمر على موقفه هذا لأكثر من عشر سنوات، فلم يسمح لهم بتأدية الحج إلا في سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م عندما توددوا إليه ومنحوه هدايا ثمينة من الخيل والإبل[2] ومن المرجح أن هذا السماح لم يكن إلا لسنة واحدة فقط[3]، حيث عادت العلاقات إلى سابق عهدها واستمرت إلى وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، ثم تولى بعده شرافة مكة أخوه الشريف غالب ١٢٠٢هـ/ ١٢١٨هـ/ ١٧٨٨ - ١٨٠٣م، ولم يتصل بالأمير عبدالعزيز إلا في سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م حيث طلب منه أن يرسل من يبين لهم حقيقة أمرهم، فأرسل له الشيخ عبدالعزيز الحصين مرة أخرى، ولكنه في هذه المرة لم يقنع علماء مكة بصحة مبادئ دعوة الشيخ، فقد رفضوا أن يقابلوه، وحثوا الشريف على طرده، وهددوه بسوء نوايا الدرعية[4].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٣١- ١٣٣).

(٢) المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٥٧).

(٣) عبدالله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ص: (١٢٥).

(٤) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٣- ١٧٥) وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٠- ١٧٢).

ومن هنا بدأت العلاقات تتأزم بينهما، فدخلت مرحلة اللقاء المسلح من جانب الشريف غالب الذي جهز جيشاً كبيراً من البدو والحضر، وأرسله في سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م تحت قيادة أخيه عبدالعزيز الذي سار إلى نجد، فانضمت إليه وهو في طريقه إليها قبيلتا مطير وشمر، فلما وصل إلى السر فشل أمام قوة من الدرعية، فتراجع إلى الشعراء، وهنا وصلته الإمدادات بقيادة أخيه الشريف غالب، ومع ذلك فقد فشلا في إحراز أى انتصار لهما، فانسحبا إلى مكة[١].

وكان انسحابهما بمثابة انتصار للدرعية التي كثفت من هجماتها على الأعراب الذين وقفوا إلى جانب الشريف حتى استطاعت أن تؤدب قبيلتي شمر ومطير، وأن تغنم منهما غنائم كبيرة تجاوزت ستة آلاف من الإبل، ومائة ألف من الغنم[٢].

وفي الوقت الذي أحرزت فيه الدرعية هذا الانتصار الكبير على شريف مكة وعلى القبائل الموالية له، فقد فقدت الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث توفي في ذي العقدة سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م، إلا أن وفاته لم تثن عزمها على مواصلة الجهاد، وتكوين دولة تضم معظم شبه الجزيرة العربية، فأثخنت قوة الشريف غالب الذي استنجد بالدولة العثمانية- صاحبة الخلافة الإسلامية- في سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وأرسل إليها من يخبرها بتزايد خطر الحركة الجديدة في نجد، ولكنها لم تكترث لهذا الخبر ولم تلتفت إليه[٣].

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٥- ١٧٨)، وعثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٣- ١٧٦).

(٢) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٨- ١٧٩)، عثمان بن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص.ص (١٧٦- ١٧٨).

(٣) أحمد بن زيني دحلان، المرجع السابق، ص (٢٦٣).

وبهذا انفرد الشريف غالب بالمعركة، وتحمل بنفسه عبء الهجمات السعودية التي توالت عليه على يد القبائل التي خرجت عن طاعته، وأعلنت ولاءها للسعوديين، فأثخنته وتوالت انتصاراتها عليه، فمهدت السبيل للأمير عبدالعزيز بأن يضم مكة، حيث دخلتها جيوشه بقيادة ابنه سعود في أوائل شهر محرم سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ثم استولى على المدينة المنورة بعد ذلك بعامين[١] وبهذا خضع الحجاز للدولة السعودية.

وقد جنت الدولة السعودية على نفسها باستيلائها على الحجاز، حيث حرمت الدولة العثمانية من سلطتها الروحية على البلاد الإسلامية، لكونها حامية الحرمين الشريفين، فأخذت تعد العدة لإعادة هيبتها، والقضاء على الدولة السعودية، فطلبت من واليها على مصر محمد علي باشا أن يتولى بنفسه عملية استعادة الحرمين الشريفين، والقضاء على الدولة السعودية، فلبى طلبها، وأرسل ابنه طوسون سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م إلى الجزيرة العربية فلما فشل في مهمته، قاد بنفسه الحملات ضد السعوديين ثم جعل القيادة لابنه إبراهيم باشا، الذي توالت انتصارته على السعوديين حتى تمكن من حصار الدرعية، واستمر حصاره لها سبعة أشهر، ثم استسلمت فدخلها في سنة ١٢٣٣هـ-١٨١٨م، وأخذ الأمير عبدالله بن سعود ١٢٢٩هـ- ١٢٣٣هـ/ ١٨١٤-١٨١٨م، معه إلى مصر، ثم إلى استانبول فقتل هناك[٢].

(١) انظر: ابن بشر، المصدر السابق، جـ (١)، ص (٢٨٨)

(٢) محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، ط (١)، مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، ص: (٨٧).

وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

في يوم الأثنين آخر شهر ذي العقدة سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م توفي الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن عمر يناهز الواحد والتسعين عاما[١]، قضاه في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في بادىء الأمر، ثم أعلن الجهاد ضد أعدائه، حتى تمكن في حياته أن يعيد نجداً إلى الإسلام وينقيها من البدع. كما استطاع خلفاؤه من بعده أن يعيدوا الجزيرة العربية كلها إلى الإسلام الخالص من شوائب الشرك.

فكان الشيخ بذلك قد عاصر مرحلة تطهير نجد مما شابها من أمور الجاهلية، ولم يطل عمره أكثر ليرى جيوش الدولة وهي تدخل الحجاز وتعلن حمايتها للحرمين الشريفين.

---

(١) حسين بن غنام، المصدر السابق، جـ (١)، ص (١٨٠).

الفصل الثالث

دعوة الشيخ عثمان بن فودي

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: ولادته ونشأته.

المبحث الثاني: رحلاته ومؤلفاته.

المبحث الثالث: دعوته.

المبحث الرابع: جهاده.



المبحث الأول

ولادته ونشأته

هو الشيخ عثمان بن محمد- الملقب بفودي[1]- ابن عثمان بن صالح ابن هارون بن محمد- الملقب غورط- ابن جب بن محمد ثنب بن أيوب ابن ماسران بن بوب باب بن موسى جكل[2].

أما أمه فهي: حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال بن جب ابن محمد ثنب بن ماسران بن بوب باب بن موسى جكل[3]. ويلتقي مع أمه في الجد الخامس له الرابع لها.

وينتسب الشيخ عثمان إلى القبيلة الفلاتية[4] التي هاجرت من شمال أفريقية إلى أقاليم فوتاتورو و فوتاجالون في موقع السنغال وغينيا الحاليتين- منذ زمن طويل، واستقرت بهذين الإقليمين زمنا طويلاً، ثم رحل جزء منها إلى جهة الشرق، وعاشوا في مواطن القبائل الهوسية، وذلك في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً، وكان أجداد الشيخ عثمان من بين هؤلاء ولذلك نراه يحافظ على نسبه الأصلي الفلاتي بينما نراه ينتسب إلى إقليم الهوسا في السكن والاستقرار وتعلم فيها العلم والتصوف فانتسب إلى مذهب الإمام مالك وإلى عقيدة الأشاعرة[5] وكان يفتتح بعض مؤلفاته بقوله قال العبد الفقير المضطر

---

(١) فودي معناه الفقيه أو العالم في اللغة الفولانية.

(٢) عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ من أخذت من الشيوخ، ط. بدون مكتب نولا، زاريا، نيجريا ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م، ص (١)

(٣) المصدر نفسه ص (٢).

(٤) القبيلة الفلاتية: تسمى بالفلاتية أو الفلانية.

(٥) عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامة الجهاد، ط.بدون، دار جامعة الخرطوم للنشر١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، تحقيق فتحي حسن المصري،ص (٢).

لرحمة ربه (أو المضطر إلى رحمة مولاه تعالى) عثمان بن محمد بن عثمان الفلاتي نسبا، المالكي مذهباً، الأشعري اعتقاداً الحمد لله رب العالمين[1].

ولقد ولد الشيخ عثمان في قريته (طقل) يوم الأحد آخر أيام شهر صفر سنة ١١٦٨هـ/ ديسمبر ١٧٥٤م[2]، وتربى على يد أبوين صالحين اشتهرا بالعلم والدين، وكان يعرف بكنيته ابن فودي لأن أباه محمد فودي كان عالماً شهيراً وسيداً في قومه بني (عال) الذين كانوا أكثر عشائر الفلانيين عددا كما كانوا أقواهم نفوذا وأشهرهم إسلاماً في ذلك القطر[3].

ولقد تلقى مبادىء العلوم العربية والإسلامية على أكابر العلماء في بلاد الهوسا، فلما نبغ بدأ يؤلف مدائحه النبوية باللغة الفلانية أول الأمر، ثم باللغة العربية بعد ذلك، ولم يتجاوز عمره العشرين سنة بعد بالإضافة إلى ما اشتهر به من صلاح وإجادة لعلوم الفقه والتصوف، ثم أخذ يدعو الناس إلى الدين الإسلامي الصحيح، واجتهد في العلم والتعليم، وإرشاد العامة والخاصة، حتى أصبح له طلبة ومريدون يلازمونه في موطنه (طقل) كما يصحبونه في رحلاته للوعظ والإرشاد

(١) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣١٩)، أصول الولاية وشروطها (مخطوط) مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٥)، مظروف رقم (٩)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيلو، زاريا جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (١١٣).

(٢) محمد ثنب بن أحمد بن مجيل، كنز الأولاد (مخطوط) رقم بدون غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو كانوا، جمهورية نيجيريا، ق (٢٢١).

(٣) عثمان بن فودي بيان وجوب الهجرة على العباد، ص (٢)

في بلاد الهوسا[1].

مشايخ الشيخ عثمان:

أما مشايخ الشيخ عثمان فهم على النحو التالي:

قرأ القرآن الكريم على أبيه محمد فودي وأمه حواء وجدته رقية وأخذ الإعراب وجميع علم النحو من الخلاصة وغيرها عن الشيخ عبدالرحمن بن حمدا.

وقرأ المختصر على عمه وخاله الشيخ عثمان- المعروف ببدور- ابن الأمين بن عثمان بن حم بن عال، وكان شيخه هذا عالماً تقياً مشهوراً بالصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذي اقتدى به الشيخ عثمان في الأحوال والأفعال، فقد صاحبه نحو ستين وتطبع بطباعه في التقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

وأخذ التفسير عن ابن عمه وابن خاله أحمد بن محمد بن الأمين ابن عثمان بن حم بن عال. وهو ابن عم وابن خال الشيخ عثمان، وكان من علماء الفولانيين المشهورين[3].

كما حضر مجلس هاشم الزنفري[4] وسمع منه تفسير القرآن من أوله إلى آخره. كما أخذ علم الحديث عن خاله وعمه الشيخ الحاج محمد بن راج بن مودب بن حم بن عال[5] قرأ عليه صحيح البخاري

---

(١) عبدالقادر بن محمد البخاري، تبشير الإخوان بأخبار الخلفاء في السودان (مخطوط)، مجلد رقم (٤١)، مظروف رقم (٧)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد بيللو، زاريا جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق.ق (٢، ٣).

(٢) عبدالله بن فودي، ايداع النسوخ، ص (٤).

(٣) المصدر نفسه، ص (٥).

(٤) نسبة إلى بلاد زنفرا، إحدى ولايات وممالك الهوسا.

(٥) هو: أبو محمد محمد بن راج بن مودب بن حم بن عال (خال الشيخ عثمان وعمه) من=

جميعه، وأجازه جميع مروياته مما أخذه من شيخه المدني السندي الأصل أبي الحسن علي[1].

ولقد أورد الشيخ عبدالله[2] بن فودي- الشقيق الأصغر للشيخ عثمان، في كتابه تزيين الورقات منظومة بين فيها سنده هو وأخوه عثمان في قراءتهما لصحيح البخاري قال فيها :-

يقول عبدالله بعد الحمد	لله والصلاة في ذي المجد
أخبرنا محمد بن راج	أي عمنا خلاصة الحجاج
الجامع الصحيح للبخاري	والشيخ عثمان عليه القاري
عن شيخه بطيبة أبي الحسن	العالم السندي حافظ السنن
عن شيخه محمد حياة	عن ابن سالم عن الثقات
محمد البابلي المصري	عن سالم أبي النجا السنهوري
عن شيخه القيطي أي محمد	عن شيخ الإسلام بما عن أحمد
ابن علي حجر الشيوخ	عن ابن إبراهيم وهو التنوخي
عن أحمد الحجاز عن زيد	عن عبدالأول عن الداوود

= علماء الفولاني، ومن أئمة علم الحديث فيهم، رحل إلى الحج، وأقام في المدينة المنورة طويلا يطلب علم الحديث، حتى نقل عن أئمته هناك (الصحاح الستة) ولما رجع إلى بلاده عمل بالتدريس،

ومدحه عبدالله بن فودي بقصيدة جاء فيها قوله:-

هنيئا نيل خير بانعراج	إلى حاج شهير بابن راج
صبور فائق العلماء علم	الحديث مضيئة مثل السراج:

انظر:

Fodiyo. A.M, Tazyin Alwaraqat, Edited, with atranalation and introductory study of the author's life and times, M. Hlskett, Tbadon universitv press 1963, p.p 37, 38.

(١) عثمان بن فودي، أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير (مخطوط) رقم (١٤٠)، غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كانو، جمهورية نيجيريا، ق (٢٢).

(٢) هو عبدالله بن محمد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون، وهو شقيق الشيخ عثمان، ولد =

عن السـرخسي عن الفـربري عن البـخـاري العظيم الأمـر[1]

ومنهم كـذلك خاله الشيخ مـحـمـد ثنب[2] بن الشيخ عبـدالله بن الشيخ العـالـم محمد بن سعود بن حم بن عال ، وقد كان هذا الشيخ عالماً حافظاً لشرح الخراشي ، وأخذ عنه الشيخ عثمان الفقه[3] .

ويعتبـر الشيخ جبريل بن عـمر[4] أكبر المشايخ الذين أخذ عنهم الشيخ عثمان واقتدى بهم واقتفى أثرهم ، فقد قال الشيخ عثمان بحق الشيخ جبريل بن عمر :

= سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م، وتوفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م. وكان يصغر أخاه الشيخ عثمان باثني عشر عاماً، وهو مفسر ومحدث، ولغوي وبياني، وقد أخذ من كل فن بتوفر نصيب، ووقف إلى جانب أخيه الشيخ عثمان في الدعوة والجهاد إلى أن تمكنا من إقامة الدولة الإسلامية في غرب إفريقية انظر : محمد بيلو المصدر السابق، ص.ص (١٨٨ ، ١٨٩).

(١) Fodiyo. A.M, Op. Cit. P. 38.

(٢) هو محمد ثنب بن عبدالله بن محمد بن سعد (جد أم الشيخ عثمان)، من علماء الفولاني المشهورين، كان حافظاً لغالب ما قرأ من علوم، خرج إلى الحج وأقام هناك بضع عشرة سنة ثم رجع، ولما وصل قرية (أقدس) (أغاديس)وافته المنية هناك، فدفن فيها وذلك سنة ١٢٠٧هـ. انظر: عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ، ص (٤).

(٣) المصدر نفسه، ص (٤).

(٤) من علماء بلاد الهوسا ، شيخ، علامة، محقق، حج بيت الله الحرام مرتين، وبعد عودته من الحج للمرة الثانية وافته المنية خلال العقد الأول من القرن الثالث عشر الهجري وقد أكسبته رحلته إلى الحج الغيرة على أحوال مجتمعه في بلاد الهوسا ، فعاد من الحج وهو مفعم بالغيرة على مواصلة الجهاد في بلاد الهوسا ولما رأى الشيخ عثمان قد بدأ دعوته في هذه البلاد، بارك له في ذلك وحثه على بذل الجهد لتنقية المجتمع من براثن الشرك
انظر: عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ، ص.ص (٥-٧)، وحسن عيسى عبدالظاهر المرجع= السابق، ص.ص (١٧٣- ١٧٤).

إن قيل في بحسن الظن ما قيلا　　　فموجة أنا من أمواج جبريل[1] .

فقد تلقى الشيخ عثمان عنه العلم، وصاحبه نحو سنة يتعلم منه، وسار معه حتى وصل قرية أقدس (أغاديس)، فرجعه الشيخ جبريل إلى أبيه وسار هو إلى الحج، حيث إن والد الشيخ عثمان لم يأذن له بالمسير إلى الحج، وقد أجازه جميع مروياته وأعطاه ألفية السند الذي ألفه شيخه المصري «المرتضى»[2] وأجاز له جميع مروياته[3].

---

(١) عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ، ص (٧)، ومحمد ثنب بن أحمد بن مجيل المصدر السابق، ق (٣٥٢).

(٢) هو: أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي أحد علماء الحديث في القرن الثاني عشر الهجري نزل مصر، له مؤلفات كثيرة منثورة ومنظومة منها: شرح على القاموس المحيط في عشرة مجلدات وشرح على إحياء علوم الدين للغزالي.
انظر: حسن عيسى عبدالظاهر المرجع السابق، ص (١٧٤)

(٣) عبدالله بن فودي إيدا ع النسوخ، ص.ص (٥-٧).

المبحث الثاني

رحلاته ومؤلفاته

لم يكتف الشيخ عثمان بدعوة الناس إلى الدين الإسلامي في قريته (طقل)، أو في بلاد غوبر فقط، بل تعداها إلى الولايات المجاورة لها، فقد طاف البلاد شرقاً وغرباً يدعو الناس إلى الإسلام، ويعظهم بالعربية والأعجمية، وينهاهم عن العادات المخالفة للشرع، فكان لهذا الطواف نتيجته المباشرة، حيث أتى إليه كثير من الناس، وانضموا إلى جماعته، وأخذوا يستمعون إلى وعظه حتى كثرت جماعته وشاعت عند الملوك، فرأى أن يسير إليهم ليعظهم، ويدعوهم إلى التمسك بالآداب والتعاليم الإسلامية، ولم يلتفت إليهم في بادئ الأمر لأنه رأى أن يبدأ بإصلاح العامة، فلما كثرت جماعته رأى أنه لابد من المسير إليهم[١] فسار إليهم وبدأ يعظهم، ويدعوهم للعودة إلى الدين الإسلامي الصحيح، فصار الشيخ عثمان بذلك يمثل الخصم الأكبر لملوك بلاد الهوسا، وقد بذلوا كل جهدهم للقضاء عليه، وعلى دعوته- وسيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله- إلا أن تصميم الشيخ عثمان على الاستمرار بدعوته، قد أدى إلى الاشتباك مع هؤلا الملوك فتحولت دعوته من الجانب النظري إلى الجانب العملي، حيث اشتبك مع هؤلاء الملوك في معارك متفرقة أدت في النهاية إلى انتصاره، فأقام دولة إسلامية في بلاد الهوسا.

---

(١) Fod yo, A.M. Op. Cit. P. 27.

رحلته الأولى إلى بلاد (كب):

لقد بدأ الشيخ عثمان رحلاته إلى مملكة (كب) في حوالي عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وكان عمره آنئذ قد جاوز الخامسة والعشرين عاماً، وكان يصحبه في هذه الرحلة شقيقه الأصغر (عبدالله)، فلما وصل إليها أخذ يدعو الناس فيها إلى إصلاح الإيمان والإسلام والإحسان، وترك العادات المخالفة لها فتاب كثير منهم وساروا إليه لما رجع إلى بلدته، أفواجاً يستمعون إلى الوعظ، فانتشر صيته في جميع أنحاء مملكة (غوبر)، وازدادت مكانته في وطنه وبين أتباعه وتلاميذه[١].

وبعد عودته من رحلته هذه قيل إن سلطان (غوبر) باوا سيقوم بزيارته في (طقل) وسيقدم له هدية من خمسين رأسا من الأنعام[٢].

زيارته الأولى لملك غوبر (باوا):

لما رجع الشيخ من رحلته التي أدت الثمرة المرجوة منها في بلاد (كب)، ورأى أن جماعته قد كثرت واشتهرت، واشتهر أمره عند الملوك وغيرهم، رأى أن يسير إلى ملك غوبر باوا لتبيين الإسلام الصحيح له ودعوته إليه، فسار إليه ودعاه إلى الدين الإسلامي الصحيح وإقامة العدل في بلاده فوعده الملك خيراً ثم رجع إلى بلده فتمكن بذلك من الدعوة إلى الدين، إذ صار من لا يخاف الله يخاف إنكار أمره لأجل اتصاله بالسلطان، وظل الشيخ على تلك الحال إلى أن رحل إلى بلاد (زنفرا) لدعوتهم إلى الدين[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص (٢٧).

(٢) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (١٩٤).

(٣) Fodiyo, A.M, Op. Cit, P. 27.

رحلته إلى بلاد (زنفرا):

لقد كان أهل (زنفرا) معظمهم من الوثنين والأقلية منهم من المسلمين الذين غلب عليهم الجهل، لذلك رأى الشيخ عثمان أن يقوم برحلة إليهم، ليدعوهم إلى الإسلام ويبينه لهم، فرحل إليهم في حوالي عام (١١٩٨هـ ١٧٨٣م)، وكان قد شارف الثلاثين من عمره[١]، وقد مكث عندهم حوالي خمسة أعوام يدعوهم إلى الدين، ويعلمهم قواعد الإسلام تدريجيا، ولأنهم يأتون إلى مجلس الشيخ مختلطين مع نسائهم، كان الشيخ في بادىء الأمر يقوم بتفرقتهم، فلما تمكن منهم الإسلام، أعلمهم بأن الاختلاط حرام، ثم رجع إلى بلدته (طقل) بعد أن رأى جماعته قد تمكنت في هذه البلاد، واشتغلت بالدنيا، فخاف عليها من ذلك، ورجع إلى وطنه[٢].

زيارته الثانية لملك غوبر (باوا):

لقد أرسل ملك غوبر (باوا) في سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م إلى جميع العلماء في بلاده ليجتمعوا عنده في عيد الأضحى من هذه السنة، فلما حل عيد الأضحى أتى إليه العلماء من كل جهة ومن بينهم الشيخ عثمان وشقيقه عبدالله، فأثنى عليهم الملك، وتصدق عليهم بأموال كثيرة، فاغتنم الشيخ عثمان هذه الفرصة واستغنى عن المال، وطلب بدلاً منه أن يسمح له الملك بإقامة الدين والدعوة إلى الله في هذه البلاد التي انحرف

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر المرجع السابق، ص (١٩٥)

(٢) Fodiyo, A.M Op. Cit, P. 39.

أهلها عن الطريق المستقيم، فأجاب الملك طلبه، وأذن له بأن يفعل في هذه البلاد ما يريد، فرجع الشيخ عثمان لإقامة الدين، ورجع سائر العلماء بالأموال[1].

وهكذا أخذت دعوة الشيخ تخطو خطوات جيدة في سبيل نشر الدعوة إلا أن هذه الخطوات النظرية في الدعوة إلى الدين، تحولت إلى خطوات عملية عن طريق الجهاد، بعد أن وقف في طريقه ملك (غوبر) الذي خلف (باوا) وهو (نافاتا)، حيث اتخذ موقفاً معاكساً لموقف سلفه- كما سيأتي بيان ذلك في محله- إن شاء الله.

رحلته الثانية إلى بلاد (كب):

بعد عودة الشيخ عثمان من عند ملك غوبر (باوا)، أخذ يستعد لرحلته الثانية لتبليغ الدين نحو الغرب حيث بدأ ببلاد (كب) وما جاورها، فرحل إليها ومعه بعض جماعته ومن بينهم شقيقه الأصغر الشيخ (عبدالله)، فجالوا جميع بلاد (كب) مبلغين للدين، حتى وصلوا إلى بحر (كوار)[2]، فاجتازوه إلى الجهة الغربية منه حتى وصلوا إلى بلد يسمى (الو) فبلغوهم الدين، ودعوهم إلى عبادة الله ثم رجعوا إلى موطنهم في (طقل)[3].

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٠).

(٢) كوار: اسم لنهر النيجر في بعض أجزائه التي تجري في بلاد الهوسا وهو الحد الغربي لبلاد الهوسا.
انظر: حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (١٩٦) نقلا عن جنيد، ضبط الملتقطات (مخطوط)، ق (١٩٠).

(٣) Fodiyo, A. M, Op. Cit, p. 39.

رحلته إلى بلاد (زوم):

وفي حوالي عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م رحل الشيخ عثمان، وأخوه عبدالله ومعهما بعض جماعتهم، إلى بلاد (زوم)، فطاف فيها الشيخ يدعو إلى الإسلام وعبادة الله وحده حتى وصل إلى مكان أميرها في (زقو)، ثم رجع إلى بله بعد أن تاب منهم من قدر الله له التوبة[١].

وتجدر الإشارة إلى أن رحلات الشيخ عثمان في بلاد الهوسا، قد جعلته يفهم أمراضها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فوجد فيها أمراضاً يستحيل على أي مصلح أن يسمع إليه قبل أن يقوم بإزالتها تربويا، ومن أخطر هذه الأمراض، الجهل بالتوحيد، حيث كان المسلمون هناك يكفر بعضهم بعضا لأتفه الأسباب، مما أدى إلى ظهور جماعات متنافرة ومتغايرة في اعتقاداتها فبعضهم ركز على علم الكلام واعتبر كل من لم يقرأ فهو كافر، ومن أيد الجهل به فهو كافر أيضا، ومنهم من قال بأن كل من قرأ هذا العلم فهو كافر لامحالة، ومنهم من كفر العوام لجهلهم معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله[٢] . . . الخ.

فلما رأى الشيخ عثمان هذه الأمراض أمامه، أدرك أنه يستحيل عليه القضاء عليها باللسان فقط، بل لابد من محاربتها بالقلم أيضا، فكتب كثيراً من المؤلفات في التوحيد والموحدين، والشرك والمشركين، ابتداء من الحكام وانتهاء بالرعية كما كتب في الفقه والأحكام والتفسير والحديث والتاريخ ونحوها فكانت كتبه شامله لأمور الدين والدنيا.

---

(١) المصدر السابق، ص (٣٩).

(٢) انظر: عثمان بن فودي، إرشاد أهل التفريط والإفراط، ق.ق: (٢٨-٣٨).

مؤلفاته:

لقد بلغت مؤلفات الشيخ عثمان حوالي نيف ومائة وأربعين مؤلفاً باللغتين العربية والفلاتية، وهذا العدد يشمل جميع كتبه من ورقة واحدة إلى مائة ورقة أو أكثر[1] فيدخل تحته الرسائل التي كتبها للعلماء في بلاد الهوسا، وكذلك القصائد التي كتبها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والقصائد التي كتبها في مدح مشايخه ونحو ذلك.

والجدير بالذكر أن الشيخ عثمان لم يكتب باللغة الهوسية أي كتاب لا نظماً ولا بسطا، ما عدا قصيدة واحدة [2] أما مؤلفاته باللغة العربية فهي:

١- نور الألباب.

٢-عمدة البيان.

٣-علوم المعاملة

٤-عمدة العلماء

٥-عمدة المتعبدين

٦-مرآة الطلاب.

٧-حصن الأفهام من جيوش الأوهام.

(١) أحمد بن محمد ثنب بن أحمد بن مجيل، ملحق كنز الأولاد (مخطوط)رقم (بدون) غرفة البحوث والدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كانو، جمهورية نيجيريا، ق (٤٤٢).

(٢) نفسه.

٨-نصيحة أهل الزمان .

٩-أسانيد الفقير .

١٠-أسانيد الضعيف .

١١- السلال الذهبية لسادات الصوفية .

١٢- عمدة العباد .

١٣- كف الطالبين من تكفير عوام المسلمين .

١٤- دعوة العباد إلى كتاب الله .

١٥-أصول الولاية وشروطها .

١٦- ترغيب عباد الله في حفظ علوم دين الله .

١٧- رجوع الشيخ السنوسي عن التشديد على التقليد في عقائد التوحيد .

١٨- تمييز المسلمين من الكافرين

١٩-التصوف .

٢٠- تلخيص .

٢١- الحارث المحاسبي .

٢٢- نصائح الأمة المحمدية .

٢٣- الفصل الأول .

٢٤- سوق الصادقين

٢٥- إحياء السنة وإخماد البدعة .

٢٦- شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل .

٢٧- المسائل المهمة .

٢٨- الجهاد .

٢٩- اتباع السنة وترك البدعة .

٣٠- إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان .

٣١- إرشاد الأمة إلى تيسير الملة .

٣٢- إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط .

٣٣- أصول الدين .

٣٤- أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل .

٣٥- اقتباس العلم للإمام الغزالي .

٣٦- الأسئلة المحررة عن الأسئلة المقررة .

٣٧- الأجوبة المحررة عن الأسئلة المقررة .

٣٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣٩- الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين .

٤٠- السلاسل القادرية .

٤١- الفرق بين ولاية أهل الإسلام وبين ولاية أهل الكفر .

٤٢- النبأ الهادي إلى أحوال الإمام المهدي .

٤٣- أمر الساعة وأشراطها .

٤٤- بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية .

٤٥- بيان وجوب الهجرة وتحريم موالاة الكفرة .

٤٦- تبشير الأمة الأحمدية لبيان بعض المناقب القادرية .

٤٧- تحذير الإخوان من ادعاء المهدية الموعودة آخر الزمان .

٤٨- تحفة الحبيب للحبيب .

٤٩- تطييب قلوب الأمة الأحمدية بذكر بعض القصائد القادرية .

٥٠- تعليم الإخوان بالأمور التي كفّرنا بها ملوك السودان .

٥١- تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان .

٥٢- تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان علم فروض الأعيان .

٥٣- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة .

٥٤- تنبيه الغافلين .

٥٥- رسالة إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي .

٥٦- رفع الشبهات بالتشبه بالكفرة والظلمة .

٥٧- سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان .

٥٨- سوق الأمة إلى اتباع السنة .

٥٩- سوق الصديقين إلى حضرة القدس .

٦٠- شمس الإخوان .

٦١- فائدة .

٦٢- قطع الخصام الذي يقع بين طلبة علم الكلام .

٦٣- قواعد الصلاة .

٦٤- قواعد طلب الوصول إلى الله .

٦٥- كتاب الآداب .

٦٦- كتاب المسائل

٦٧- كتاب الورد .

٦٨- كتاب مدة الدنيا .

٦٩- مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان .

٧٠- مصباح المهتدين .

٧١- أوهام الطلبة في كتب علم الكلام لعلماء الملة .

٧٢- نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان .

٧٣- هداية الطلاب .

٧٤- هل لي مسيرة نحو طيبة مسرعا (قصيدة في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم) .

٧٥- وثيقة الأخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع ودليل اجتناب البدعة لمن يدين بدين الإسلام .

٧٦- وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء إلى الأسواق .

٧٧- وثيقة إلى جماعة المسلمين(١) .

ومن هذه المؤلفات التي خلفها الشيخ عثمان يتضح لنا مدى انتشار اللغة العربية ، ليس في بلاد الهوسا وحدها ، بل في غربي إفريقية كلها ، حيث كان المشايخ السابقون والمعارضون للشيخ عثمان ، يركزون جهدهم على تعليم اللغة العربية ، لأنها لغة الإسلام ، وبواسطتها

---

(١) الأرقام من ١- ٢٨ ذكرها محمد بيللو في كتابه «إنفاق الميسور» مصدر سابق، ص‌ص ٢٠٥- ٢٠٦/ والأرقام من ٢٩- ٧٧ أوردها الدكتور عثمان سيد أحمد البيلي في كتابه «فهرست المخطوطات العربية» مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، ط، دار جامعة الخرطوم للنشر الخرطوم ١٩٨٤م، ص‌ص ٤٢- ٥٣.

يستطيع المرء أن يعرف أمور الدين . إلا أن الشيخ عثمان قد فاقت جهوده لنشر اللغة العربية ، جهود من سبقه من العلماء ، حيث جعل اللغة العربية لغة الدين والعلم والدولة بعد أن تم له إقامة دولة إسلامية في غربي إفريقية ، اتخذت من صكت عاصمة لها [1] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية عندما بدأت محاربتها في مقر الخلافة الإسلامية (تركيا) ، على يد مصطفى كمال أتاتورك ، الذي بذل جهده للقضاء على اللغة العربية ، فبدل الحروف العربية للغة العثمانية ، إلى الحروف اللاتينية ، وأنشأ القومية الطورانية لمحاربة اللغة العربية ، فإن الاستعمار الذي دخل غرب إفريقية ، ومن بينها بلاد الهوسا ، قد عجز أن يقضي على اللغة العربية فيها ، وإن كان قد جعل اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية في الدولة ، وفي التعليم النظامي الرسمي ، حيث بقيت اللغة العربية ، وزاولها الكثيرون في التأليف والتعليم (التعليم الخاص)[2] .

(١) المرجع السابق، ص (١).

(٢) نفسه ، ص (٢).

المبحث الثالث

دعوة الشيخ عثمان بن فودي

لقد ظهر الشيخ عثمان في بلاد الهوسا، وكانت تضم فئات متباينة العقائد والعبادات: منهم المسلم الحقيقي، ومنهم الكافر الصريح، ومنهم من يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر، فضل الطريق المستقيم، واستحدث في الدين أمورا هو منها بري.

وإذا كان الشيخ عثمان يريد إصلاحهم، فإن عليه أن يبين مبادئه التي سيسير عليها، ويدعو إليها، وهذه المبادىء تشمل: العقيدة، والعبادة، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، وكانت مبادئه كالتالي:

مبادئه في العقيدة:

ينتسب الشيخ عثمان في العقيدة إلى مذهب الأشاعرة[1]، كما كان يقرر ذلك في افتتاحه لبعض مؤلفاته، فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما قال الفقير المضطر إلى رحمة ربه عثمان بن محمد بن عثمان الفلاني نسبا المالكي مذهبا الأشعري اعتقادا الحمد لله رب العالمين[2].

---

(١) للتعرف على مذهب الأشاعرة، وهل هم من الفرقة الناجية أم لا؟ انظر: سفر بن عبدالرحمن الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة (١٦)، العدد (٦٢) ربيع الآخر -جمادى الأولى- جمادى لاآخرة ١٤٠٤هـ، الصفحات: (٦٥-١٠٤).

(٢) عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها (مخطوط)، مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٥)، مظروف رقم (٩)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (١١٣).

كما أن الشيخ عثمان في تبيينه لأمور العقيدة بأركانها الثلاثة، الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، يأتي بالأدلة العقلية، ثم النقلية عليها، ويرد الشبه، والانحرافات عنها في إطار مذهب الأشاعرة[1].

وكذلك اتبع الشيخ عثمان منهج الأشاعرة في طريقة تدريسه لأصول الدين، وفي مجالس الوعظ والإرشاد أيضا، كما سيأتي عند الحديث عن الوسائل الفكرية للشيخ عثمان بن فودي.

العبادات:

انتسب الشيخ عثمان في العبادات والأحكام إلى مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، كما أشار إلى ذلك في افتتاحه لبعض مؤلفاته[2]، كما أنه أفتى بأنه يجب أن تكون الفتوى في غرب إفريقية على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وذلك لفقد بقية المذاهب فيها، واستثنى من ذلك العامي إذا عمل عملاً صحيحاً في أحد المذاهب الأخرى، ثم أتى يسأل عن عمله الذي قام به هل هو صحيح أم لا، ففي هذه الحالة لا ينكر عليه، لأن العامي لا مذهب له في الإسلام إلا في الاسم فقط[3].

وجعل لتقليد الأئمة ثلاث مراتب، هي:

الأولى: مرتبة أهل الورع: وهي أن يأخذ المقلد بالأحوط، ويلتزم الأشد في المذهب، فيغسل المني، لأنه نجس عند مالك، ويغسل بول ما يؤكل لحمه لأنه نجس عند الشافعي، ويمسح جميع رأسه ويتدلك، ويفعل الأتم والأكمل في كل شيء، ويترك ما اختلف في تحريمه.

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص(١٩٨).

(٢) عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، ق (١١٣).

(٣) عثمان بن فودي، إرشاد الأمة إلى تيسير الملة، ق.ق (٧-٨).

الثانية: المرتبه الوسطى: وهي أن يلتزم مذهباً واحداً لا يخرج عنه.

الثالثة: مرتبة الأخذ بالرخص: وهي أن يأخذ بالرخص والأسهل في كل مذهب، وهذا لا بأس به عند الضرورات[1].

المبادىء السياسية:

تتركز مبادىء الشيخ عثمان السياسية على إقامة السلطان العادل، فالشيخ عثمان يرى أن إقامة السلطان العادل منفعة عظيمة تنعكس نتائجها على المجتمع، فستحقن الدماء، وتصان المحارم، وتعمر الأسواق، وتحرس الأموال، ويحل الأمن والاستقرار محل الفوضى والاضطراب، أما إذا فقد السلطان، فإن العكس سيحدث، فسينعدم الأمن، ويكون المكان خاليا لأهل الشر والفساد، فلا يتمنى زوال السلطان العادل، إلا جاهل أو فاسق متجاهل لأن صلاح السلطان منوط بصلاح الدارين[2].

ويرى الشيخ عثمان أيضاً أن السلطان يجب أن يتقيد بالضوابط والتعاليم التي فرضها الإسلام على الحكام، وهي:

(١) إخلاص العبادة لله وحده[3].

(٢) العدل بين الرعية والإحسان إليهم.

---

(١) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ق (١١).

(٢) المصدر نفسه، ق (٣٨، ٣٩).

(٣) عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان (مخطوط)مجلد رقم (٧١) مظروف رقم (١) مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا جامعة أحمد. وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق، ق (١١، ١٢).

(٣) اختيار العلماء والوزراء الصالحين .

(٤) حسن الهيبة .

(٥) الرفق بالرعية والتسامح معهم .

(٦) جباية الأموال وصرفها طبقاً للشريعة الإسلامية[1] .

وكذلك فإنه يجب على كل مسلم أن يدخل في بيعة أمير المؤمنين لقوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[2]، وإذا كانت البيعة واجبة ، فإنه يحرم خلع عصا الطاعة إلا بوجه شرعي ، كما إذا أبطل السلطان فرضاً من فروض الإسلام[3] .

المبادىء الاجتماعية والاقتصادية :

استمد الشيخ عثمان بن فودي مبادئه الاجتماعية والاقتصادية من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، فما كان موافقاً لتعاليم الإسلام ، فقد آمن به ودعا إليه ، وما كان منافيا لذلك ، فقد أنكره وتبرأ منه وعمل على محاربته .

ويمكن إجمال مبادئه الاجتماعية والاقتصادية فيما يلي :

١ - وجوب تحقيق المساواة بين الناس على مختلف فئاتهم ، وذلك بإقامة الحدود على الشريف كما تقام على الوضيع ، وكذلك تولية المناصب

---

(١) انظر عثمان بن فودي ، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل (مخطوط) مجلد رقم (١٢٢)، مظروف رقم (٧)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية. ق، (٤٥٤- ٤٧٠).

(٢) آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) عثمان بن فودي، مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان ومن كان بلدهم كبلدهم من الأخوان في جميع الاقطار (مخطوط)، مجلد رقم (٢)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٢).

من يستحقها دون النظر إلى مكانة الشخص الاجتماعية[1].

٢- تحقيق العدل بين الناس، حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، فلا يحق لكبير الورثة أن يستولي على التركة، ويتصرف فيها كيف شاء، بل عليه أن يوزع التركة على الورثة طبقاً للشريعة الإسلامية[2].

٣- تحريم الظلم من الراعي لرعيته[3].

٤- يجب على المسلمين أن يتحدوا ويتماسكوا ضد الكافرين، بتجنب السكن في مساكن الكفار، أو الاختلاط مع أهل البدع[4].

٥- رفع المستوى الثقافي عند المسلمين، وبخاصة تعلم علوم الدين، كالقرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، وأخبار السلف الصالح[5]، ونحو ذلك.

٦- تحريم التلاعب في عقول العوام، باستخدام الشعوذة، وما شابهها في علاج المرضى، أو التكهن بما سيقع لهم في المستقبل[6].

---

(١) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص، ص (٢٧، ٢٨)، إحياء السنة وإخماد البدعة، ص، ص (١٧٩، ١٨٠).

(٢) عثمان بن فودي: نور الألباب، ق، (٢١، ٢٢).

(٣) عثمان بن فودي: أصول العدل، ق، (٤٥٧).

(٤) عثمان بن فودي، تمييز أهل السنة أنصار الرحمن بين نفاق الدين وفساق الدين، ص (٤٣).

(٥) محمد بيللو، المصدر السابق، ص، ص، (٥٦، ٥٧).

(٦) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق، ق(٣٢٧، ٣٢٨).

٧- تحريم الغش في البيع، كخلط اللبن بالماء، وما شابه ذلك[١].

٨- تحريم التطفيف في المكاييل والموازين[٢].

٩- يجب توحيد مكاييل كل بلدة، حتى لا تختلف نسبة الكيل فيها[٣].

١٠- يحرم على الجاهل مزاولة مهنة البيع، حتى لا يقع في المحذور[٤].

١١- إن مهنة البيع والشراء خاصة بالرجال دون النساء، إلا عند الحاجة بشرط ألا يكون هناك اختلاط مع الرجال الأجانب[٥].

موقفه من التصوف:

قبل الحديث عن تصوف الشيخ عثمان، أقدم تعريفاً موجزاً عن التصوف منذ نشأته في القرن الثاني الهجري، وحتى العصر الحاضر، فأقول:

إن التصوف يختلف بحسب المراحل التاريخية التي مر بها، وهي:

١- كان التصوف في مراحله الأولى عبارة عن الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله تعالى، وقد قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: "والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله[٦]".

---

(١) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق، (٢٠).

(٢) المصدر نفسه، ق،، ق (٢٠، ٢١)

(٣) نفسه، ق (٢١).

(٤) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص، ص (٢٤، ٢٥).

(٥) المصدر نفسه، ص، (٢٥، ٢٦).

(٦) ابن تيمية، الفتاوى، مجلد١١ ، ط١٣٩٨هـ، ص١٨.

٢- ثم انحرف التصوف إلى الرهبانية والتعلق بالبدع والمنكرات، وبدأت اتجاهات الطرق الصوفية.

٣- ثم تطور التصوف حتى بدأت فيه الشطحات والضلالات في الأعمال والعقائد، وأخذ طائفة من الصوفية بعقيدة الحلول والاتحاد، فخرجوا من الإسلام[(١)].

وأما المتأخرون من الصوفية، فمنهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول، وهو الزهد في الدنيا مع ممارسة بعض البدع، ومنهم من أخذه طرقا حركات ومظاهر فمارس كثيراً من الشركيات والعقائد الباطنية ومنهم من آمن بعقيدة الحلول والاتحاد فكفر بدين الإسلام.

والشيخ عثمان بن فودي لم يؤمن بعقيدة الحلول والاتحاد، ولكنه لم يكفر أقطابها، حيث إنه يقتبس منهم، ويثني عليهم، ففي كتابه «نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان» يقتبس من كتاب «الفتوحات المكية» لابن عربي، وهو من أبرز أقطاب عقيدة الحلول والاتحاد، كما أنه من أهل الصنف الأول، وهم أهل الزهد في الدنيا والانقطاع لعبادة الله، إذن هو من أهل الصنف الثاني أهل البدع والشركيات، فهو يقول في كتابه «الورد»: "لما بلغت ستاً وثلاثين سنة كشف الله الغطاء عن بصري، والوقر عن سمعي وعن شمي . . . كنت أنظر البعيد كالقريب، وأشم ريح من يعبد الله أحلى كل حلو، والعاصي أقبح كل شيء، وأعرف الحلال والحرام بالذوق قبل بلعه،

---

(١) ناصر بن عبدالله القفاري، وناصر بن عبدالكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط١، دار الصميعي للنشر الرياض ١٤١٣م، ص١٦٦، (٣) المرجع نفسه، ص، ١٦٦.

والحرام كذلك، وأجني بيدي ما كان بعيداً وأنا جالس في مكاني، وأمشي برجلي مالم تبلغه الجياد أعواماً ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وعرفت بدني عضواً، عضواً، عظما عظما، عصبة عصبة، لحمة لحمة فوجدت في خامس أضلعي من جنب الأيمن مكتوبًا فيها الحمد لله رب العالمين عشر مرات، اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم عشر مرات، استغفر الله العظيم عشر مرات»[1]. ثم يقول بعد ذلك « فلمابلغت أربعين سنة وخمسة وبضع ليال جذبني الله إليه فوجدت هناك سيد الثقلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، معه الصحابة والأنبياء والأولياء، ثم رحبوني وأجلسوني وسطهم، ثم أتاني غوث الثقلين سيدي عبدالقادر الجيلاني بثوب أخضر مطرز بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمامة مطرزة ب قل هو الله أحد، وناولهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمهما صلى الله عليه وسلم إلى صدره ساعة، ثم ناولهما إلى أبي بكر الصديق، وإلى عمر الفاروق، وإلى عثمان ذي النورين، وإلى علي كرم الله وجهه، وإلى نبي الله يوسف عليه السلام، وردهما يوسف إلى سيدي عبدالقادر الجيلاني، وعمموني جميعاً بأني منهم، فقال ألبسه، وعممه، وسمه باسم يخصك به، وألبسني وعممني، وناداني بإمام الأولياء . . . . . . وعند ذاك آذنوني بإفشاء هذا الورد الكائن في ضلعي، وواعدوني فيمن تمسك به يشفعه الله جميع مريده ومراده»[2].

وفي اعتقادي أن هذين النصين واضحان، ولا يحتاجان إلى تعليق، حيث إن جميع ما ورد فيهما خرافات وخزعبلات لا يمكن أن

---

(١) عثمان بن محمد فودي، كتاب الورد، مجلد رقم (٥١) غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كنو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ص(١٧٠- ١٧١).

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧١.

تصدر إلا من أصحاب العقائد الباطنية الهدامة، ولو أردت أن أتتبع التصوف عند الشيخ عثمان مما ذكره في مؤلفاته لكتبت فيه مجلداً، ولكن ما ذكرناه هنا يكشف الغموض، ويوضح حقيقة التصوف عنده.

وقد أدخل الشيخ عثمان التصوف تحت باب الإحسان فقال: «أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو باب التصوف، فهو أن يقتدي، كل واحد بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله[1]»، وجعل حقيقة التصوف ترجع لصدق التوجه إلى الله تعالى[2]، كما أن أصول الولاية وشروطها عنده مبنية على ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، والمداومة على الأوراد! وترك الرخص[3].

أما الطريقة التي اتبعها فهي: الطريقة القادرية[4]، وقد ذكر الشيخ عثمان من جملة أسانيده في تلقي العلوم، سنده في لبس الخرقة (العمامة) الصوفية في الطريقة القادرية[5]، وبلغ من تمسكه بهذه الطريقة، وتعلقه بشيخها عبدالقادر الجيلاني، أن توسل به في عجز كل بيت من قصيدة طويلة دعا الله فيها أن يريه ملك الإسلام في بلاد الهوسا، وقد عرب هذه القصيدة أخوه الشيخ عبدالله بن فودي، وقال في مطلعها:

يارب عالم باطن كالظاهر   أجب الذي يدعو بعبد القادر

وختمها بقوله:

---

(١) عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخماد البدعة، ص (٢٣٠).

(٢) عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، ق، (١١٤).

(٣) المصدر نفسه، ق (١١٣).

(٤) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٤٧).

(٥) انظر: عثمان بن فودي، أسانيد الفقير، ق، ق (٩٢-٩٣).

تاريخ هجرته بشير أبشروا   وتوسلوا بالشيخ عبدالقادر[1].

وسائل الشيخ عثمان لإصلاح مجتمعه:

استخدم الشيخ عثمان جميع الوسائل الفكرية، والعلمية لإصلاح مجتمعه، فالوسائل تتمثل: بالوعظ والإشاد، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أما الوسائل العلمية فتتمثل: باتصاله بالملوك وهجرته من بلدته (طقل) إلى (قد) في أطراف بلاد غوبر، وأخيرا حمله السلاح، في وجوه الأعداء.

الوسائل الفكرية:

لقد بدأ الشيخ عثمان دعوته بأن قسم مجتمعه من حيث العقيدة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المسلمون الحقيقيون وهم: الذين يعملون أعمال الإسلام، ولا يظهر منهم شيء من أعمال الكفر، ولا يسمع منهم شيء مما يناقض الإسلام.

الثاني: المخلطون وهم: الذين يعملون أعمال الإسلام، ويظهرون أعمال الكفر، ويسمع من قولهم ما يناقض الإسلام.

الثالث: الكافرون بالأصالة وهم: الذين لم يعرفوا الإسلام، ولم يعملوا به.

وإذا كان القسمان الأول والثالث معروفاً حكمهما، فإن القسم الثاني قد حكم عليهم الشيخ عثمان بأنهم كافرون قطعاً، لا تجري عليهم

---

(١) fodiyo, A. M. op. Cit, P. p.51- 54.

أحكام الإسلام[١].

وبعد أن انتهى من تقسيم طبقات مجتمعه، وضع القواعد التي يفرق فيها بين المسلم والكافر -سواء الكافر بالأصالة، أو الكافر بخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر- وهذه القواعد هي:

(١) أن الإسلام لا يتأكد شرعا إلا بالإقرار بالشهادتين والعمل بما تقتضيهما.

(٢) ألا يسمع من المسلم إنكار شيء مما علم في الدين ضرورة.

(٣) ألا يستهزىء بدين الله بألفاظ الكفر.

(٤) ألا يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر.

(٥) أن من أنكر جميع ما سبق أو واحداً منها فهو كافر قطعاً[٢].

الأوقات التي يجلس فيها للوعظ والتعليم:

استخدم الشيخ عثمان أغلب أوقاته في الليل والنهار لخدمة الدين، فجعل بعض وقته للوعظ، وبعضه للتدريس، وبعضه للتنقل بين بلاد الهوسا لدعوة أهلها إلى الإسلام، فخص ليلة الجمعة من كل أسبوع لوعظ الناس، فيقرر لهم فروض الأعيان للعامة، ويثبت فنون العلم للخاصة، ويربي المريدين والسالكين، حتى أصبح العوام يعرفون فروض الأعيان ويعملون بها، وصار الطلبة علماء مهتدين[٣]، وجعل وقت العصر من كل يوم للتدريس وفيه يفسر القرآن الكريم، ويدرس

---

(١) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ق، (٦٥)، وشفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل،ق،(٣٢٨- ٣٢٤) ونور الألباب، ق، ق،(١ ، ٢)،محمد بيللو،المصدر السابق، ص (٣٢).

(٢) عبدالله بين فودي: ضياء السلطان وغيره من الإخوان، ق، (٣٤ ، ٣٥).

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٦٥).

الحديث الشريف، والفقه، والتصوف، إضافة إلى تدريسه لبعض مؤلفاته، كما جعل بعض أوقاته للتنقل والترحال بين البلاد، فجال بلاد الهوسا يدعوهم إلى الإسلام، حتى وفدت عليه الوفود من العلماء والطلبة والعوام، فاستفادوا منه، وانتشرت تعاليمه في كل البلاد[1].

دروسه في العقيدة:

لما كانت العقيدة هي أساس الدين، فقد أعطاها الشيخ عثمان الأولوية في مجالس وعظه وتدريسه، خاصة وأن مجتمعه مليء بالبدع التي انخرطت بهم إلى الشرك بالله عز وجل، كما أن أغلبهم كانوا من الجهال الذين لا يعرفون التعاليم الإسلامية الصحيحة، لذلك بدأ بتعليمهم التوحيد الخالص، فأخبرهم بأن الله تعالى لم يتعبدهم في التوحيد بما تراه العيون من الحروف التي تكتب في الألواح والصحف، ولا بما تسمعه الآذان من الأصوات، ولا بما تفوه به الأفواه من الألفاظ، ولكنه سبحانه وتعالى تعبدهم بما تعتقده القلوب من معاني أصول الدين المنصوصة في الكتاب والسنة، وهي الواجبة على الأمة في فن التوحيد فقط، سواء حصلت معانيها في القلوب بواسطة القرآن، أو الحديث، أو كلام السلف، أو كتب العلماء، أو بمجرد مخالطة المسلمين[2]. أما التعصب في الدين، وإدخال العوام في شبهات الجدال، وإفساد عقائد المسلمين، والخوض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين فهذه الأشياء بدعة محرمة إجماعاً وليست من الإيمان في شيء[3].

وقد اتبع الشيخ عثمان في أسلوب وعظه وتدريسه أسلوباً متميزاً،

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٦٥)

(٢) عثمان بن فودي، إشار أهل التفريط والفراط، ق (٣٦).

(٣) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (١).

فأخذ يقرر لهم أصول الدين مبتدئا بالإلاهيات، فيفصلها جزءاً جزءاً، ثم ينتقل إلى النبوات، ويتبعها بالسمعيات، فإذا انتهى أورد الأدلة العقلية، ثم الأدلة النقلية، وبهذا يربط العقل بالنقل لتتأكد هذه الأصول عند من حضر مجلسه من العوام، والطلبة، والعلماء، خاصة وأنه يفسر هذه الأصول بلغة الحاضرين[1].

دروسه في العبادات:

أما دروسه في العبادات، فقد كان يجلس إلى أتباعه، ويعلمهم فروض الأعيان، مبتدئاً فيها بالركن الثاني من أركان الإسلام، حتى الركن الخامس، وبعدها ينتقل إلى فروع العبادات الأخرى، كالنذر، والنكاح والبيع، وحفظ الأعضاء الظاهرة من المعاصي، والتحذير من البدع، وعلماء السوء.. إلخ.

أما طريقته في التعليم، فإنه يعلمهم الصلاة فيبدأ بكيفية الاستبراء من البول بالاستنجاء أو الاستجمار، ثم يصف لهم طريقة الوضوء، ومتى يجب، ثم يبين لهم الغسل وعلى من يكون، ثم ينتقل بهم إلى التيمم، ومتى تكون مشروعيته، ويذكر لهم صفته، فإذا انتهى من طرق الوضوء والداعي إليه، انتقل بهم إلى الصلاة، فيبين لهم صفتها، وعدد ركعات كل وقت من أوقتها، وأن كل من نسى صلاة يصليها متى ذكرها، وأن من سها عن سنة مؤكدة، فيرقع صلاته بسجود للسهو، وهو إما قبل السلام، وإما ما بعده ويبين لهم متى يكون قبل السلام، ومتى يكون بعده[2].

وبعد ذلك يتحدث عن الزكاة، ، وأنه ينبغي لمن وجبت عليه أن

---

(١) محمد بيللو المصدر السابق ص (٤٨).

(٢) المصدر نفسه، ص(٥٢- ٥٦).

يخرجها عن طيب نفسه من أطيب ماله، ثم يبين لهم زكاة الفطر، وعلى من تجب وكذلك زكاة المال، وزكاة العين[1].

ثم ينتقل بهم إلى الصوم، وأنه يصام لرؤيته، كما يبين السنة فيه من تأخير السحور وتعجيل الفطور[2].

ويكمل شرحه لأركان الإسلام بذكر الحج، وأنه فريضة على كل من استطاع إليه سبيلاً[3].

ويلاحظ أن مجالس الشيخ عثمان للوعظ والدرس، لم تقتصر على ما سبق، فقد كان في مجالسه أحيانا يوجه النصائح العامة التي تشمل كل متطلبات الإسلام، فحثهم على العلم الذي يصل بهم إلى أرفع درجات الإيمان، ويقول لهم: إن الإيمان الذي ينور الله به القلوب مبني على أربعة أمور هي:

الأول: الاشتغال بتقوى الله عز وجل، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الثاني: الاشتغال بقراءة القرآن الكريم.

الثالث: الاشتغال بقراءة الأحاديث النبوية وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الرابع: الاشتغال بأخبار السلف الصالح - رضي الله عنهم -[4].

وأحيانا يبين لهم فيها بعض الأحكام المتفق على تحريمها عند أئمة

---

(١) المصدر السابق، ص (٥٦).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ق (٨٥).

السلف -رضي الله عنهم- وأنه يجب الإنكار على فاعلها مثل: المرافعة في الناس عند الحاكم، والسعي في أخذ أموالهم بغير حق، وكمراودة المرأة الأجنبية عن نفسها، وكالغصب، وقطع الطريق.. ونحو ذلك، وأما ما لم يجمعوا على تحريمه، ولا يختل نظام الدين لفعله، فإنه لا ينكر على فاعله إنكار التحريم مثل: الطبل، والمزمار، وسماع الغناء، والاجتماع في مواضع التنزهات، وموالد المشايخ، التي يجتمع فيها أخلاط من الناس كمولد السيد أحمد البدوي، وغير ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ عثمان بن محمد فودي في عدم إنكاره إنكار التحريم لمن أرتكب شيئاً من المحظورات السابقة -والتي يرى أهل السنة تحريمها- قد ساير علماء الصوفية، لأنه صوفي قادري.

محاربة الشيخ عثمان للبدع:

لقد بذل الشيخ عثمان كل ما لديه من قوة في البلاغة، والحجة وجودة في الأسلوب، ومعرفة بالأحكام، في سبيل القضاء على البدع المنتشرة في مجتمعه، فأورد في ذمها الأحاديث النبوية، وبين حقيقة البدعة، وحكم إزالتها، كما ذكر موازينها، والأمور التي ينتفي بها إحداثها، واستمر في ذلك معظم حياته، منذ أن بدأ دعوته سنة ١١٨٨هـ وعمره آنذاك قرابة العشرين عاماً، حتى تم له إقامة الدولة الإسلامية في نهاية الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وعمره قد وصل الستين أي أنه قضى قرابة الأربعين عاماً فى الدعوة إلى الدين الإسلامي، وترك البدع المتنوعة، والتي شملت أكثر تعاليم الإسلام، إما بالزيادة، وإما بالنقصان، وإما بإلغائها نهائيا.

وقد جاهد بقلمه، ولسانه، وأخيرا بيده، في سبيل محاربة البدع،

فألف كثيراً من الكتب مثل : "اتباع السنة" وبيان البدع الشيطانية التي أحدثتها الناس في أبواب الملة المحمدية ، و "نور الألباب" وإحياء السنة وإخماد البدعة ، و وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع ودليل اجتناب البدعة لمن يدين بدين الإسلام ، وغيرها كثير ، كما خصص بعض مجالسه للدرس والوعظ لمحاربة البدع ، وكذلك في تنقلاته وتجواله بين مدن وقرى بلاد الهوسا في غرب إفريقية .

خطوات الشيخ عثمان في القضاء على البدع :

بدأ الشيخ عثمان خطواته للقضاء على البدع ، بتعريف البدعة فقال : هي كل أمر ليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع[1] ، كما بين حقيقتها بقوله : "هي إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء أكان بالصورة أم بالحقيقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[2] .

ثم ينتقل الشيخ عثمان إلى ذكر الأدلة في تحريمها ، ووجوب تركها ، فيقول : إن أدلة وجوب ترك البدعة هي أدلة وجوب اتباع السنة ، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده[3] . وأما الأدلة التي أوردها فهي : قال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم

---

(١) عثمان بن فودي، وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع ودليل اجتناب البدعة لم يدين بدين الإسلام، طبدون، طبع شركة قاسيكا، زاريا، بدون تاريخ، ص (٦)، إحياء السنة وإخماد البدعة، ص (٢٢).

(٢) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣٢١)، إحياء السنة وإخماد البدعة ص(٢٢).

(٣) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق(٣٢٠، ٣٢١)، إحياء السنة وإخماد البدعة، (٢٣).

عن سبيله»[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة)[2]، وقال أيضا: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3].

وبعد ذكر الأدلة، يبين لهم حكم البدع، وأن منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، كما يبين لهم حكم إزالتها، وأن منها ما يجب النهوض لإزالته، ومنها ما يندب، ومنها ما يباح، ومنها ما يحرم[4].

البدع التي حذر الشيخ عثمان منها:

من أهم البدع التي حذر الشيخ عثمان منها ما يأتي:

١- التعصب في الدين، وإدخال العوام في شبهات الجدال، وإفساد عقائد المسلمين، وجميع هذه الأمور بدع محرمة إجماعاً[5].

٢- التفاؤل بالأيام بقولهم: هذا يوم صالح، وهذا يوم قبيح، وهذا كذب وزور وبدعة محرمة مخالفة لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يحكم بهذا الجهل، ولا يعمل به، إذ لم يأت شيء من ذلك في القرآن الكريم، ولا في حديث صحيح أو سقيم، وإنما هو منقول من كتب اليهود والنصارى

---

(١) الأنعام: آية ١٥٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، الجزء الرابع، ط، بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص (١٩٨).

(٣) صحيح مسلم، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، المجلد الثالث، ص (١٣٤٣).

(٤) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣٢١).

(٥) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية،ص (١)، إحياء السنة وإخماد البدعة،ص (٤٢، ٤٣).

الذين بدلوا وغيروا في كتبهم كما تهوى أنفسهم[١].

٣- الاشتغال بعلم الحروف[٢] التي لا يفهم معناها، إذ بعضها إساءة أدب، وبعضها كفر، أو صورة كفر، ومن ذلك ما وقع لبعض الناس من أنه كان يقرأ ذلك بحضرة نصراني، والنصراني يضحك منه، فقال له: ما يضحكك، قال: عجبت منك حيث إنك تسب ربك ونبيك وأنت لا تشعر[٣].

٤- الاشتغال بتحصيل المغيبات بطريق الكسب من أحكام النجوم، والفال، والقرعة، والسانح، والبارح، وهذا الفن هو مفتاح كل فتنة في الدين والدنيا، لأن مرجعه إلى الكهانة وهي ضد الحق[٤].

٥- تتبع الفضائل وأنواع المندوبات، وتوهم النجاة بها مع بقائهم على محرمات وذنوب وعيوب لابد من إزالتها، حتى أن كثيراً من هؤلاء يهملون الفرائض، ويكثرون النوافل، ويسارعون إليها[٥].

٦- السكن في مساكن الكفار، أو الاختلاط مع أهل البدع، ومن يعمل ذلك فقد أضل نفسه[٦].

٧- التبرك بالآثار، كالتبرك بالصلاة على القبر، وبناء مسجد عليه، لأن

---

(١) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق (١٠، ١٢، ١٣).

(٢) نوع من الشعوذة.

(٣) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣٢٦، ٣٢٧)، نور الألباب:ق (١٣).

(٤) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق(٣٢٧، ٣٢٨)، نور الألباب ق (١٢، ١٤).

(٥) عثمان بن فودي، أتباع السنة، ق (٣٢٩)، نور الألباب، ق (١٥).

(٦) عثمان بن فودي، تمييز أهل السنة أنصار الرحمن بين نفاق الدين وفساق الدين، ص (٤٣).

الشرع يقضي بعدم الصلاة على المقابر، وعدم بناء المساجد عليها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[1]، وكذلك التدهن من الماء الذي يكون على القبر، أو رفع التراب منه[2].

٨- عدم قضاء الفوائت اعتمادا على أن النوافل تسد مسد الفرائض، وكذلك الصلاة التي يصلونها في آخر جمعة من رمضان، ويزعمون أن من صلاها قد أغنته عن قضاء الفوائت[3]، ومنها أيضا إيثار صلاة غير المهم من صلاة الليالي والأيام الفاضلة، والعمل بالروايات الباطلة مثل: صلاة أول خميس من رجب، وليلة أول خميس من رجب، وليلة سبع وعشرين من رجب، وليلة النصف من شعبان، ووداع رمضان، وصلاة يوم الأسبوع[4].... إلخ.

٩- إقامة الحدود على الوضيع دون الشريف، وكذلك رفض حد الزنا رجما، أو جلداً، والاستغناء عنه بالمال، وكذلك تولية المناصب الشرعية عن طريق الإرث، بحيث يخلف الابن الجاهل والده في القضاء وهو ليس كفؤا لذلك[5].

---

(١) موطأ الإمام مالك، جـ (١) ط بدون، دار إحياء التراث العربي، ص (١٧٢).

(٢) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣٢٩، ٣٣٠)، نور الألباب، ق (١٤).

(٣) عثمان بن فودي، اتباع السنة، بيان البدع الشيطانية، ص، (١٠، ١١) إحياء السنة وإخماد البدعه، ص (١٠٣).

(٤) عثمان بن فودي: اتباع السنة، ق (٣٢٨)، نور الألباب، ق (١٤، ١٥).

(٥) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (٢٧، ٢٨)، إحياء السنة وإخماد البدعة، ص (١٧٩، ١٨٠).

١٠- أخذ العرفاء تركة الميت، وكذلك استيلاء كبير الورثة على جميع التركة، ويقول: هذا مال إخواني وأنا بمنزلة أبيهم، ويتصرف بالتركة كيف يشاء، فإذا مات استولى على التركة الأقوى تاركاً باقي الورثة، وكذلك عدم توريث الزوجة وغيرها من النساء[١].

الوسائل العملية:

لقد تركزت وسائل الشيخ عثمان العملية لإصلاح مجتمعه على دعوة سلاطين وأمراء دويلات الهوسا، وبخاصة سلاطين (غوبر)، لأن ولاية (غوبر) تعتبر أقوى دويلات الهوسا في ذلك الوقت.

وكان سلاطين دويلات الهوسا على قسمين: قسم منهم لم يدخل الإسلام أصلاً، وهؤلاء كفار قطعاً ولا يشك أحد في ذلك، وقسم منهم يدعون الإسلام، مع أنهم يخلطون أعمال الإسلام، بأعمال الكفر، مثل: تعظيمهم لبعض الأماكن، وبعض الأشجار، والأحجار، بالذبح لها، والصدقة عندها، ويستعينون بالكهنة، والسحرة، وهؤلاء أهل شرك، وصد عن سبيل الله، وإعلاء راية ملك الدنيا على راية الإسلام، وذلك كله كفر بالإجماع[٢].

لذلك لم تقتصر دعوة الشيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا على الرعية من العلماء والعامة فقط، بل تعدى ذلك إلى دعوة الملوك والسلاطين، فبعد أن لاقت دعوته القبول من بعض العلماء، وبعض

---

(١) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق (٢١، ٢٢)، بيان البدع الشيطانية، ص (٢٨)، إحياء السنة وإخماد البدعة، ص (١٨٣، ١٨٤).

(٢) عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، ق (١٠- ١٢).. نجم الإخوان، ق (٦٥)، محمد بيللو، المصدر السابق، ص: (١٨٤).

العامة، أراد أن تتمكن من كافة الأمة هناك، وهذا لا يتحقق إلا بانضمام السلاطين إليها لعدة أمور منها:

١- أن السلطان إن كان مسلماً كان البلد بلد إسلام، وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر.

٢- أن الرعية إذا رأوا أن السلطان قد قبل الدعوة، فسيقبلونها، إمّا رغبة فيها، وإما خوفاً من السلطان.

٣-أن السلطان إذا انضم لهذه الدعوة، فسيسخر كافة أجهزة الدولة لخدمتها، ونشرها، وتقديم المساعدات والتسهيلات لتحقيق ذلك الهدف.

٤- نظراً لعلاقة السلطان بالسلاطين المجاورين لدولته، فإنه سيدعوهم لقبول هذه الدعوة، وتسهيل دخولها إلى بلادهم، وذلك عن طريق استخدام سلاح اللين مع السلاطين الموالين له، واستخدام سلاح اللين أو القوة إذا تعذر الأول مع السلاطين المعارضين له. وبهذا تتمكن الدعوة من كافة بلاد الهوسا، وهو ما ينشده الشيخ عثمان من وراء دعوته للملوك والسلاطين.

لذلك رأينا الشيخ عثمان قد عزم على دعوة هؤلاء السلاطين، وأفتى بأنه يجب على العالم أن يعظ الملوك، ويبلغهم كلمة الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، أما إذا غرهم بأن تركهم على ظلمهم وعصيانهم، فإنه مشارك لهم في هذا الظلم والعصيان[1]. ثم بين لهم أن إقامة السلطان العادل فيه منفعة عظيمة تنعكس نتائجها على المجتمع،

---

(١) عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، ق (٤٥٧).

فستحقن الدماء، وتصان المحارم، وتعمر الأسواق، وتحرس الأموال، وسيحل الأمن والأستقرار محل الفوضي والاضطراب، أما إذا فقد السلطان العادل فإن العكس سيحدث، فسينعدم الأمن، ويكون المكان خاليا لأهل الشر والفساد، فلا يتمنى زوال السلطان العادل إلا جاهل أو فاسق متجاهل، لأن صلاح السلطان منوط بصلاح الدارين[1].

ولقد مرت دعوة الشيخ عثمان لسلاطين بلاد غوبر بعدة مراحل، فقد قام بعدة زيارات لهؤلاء السلاطين لدعوتهم إلى التمسك بالتعاليم الإسلامية الصحيحة، ومع أنه كان يدعوهم لذلك، إلا أنه كان يحذرهم، ويخشي من بطشهم، فلا يتعرض لهم ولا لنوابهم بسوء، في مجالسه العامة، أو الخاصة، كما كان يحذر الشباب المتحمس من طلبته وأعوانه، بألا يثيروا غضب السلاطين عليهم بقول أو فعل، مع أنه كان يرى أن هؤلاء السلاطين لم يكونوا من الإسلام في شيء، إما لكفرهم بالأصالة، وإما لخلطهم أعمال الإسلام بأعمال الكفر والشرك في العقيدة والعبادة، وقال حكمه فيهم، بأنهم كفار، يجب على المسلمين أن يهاجروا بدينهم من أرضهم، لأن حكم البلد حكم سلطانه بلا خلاف إن كان مسلماً كان البلد بلد إسلام، وإن كان كافراً كان البلد بلد كفر، يجب الفرار منه إلى غيره[2]. وذلك بعد أن يئس من دعوتهم إلى الدين، ولقى منهم الغدر والخيانة.

وأول زيارة للشيخ عثمان إلى سلطان غوبر، كانت في حوالي سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، وذلك في عهد السلطان (باوابن باباري) ١١٩١هـ/

---

(١) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ق (٢٨، ٣٩).

(٢) عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد، ص(٢).

١٧٧٧م- ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، فقد وجه هذا الملك الدعوة إلى الشيخ عثمان لحضور اجتماع الملك مع سائر العلماء في عيد الأضحى، فلبى الشيخ عثمان الدعوة وحضر إلى مكان الاجتماع، وصلى مع الملك صلاة العيد، ولما رجعوا من الصلاة، أهدى الملك الأموال الطائلة للعلماء، ولكن الشيخ عثمان رفض هذه الأموال، وطلب من الملك بدلاً منها، أن يحقق له عدة أمور تتعلق بإقامة الدين، وصلاح المجتمع، وتمكين الدعوة في بلاد غوبر وهي :

١ - أن يسمح للشيخ عثمان بالدعوة إلى الإسلام في بلاده .

٢ - ألا يمنع أحداً يريد إجابة دعوة الشيخ عثمان .

٣- أن يجعل لكل ذي قلنسوة وعمامة حرمة .

٤ - أن يطلق سراح كل من في سجنه .

٥ - ألا يأخذ من الرعية من الخراج ما يضرهم[١] .

ونظراً لكون الملك هو الذي دعا العلماء للاجتماع معهم، ومناقشة أحوالهم، فإنه لم ير إزاء ذلك إلا تلبية طلب الشيخ، فقال له : إني أعطيتك ما سألت ورضيت لك بجميع ما تحب بأن تفعل في بلادنا[٢] . ، وهكذا رجع الشيخ عثمان إلى موطنه ٠ طقل) بعد أن حقق لدعوته بعداً كبيراً في بلاد غوبر .

ويعد هذا الإنجاز الذي حققه الشيخ عثمان، واصل مهمته في توجيه النصح والإرشاد لهذا السلطان، ومن خلفه من بعده، من غير أن

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (٢٤٠)، نقلا عن الوزير جنيد، ضبط الملتقطات، ق (١٧).

(٢) Fodiyo, A. M. Op. Cit, p. 30.

يتدخل في أمور الدولة.

وفي سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م أراد السلطان (ياكب بن باوا ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م-١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) أن يهجم على قلعة كيباوا بزنفرا، فجمع جيشه، ولما أراد السير، أرسل إليه الشيخ عثمان ينصحه بعدم السير وكاد أن يستجيب له لولا إصرار قومه وحاشيته على تنفيذ هذا الهجوم، فلما وصل إلى قلعة كيباوا كانت نهايته هناك حيث سقط قتيلاً أثناء المعركة[١].

وبعد وفاة هذا السلطان ساءت علاقة الشيخ عثمان مع من خلفه في الحكم وهو (نافاتا بن باوا ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م-١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) وذلك لأن دعوة الشيخ عثمان قد لاقت القبول والتأييد في بلاد الهوسا، وكثير أتباعها إضافة إلى تأثير الوثنيين من رجال الدولة على الملك بأن يحول دون انتشار دعوة الشيخ عثمان، وأصدر قراراً ينص على ما يلي:

١- لا يسمح لأحد بأن يعظ الناس سوى الشيخ عثمان.

٢- لا يسمح لأحد باعتناق الدين الإسلامي إلا وارثه من أبيه، ومن كان قد دخل في الإسلام وهو لم يرثه من آبائه، فليرجع إلى دين آبائه، ويترك الدين الإسلامي.

٣- لا يسمح لأحد بعد صدور هذا القرار، أن يلبس العمامة، كما لا يسمح للمرأة أن تلبس الحجاب[٢].

وبطبيعة الحال كان لهذه القرارات ردة فعل عند الشيخ عثمان

---

(١) حسين عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (٢٤٢).

(٢) Fodiyo, A.M, Op. Cit, p. 49.

وأتباعه، ولكن رأى ألا يستعجل، ويعلن معارضته لهذا القرار لعدة أسباب منها: -

١- أنه لا يريد أن يكون سبباً في قتل الأبرياء من جماعته، فإذا عارض هذا القرار، فستنضم إليه جماعته، ثم يقضي عليهم الملك جميعاً وهم عزل من السلاح.

٢- أنه لا يريد أن يهدم كل ما بناه طوال أكثر من عشرين سنة مضت من دعوته فيقضى عليها وعلى تعاليمها.

٣- أنه لم يحن بعد الخروج على الحاكم.

إلا أن هذا القرار جعل الشيخ عثمان يحسب حساب الصدام المتوقع بينهما، فجعل يعد العدة لذلك، فأمر أتباعه بجمع السلاح، وقال لهم: «إن جمع السلاح سنة»[1].

وبعد وفاة نافاتا تولى ابنه (يُنْفُ ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م - ١٢٢٣هـ ١٨٠٨م)، وقد كان ينف في السابق تلميذاً للشيخ عثمان، وها هو الآن يتولى الملك، فماذا يعمل؟ هل يسير على نفس سياسة أبيه ومن قبله؟ وهو ما حصل فعلاً، أم يخالفهم ويتبع معه سياسة اللين واللطف، ويسمح له بالدعوة. أو يأخذ بها؟ وهو ما حاول أن يفعله في بداية حكمه.

لقد تولى ينف الحكم وبلاده قد وصلت إلى أسوأ حالة في الخارج، والداخل، ففي الخارج أصبحت دولته مهددة من بلاد كب، وبلاد زنفر، وكاتسينا وغيرها، وفي الداخل افترقت رعيته إلى فرقتين:

---

(١) المصدر السابق، ص (٥١).

فرقة مؤيدة للشيخ عثمان ودعوته، ومستعدة أن تضحي بأنفسها من أجل الشيخ عثمان ودعوته، وفرقة معارضة للشيخ عثمان ودعوته، وتعمل كل ما في وسعها للقضاء عليها، وهي متركزة في الوثنيين من رجال الدولة، ورجال بلاط الملك، وهنا وجد الملك نفسه أمام عدة مشاكل، فهل يرضخ لإصرار رجال البلاط بالقضاء على الشيخ ودعوته؟ أم يخضع للرأى العام؟ أم يتجه كل لحل المشاكل الخارجية؟

لقد اتخذ الملك في بادئ الأمر الخضوع للرأي العام، فوعد الشيخ عثمان -وهو أستاذه سابقاً- بألا يسير على سياسة سلفه، ورحل إلى الشيخ في موطنه طقل، ومشى إلى مكان إقامته على قدميه، فسلم على الشيخ، ووعده بأن يسالمه، ولا يعارض دعوته، فاستبشر الناس بذلك[1].

ولكن نظراً للتأثير الخارجي عليه، فقد رضخ لرأي رجال الدولة، ورجال البلاط، وأخذ بتغيير سياسته تجاه الشيخ عثمان، ولجأ إلى أسلوب الخديعة لكي يقضي على الشيخ فاستدعاه، وذهب الشيخ إليه، ومعه أخوه عبدالله، وصديقه عمر الكموي، فلما دخلوا عليه، أطلق عليهم النفط يريد إحراقهم، فرجعت النار إليه، فهرب، ثم رجع مرة أخرى، وقال لهم: ليس لي عدو في هذه الأرض غيركم، فأعلن عداوته الصريحة لهم، وقالوا له: بأنهم لا يخافونه، وأن الله سبحانه وتعالى سيمنعه عنهم، ثم تلفظ عليهم بألفاظ سيئة، فخرجوا من عنده، وقال الشيخ لمن معه: اكتما ما حصل لنا معه، ثم دعا الله أن يكفيه شر

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (٢٤٦).

هذا الملك، وأن يريه حكم الإسلام في هذه البلاد[١].

وهكذا لم ينجح الشيخ عثمان في استمالة السلطان للاستعانة به في نجاح الدعوة وتعميمها على البلاد، بل على العكس من ذلك، فقد تطور الموقف إلى حمل السلاح، وإعلان القتال ضد الشيخ عثمان وجماعته.

ومن الوسائل العلمية التي استخدمها الشيخ عثمان لإصلاح مجتمعه أيضاً، تلك الرحلات التي قام بها إلى دويلات الهوسا، فقد رحل إلى بلاد كب، وبلاد زنفرا التي جلس فيها في الفترة من ١١٩٨هـ إلى سنة ١٢٠٣هـ، وبلاد زوم.

وقد لاقت دعوته في هذه البلاد نجاحاً كبيراً، إذ كثر أتباعه في هذه البلاد، فمنهم من وفد إلى الشيخ في موطنه (طقل)، ومنهم من جلس في بلاده، وهو يعلن تبعيته للشيخ عثمان، وقبوله لدعوته[٢].

موقفه من المرأة:

إذا كان أكثر العلماء قبيل ظهور الشيخ عثمان يجهلون كثيراً من تعاليم الإسلام، فما بالك في المرأة المغلوب على أمرها والتي ليس لها حق في التعليم، كما ليس لها حق التصرف في مالها، كما أنها حرمت من الميراث ...... إلخ، فلما ظهر الشيخ عثمان، ورأى وضع المرأة المؤسف في مجتمعه، عقد العزم على حل مشاكلها، فأوجب على ولي أمرها تعليمها ما فرض الله عليها من تعاليم الدين، فإن كان غير مؤهل لذلك أذن لها بالخروج إلى من يعلمها هذه الفروض، كما بين متى يجوز

---

(١) Fodiyo, A.M, Op, Cit, P.P. 54-55.

(٢) راجع الصفحات من (١٥٤-١٥٧) من هذا الفصل.

الخروج لها، ومتى لا يجوز، كما بين البدع السائدة في مجتمع النساء، وأصدر حكمه فيها، وموقف الشيخ عثمان من المرأة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: -

(أ) تعليم المرأة، (ب) خروج المرأة (ج) محاربة البدع التي أحدثت في حق النساء.

أ-تعليم المرأة:

لقد كان أكثر العلماء في بلاد الهوسا يتركون زوجاتهم وبناتهم مهملات كالأنعام، فلم يعلموهن ما فرض الله عليهن من أصول الدين وفروعه كالوضوء والصلاة، والصيام، والبيع، والشراء وغير ذلك، وجعلوهن كالوعاء يعملون به، فإذا انكسر طرحوه في الدّمن (أي موضع النجاسة)، وهذا الوضع لم يرض الشيخ عثمان، فطلب من العلماء وغيرهم تعليم زوجاتهم وبناتهم، وما ملكت أيديهم قبل أن يعلموا طلابهم، لأن تعليم الزوجات والبنات والعبيد واجب، أما تعليم الطلاب فهو نفل، والواجب مقدم على النفل[1]، ثم وجه نداء إلى النساء قائلاً: يا نساء المسلمين لا تسمعن إلى أقوال الضالين المضلين الذي يقرئونكن ويأمرونكن بطاعة الأزواج، بغير أن يأمروكن بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويقولون سعادة المرأة في طاعة زوجها وما ذلك إلا لطلب غرضهم ومرادهم، فيكن لكن ما لم يوجب الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم عليكن أصلا من الطبخ وغسل الثوب وغير ذلك مما هو كثير من مرادهم[2]، والشيخ

---

(١) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق (٨ و ٩) ووثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب أتباع الكتاب والسنة والإجماع، ص (٢٨).

(٢) عثمان بن فودي، نور الألباب، ق. (٩، ١٠)..

عثمان بهذا لاينكر وجوب طاعة الزوجة لزوجها، ولكنه قرنها بطاعة الله ورسوله، أما في معصيتهما فإنه لا يجوز، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1].

والجدير بالذكر أن الشيخ عثمان أخذ يدعو النساء إلى حضور مجالسه للوعظ والتدريس، فهن كالرجال يجب عليهن تعلم أمور الدين، ولكن بدون اختلاط مع الرجال، فجعل لهن مكاناً خاصاً بحيث يحتجبن عن الرجال، كما جعل للرجال مكانا خاصا بهم، ولم يعبأ بإنكار العلماء وغيرهم على حضور النساء لمجالس الوعظ والرشاد، وقال لهم « إذا كانت المرأة تذهب للحج بشروطه، فكيف بالإيمان الذي لا يصلح شيء بدونه؟ وإذا كنتم ترون النساء في منكر الأعراس من رفعة وزمارة، واختلاط بالرجال، ورمي الدراهم، وخروجهن في العيد متزينات، ولا تنكرون عليهن ذلك، وإذا رأيتم بعضهن يذهبن لتعلم أصل الواجبات في فكاك رقابهن من الخلود في النار قلتم: هذا منكر[2]، وبذلك أقنعهم بأن تعليم المرأة من أهم الواجبات عليهم، بل من أهم حقوقهن عليهم.

ب- خروج المرأة:

لقد كان الشيخ عثمان حريصاً في المحافظة على نظافة المجتمع من العادات الجاهلية، كاختلاط النساء بالرجال، وخروج النساء إلى الأسواق بأحسن لباس .. إلخ، فأفرد لذلك مؤلفاً سماه، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، ذكر فيه أوضاع مجتمعه قبل قيام

---

(١) المصدر نفسه ق (١٠).

(٢) عثمان بن فودي، إرشاد أهل التفريط والإفراط، ق (٣٠).

دولته، كما بين فيه موقف علماء مجتمعه من المرأة وخروجها من البيت، وجعلهم على قسمين: قسم منهم قد مال إلى طريق التفريط والتساهل، ورأى أن النساء يجوز لهن الخروج لقضاء حوائجهن مطلقاً كالرجال، سواء كان خروجها لضرورة شرعية أم لا، وهذا القسم ذكر أنهم الغالب في البلاد السودانية، والقسم الآخر قد مال إلى طريق الإفراط والغلو، ورأى أن النساء لا يجوز لهن الخروج لقضاء حوائجهن مطلقاً، سواء كان خروجها لضرورة شرعية أم لا، وهذا ذكر أنه سار عليه جماعة قليلة، قل من يعرفهم في هذه البلاد[1]، ولقد خطأ الشيخ عثمان كلا الفريقين، وقال: بأن الطريق الصحيح هو الطريق المتوسط بين التفريط والإفراط، حيث يجوز للمرأة الخروج عند الضرورة الشرعية، سواء كانت الضرورة دينية مثل: خروجهن لطلب علم فروض الأعيان إذا لم يجدن من أزواجهن التعليم، ولكن بشرط عدم اختلاط الرجال بالنساء، فيجب تخصيص مكان للنساء بحيث يسمعن المعلم، ولا يراهن الرجال، أو كانت تلك الضرورة دنيوية مثل: خروجهن لطلب القوت وما أشبهه[2].

هذا وقد أودع الشيخ عثمان في كتابه المذكور اثنى عشر نوعاً من أنواع خروج النساء، وهي على النحو التالي:

الأول: خروجهن إلى طلب فرض الأعيان، وهو واجب عليهن إن عدمن التعليم من أزواجهن، سواء كان مجلس العلم على الانفراد، أو كان من خلف حجاب إذا كان المجلس للرجال،

---

(١) عثمان بن فودي، وإرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، مجلد رقم (٤)، مظروف رقم (٢، ٣، ٤، ٥)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (١، ٢).

(٢) المصدر نفسه، ق (٢، ٤).

وهو حرام عليهن إن وجدن التعليم من أزواجهن، أو كان المجلس للرجال وليس فيه حجاب.

الثاني: خروجهن إلى البراز، وهو جائز إن لم يكن لهم ميضآت (الموضع الذي يتوضأ فيه) في البيوت، وغير جائز إن كان لهن ميضآت في البيوت.

الثالث: خروجهن إلى المساجد لأداء الصلوات المفروضة، وهو حرام على الشابة المشهورة بالجمال، ويجوز للمرأة كبيرة السن التي ليس للرجال أرب فيها (أي ليس لهم حاجة فيها).

الرابع: خروجهن لأداء صلاة الجمعة: وهو حرام على الشابة مخشيَّة الفتنة، ومكروه للشابة غير مخشيَّة الفتنة، وجائز للمرأة الكبيرة التي ليس للرجال أرب فيها.

الخامس: خروجهن إلى صلاة العيد: وهو حرام على الشابة في هذه الأزمنة، التي كثر فيها الفساد، وجائز للمرأة الكبيرة التي ليس للرجال أرب فيها.

السادس: خروجهن إلى صلاة الاستسقاء: وحكمه كحكم سابقه.

السابع: خروجهن إلى الجنائز وزيارة القبور: وهو حرام على الشابة إذا خشيت الفتنة، وجائز للشابة التي لا تخشى منها الفتنة، وكذلك جائز للمرأة كبيرة السن التي ليس للرجال أرب فيها، وهذا الحكم على العموم، ولكن السنة تقضي بعدم خروجهن، وأما خروجهن في هذا الزمان إلى القبور فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء، ومن له غيرة في الدين بجوازه إلا لضرورة مع التستر.

الثامن: خروجهن إلى الحج: وهو واجب عليهن كالرجال إذا وجدت

الشروط، حيث كان معها محرم.

التاسع: خروجهن إلى عرس النكاح: وهو جائز إذا كان العرس لذوي قرابتهن ودعت إلى ذلك ضرورة، وحرام إن كان منكراً كاختلاط الرجال بالنساء، أو لهو من مزمار، أو عود وشبهه من الملاهي.

العاشر: خروجهن للبيع والشراء في سوق وغيره: وهو جائز إن عد من من ينوب عنهن من زوج، أو ذي محرم، وغيرهن من النساء الكبيرات اللاتي ليس للرجال أرب فيهن، وحرام إن وجد من ينوب عنهن ممن ذكر.

الحادي عشر: خروجهن لمجلس القضاء: وهو جائز للمرأة الكبيرة في السن التي ليس للرجال أرب فيها، وكذلك الشابة التي لم تشتهر بالجمال، وغير جائز للشابة المشهورة بالجمال وعليها أن توكل من ينوب عنها، كما يستحب للقاضي أن يفرد لهن وقتاً لأنه أستر لهن.

الثاني عشر: خروجهن للمواصلة: وهو جائز إن كان خروجهن لمواصلة ذوات رحمهن من النساء، ومحارمهن من الرجال إذا دعت إلى ذلك ضرورة، وحرام إن كان خروجهن لمواصلة الأجانب من الرجال، وإن كان من أقاربهن، كابن عم، وابن الخال[1].

جـ: محاربة الشيخ عثمان للبدع التي أحدثت في حق النساء:

والشيخ عثمان لم يكتف بإصدار الحكم في تعليم النساء، أو خروجهن من البيت، بل أخذ يطالب بحقوق المرأة التي سلبت منها بحكم العادات والتقاليد، ومن هذه الحقوق التي سلبت، حق الإرث، حيث إن الزوجة وغيرها من النساء لا ترث في مجتمع الشيخ عثمان قبل

---

(١) المصدر السابق، ق ق (١٤ – ٣٤).

ظهوره، فبين أن ذلك بدعة محرمة إجماعاً، ويجب توريثهن بمقتضى الكتاب والسنة[1] ومنها كذلك أخذ العرفاء صداق المرأة، فبين أن الصداق ملك لها تتصرف فيه كما تريد، أما أخذه فهو بدعة محرمة إجماعاً[2].

وإذا كان الشيخ عثمان قد طلب بتثبيت حقوق المرأة، فإنه طالبها هي بأن تعطي زوجها حقوقه، وبخاصة حق الفراش، حيث كانت تأخذ منه مقداراً من المال لحق الفراش، فبين أن ذلك بدعة محرمة إجماعاً لأنه شبيه بالزنا، كما طالبها بأن تتزين وتلبس أحسن اللباس عنده، وتترك ما اعتادت عليه من لبس أقبح الثياب أثناء جلوسها عند زوجها، ولبس الحسن إذا أرادت الخروج وأخبرها بأن ذلك بدعة محرمة إجماعا.

ولما كان الحيض والنفاس خاصين بالنساء، فقد أصدر إليهن التعاليم الإسلامية في ذلك فقال: إن المرأة تسقط عنها الصلاة والصوم في أيام الحيض والنفاس، أما المرأة المستحاضة فإنها تجب عليه الصلاة والصوم، كما بين لهن أنه بمجرد انقطاع دم الحيض أو النفاس تجب عليهن الصلاة والصوم، كما أرشدهن إلى عدم إدخال أيديهن في فرجهن لغسل باطن الفرج بعد انقطاع دم الحيض لأنه يسبب الأذية لها ولزوجها، فالماء إذا وصل إلى باطن الفرج مع الأصابع أرخاه، وبرده، ووسعه، كما أنه عد جميع هذه الأمور من البدع المحرمة في الدين الإسلامي[3].

---

(١) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (٢٨)، وإحياء السنة وإخماد البدعة، ص (١٨٤).

(٢) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص(٢٣)، وإحياء السنة وإخماد البدعة، ص (١٦٧).

(٣) عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية، ص (٥ ـ ٦)، وإحياء السنة وإخماد البدعة ص (٦٤و٦٥).

النتائج

لما ظهر الشيخ عثمان، وبدأ يدعوا الناس إلى الإسلام الصحيح، انقسم الناس -من العلماء وغيرهم- حياله إلى قسمين:

قسم مؤيد له معتقد بما يقول، وهؤلاء صدقوه ونصروه.

وقسم منكر منتقد له، وهؤلاء جفوه وآذوه، واتهموه بالجهل، كما نسبوه إلى الأهواء والرياء[(١)].

وإذا كان القسم الأول قد وقف إلى جانب الشيخ يعينونه في الدعوة إلى الله، فإن القسم الثاني قد وقف في طريقه، وحذروا منه العامة. ولكن الشيخ عثمان كان أذكى منهم، حيث لم يعترضهم، ولم يعبأ بما يقولون عنه، وواصل نصحه وإرشاده في مجالس وعظه، وفي تنقلاته، حتى انكشف للعامة على مر السنين جهل علمائهم، فتركوه، وساروا إلى الشيخ عثمان ينتفعون بمواعظه، ويتأدبون بآدابه، ويدخلون في جماعته أفواجاً[(٢)].

وقد كان الشيخ عثمان في المراحل الأولى من دعوته، قد وجه جل اهتمامه إلى طبقة العلماء الذين كانوا يكونون قوة هائلة في أرض الهوسا في القرن الثامن عشر، ويهيمنون على سلطات واسعة كوسطاء للتطبيق الشرعي والتصريف الاجتماعي[(٣)].

والشيخ عثمان بتوجيه اهتمامه للعلماء، كان يرجو تأييدهم له، ووقوفهم إلى جانبه، وإذا تم له ذلك، فإن مهمته، لإصلاح مجتمعه ستكون سهلة ميسرة، لأن العلماء سيؤيدونه عند السلطان، وسيبلغون طبقات المجتمع بصدقه وإخلاصه للدين، وهنا ستنضم إليه هذه الفئات، فيكثر أتباعه، وتكون كلمته مسموعة عند السلطان لتأييد أكثر

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٣٤، ٣٥).

(٢) Fodiyo, A m Op. Cit, P. 41.

(٣) Al- Hajj, M. A. op. Cit, P. P 7, 8.

طبقات المجتمع له. ثم تأتي الخطوة التالية وهي: القضاء على البدع والخرافات التي كانت سائدة في مجتمعه في ذلك الوقت.

ولكن محاولته هذه باءت بالفشل، فقد وقف له علماء السوء الذين اتخذوا سوء الأخلاق وجميع أنواع الشر من الشعوذة وغيرها وسيلة لحماية مصالحهم الخاصة، فلجأ إلى طريقة أخرى وهي: تحذير أفراد مجتمعه من هؤلاء العلماء، فنهاهم عن الجلوس عندهم، والاستماع إلى دروسهم، لأنهم من أهل الغفلة أنصار الشياطين، وخلفاء إبليس في إظهار الفساد، والخوض في البدع، والحرص على متاع الدنيا، والاقتداء بالجهال مما دعاهم إلى ترك القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وإجماع الأمة جانباً، والاحتكام في أمورهم كلها إلى العادة التى نشأوا عليها حتى خرجوا من الإسلام، ودخلوا في الكفر[1]. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] ثم إن الشيخ قد بين هؤلاء بأنهم الذين ينكرون واجبات الله ونواهيه، ويخففون للناس أمر الدين، ويستهزئون بالذين يجتهدون في طلب السنة، كما أنهم يعملون بأعمال الكفر وأقواله، مثل: ادعاؤهم عليم الغيب بالخط في الرمل، وكذلك اختيارهم الأيام بقولهم هذا يوم صالح، وهذا يوم قبيح، وكذلك القراءة التي يقرؤونها إذا تمت السنة، ويخبرون بما يفعل الله في السنة القادمة[3] .... إلخ.

---

(١) عثمان بن فودي، وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء والموالات وزيادة البيان على ذلك، ق(٧، ٨) وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب و السنة والإجماع، ص (٣١).

(٢) التوبة: آية ٣٤.

(٣) عثمان بن فودي، وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع، ص (١١، ١٢).

وقد تولى الشيخ عثمان الرد على فتاوي بعض العلماء، الذين أفتوا الناس بها، ومنها على سبيل المثال:

١- لقد قالوا: بأن حافظ القرآن لا تأكله النار مهما عمل، ورد عليهم الشيخ عثمان بقوله: إن هذا صحيح لمن عمل بما فيه من الأوامر والنواهي، أما من لم يعمل بما فيه، فإن القرآن سيكون حجة عليه، ويشكيه إلى الله تعالى، فينزع الله تعالى قرآنه ويدخله النار.

٢- وقالوا: لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ورد عليهم الشيخ بقوله: صحيح لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولكنه يكفر بالشرك، والردة عن الإسلام مثل: تكذيب البعث، وتصديق الكهان، ووزن القرآن بضرب الدفوف، وكذلك السجود للصنم، وعبادة بعض الكواكب . . . إلخ.

٣- كما أنهم يقولون عند سماعهم للأوامر والنواهي التي لا تحب قلوبهم، إن هذا ليس لنا، ولكنه للعرب فقط، ورد عليهم الشيخ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [١]، فأفادهم بأنهم خرجوا من الإسلام بتكذيبهم بعض آيات القرآن الكريم [٢].

وإذا كان الشيخ عثمان قد حكم على هؤلاء العلماء، وطلابهم بالكفر، فإنه أصدر حكمه بوجوب جهادهم، بإجماع العلماء، لأنهم يلبسون الحق بالباطل، وينصرون الكافرين على المؤمنين بمساعدتهم، وإمدادهم بالجيوش والعدة والعتاد [٣].

---

(١) سورة سبأ، آيه، آية ٢٨.

(٢) عثمان بن فودي: وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع الكتاب والسنة والإجماع، ص (١٤-١٩).

(٣) عبدالله بن فودي، ضياء السلطان، ق (٣٧).

وقد كان من أشد الناس عداوة للشيخ عثمان وأتباعه، علماء السوء، وكذلك سلاطين، وأمراء دويلات الهوسا.

أما العلماء فقد جرت بينهم وبين الشيخ عثمان مناظرات، لم تنته إلى حل يرضي الطرفين، فقد اتهموه ببعض التهم التي تولى الشيخ مهمة الرد عليها، ومن هذه التهم ما يأتي:

١ - لقد اتهموه بأنه يخلط الرجال بالنساء في مجالس الوعظ، ورد الشيخ على هذا الاتهام بقوله: إن هذا الأمر لم يشيعه ضدنا إلا شياطين الإنس وإلا إن الرجال والنساء، يأتون إلى مجالس الوعظ وهم مختلطون، فنقوم بعزل الرجال عن النساء، ونعلمهم بأن الاختلاط لا يجوز، وأما بالنسبة لحضور النساء إلى مجالس الوعظ والدروس، فإن ذلك جائز لهن، لأن حضورهن لتلقي العلم أخف ضرراً من تركهن على الجهل، وارتكاب أخف الضررين في الدنيا واجب إجماعاً[1].

٢ - كما اتهم الشيخ عثمان، بأنه حرم ما أحل الله ورسوله، عندما نذر الشيخ بعدم أكل لحم الماعز، وطالبوه بالدليل على ذلك.

وأجاب الشيخ على هذا الاتهام بقوله: إن الوفاء بالنذر واجب إجماعاً، والله تعالى مدح الوافين بنذورهم بقوله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾[2]. ولهذا فإني لم أحرم ما أحل الله ورسوله ولم أمنع الناس من أكلها ولكنني تركت أكلها فقط ولم أحرمها على نفسي فكيف أحرمها على غيري.

٣ - كما نسب بعضهم الظلم والخيانة إليه.

ورد عليهم الشيخ بقوله: إنكم تعلمون شدة منعي الظلم،

---

(١) Fodiyo, A.M Op. Cit, P.p 27-30.

(٢) سورة الإنسان: آية ٧.

واجتهادي في دفعه، وإطفاء كل البدع بقدر طاقتي[1].

٤- كما اتهم بعضهم بأنه يكفّر من يركب لبعض المواطن قصداً للصدقة[2] بها، وكذلك أخذ الرشوة، وأكل مال اليتيم، والجور في الحكم[3].

وكان جواب الشيخ عثمان، أن قال: بأنه لا يكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، وأنه لم يحكم بكفر من فعل هذه الأمور[4].

٥- قالوا للشيخ عثمان بأن الطريقة المثلى للدعوة هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أجيبت إلى ذلك، وإلا فاعتزلهم وما يعملون، لأن النهي عن المنكر متوقف على ألا يؤدي إلى ما هو أعظم منه، لذلك فخروجك على الملك ونقضك للبيعة معصية تسأل عنها يوم القيامة[5].

ورد عليهم الشيخ بقوله: إنه يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يؤد نهيه عن المنكر إلى ما هو أعظم منه، لأنه وجماعته يرشدون من يأتيهم بطلب الطريق المستقيم، ولم يتعرضوا لأحد بسوء، حتى بدأ السلاطين العداوة واستخدموا السلاح ضد الشيخ فقام بالدفاع عن نفسه، مع أن الواجب جهاد هؤلاء لكونهم أنكروا البعث والنشور، وجعلوا لله شركاء بذبحهم للأحجار والأشجار[6].

---

(١) محمد ثب بن أحمد بن مجيل، المصدر السابق، ق. ق (٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) المصدر نفسه ق ، ق (٣٢٩، ٣٣٧).

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (١٢٥).

(٤) المصدر السابق، ص (١٣٢).

(٥) المصدر نفسه: ص (١٢٦).

(٦) نفسه، ص (١٣٢- ١٣٣).

إلى غير ذلك من التهم والافتراءات على الشيخ وأتباعه، بأنهم جهال، وأن الشيخ يهدف من وراء دعوته إلى الوصول إلى الملك وأنه يتعصب للفلانيين . . . . إلخ.

وقد اجتهد الشيخ عثمان -منذ أن بدأ دعوته حتى استطاع أن يقيم الدولة الإسلامية في بلاد الهوسا وما جاورها- في إقناع العلماء بأن طريقته هي طريقة أهل السنة والجماعة من غير إفراط ولا تفريط[١].

ومع ذلك فلم تلق دعوة الشيخ عثمان القبول من معظم العلماء، وبخاصة علماء السوء الذين رأوا أن نجاح دعوة الشيخ عثمان ستقضي على ما كانوا يحصلون عليه من أموال بأدعائهم علم الغيب، وممارسة للشعوذة، والكهانة . . . . وغيرها.

ولكنها مع ذلك قد لاقت القبول من بعض العلماء الذين رأوا فيها الطريقة المثلى للعودة بالناس إلى الإسلام الصحيح، فاعترفوا للشيخ عثمان بأن طريقته هي: طريقة أهل السنة والجماعة، وأعلنوا استعدادهم للتعاون معه[٢].

على أن أهم النتائج التي ترتبت على ظهور دعوة الشيخ عثمان، قيام الجهاد الإسلامي في بلاد الهوسا على يد الشيخ عثمان وأتباعه، عندما أعلن سلطان غوبر عداوته للشيخ، وحمل السلاح ضده.

وهذا ما سنتحدث عنه في الموضوع التالي بإذن الله.

---

(١) عثمان بن فودي: رسالة إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي (مخطوط) مجلد رقم (٨٤) مظروف رقم (٢)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد و بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٣)، محمد بيللو المصدر السابق، ص (١٦١).

(٢) محمد الأمين الكانمي، رسالة إلى الشيخ عثمان بن محمد بن فودي (مخطوط) مجموعة برنو، مجلد رقم (٤) مظروف رقم (٩٤)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية، ق (٣٢١)، المصدر السابق، ص (١٦٣).

المبحث الرابع
جهاد الشيخ عثمان بن فودي

لقد عرفنا فيما سبق ميزان العلاقة بين الشيخ عثمان وبين سلاطين بلاد غوبر، وكيف وصلت في آخر الأمر إلى العداء المسلح ضد جماعة الشيخ، وإلى طرده من البلاد إلى أية بقعة يريدها، والغرض من ذلك - كما صرح به الملك ينف- هو الهجوم على قرية الشيخ، لكي يتسنى له القضاء على دعوته تدريجياً، فبعد أن يقضي على اتباعه، يقضي عليه بعد ذلك.

ولكن الأمور سارت على العكس من ذلك، فقد رفض الشيخ عثمان الخروج من القرية بأهله فقط، فأعلن الهجرة إلى «قد»[1] وأذن لكل من أراد الهجرة من جماعته بأن يهاجر معه.

ومن الملاحظ أن الشيخ عثمان قد بدأ يحث أتباعه على الهجرة، ويرغبهم فيها قبل أن يصله أمر السلطان بترك بلاده، لأنه كان يتوقع اصطدامه بالملك بطريق مباشر أو غير مباشر، لذلك أخذ يعد العدة للهجرة، فبين لجماعته حكمها بقوله: إن الهجرة من بلد الكفر أو البدعة أو المعصية واجبة كتاباً وسنة وإجماعاً[2]، ولم يكتف بتبيين حكمها، بل حثهم عليها وحببها إليهم لقوله: "عليكم يا إخواني بالهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام لتفوزوا بالجنة، وتكونوا رفيق أبيكم إبراهيم ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

---

(١) بلدة في أطراف بلاد غوبر من جهة الغرب.

(٢) عثمان بن فودي، مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان، ورقة (٣).

(٣) عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد، ص (١٧).

وهكذا بدأ الشيخ عثمان يعد العدة للهجرة، ويهيئ النفوس لها، فلما وصله أمر الملك بترك البلاد مع أهله فقط دون جماعته، رفض هذا الأمر، وأعلن الهجرة العامة، فهاجر من (طقل) إلى (قد) في العاشر من ذي القعدة سنة ١٢١٨هـ الموافق فبراير ١٨٠٤م[١]، والجدير بالذكر أن مسلمي شمال نيجيريا يعدون هذا اليوم من أعيادهم الوطنية والإسلامية[٢]، ويسمونه يوم الهجرة[٣].

وبعد أن هاجر الشيخ إلى (قد) ساءت العلاقة بينه وبين الملك، وتحولت إلى العداء المسلح، فقد أصدر الملك أوامره إلى حكام الأقاليم بعدم السماح لأحد بالهجرة إلى (قد) فمنعوا الناس ابتداءً من شهر المحرم سنة ١٢١٩هـ/ إبريل ١٨٠٤م، ولم يك هذا الأمر مانعاً لأتباع الشيخ من الهجرة، فقد أخذوا يهاجرون سراً، ويصف محمد بيللو[٤] ذلك بقوله: فجعلوا يقطعون على المهاجرين الطرق ويأخذون أموالهم، فلم نزل هكذا يلحق بنا طائفة مع عيالهم وأموالهم وطائفة بعيالهم دون

---

(١) Fodiyo, A. M. Op, Cit, P. 55.

(٢) أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ (٦) ط (٤) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٣ ص (٢٢٨).

(٣) هو: محمد بيللو بن الشيخ عثمان بن فودي بن عثمان بن صالح بن هارون، ولد سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م، ونشأ في بيئة علم ودين، فتلقى العلم من والده الشيخ عثمان، ومن عمه الشيخ عبدالله، وصحب والده وساعده في الدعوة والجهاد، وكان أحد وزرائه وقواده، ولما توفي والده خلفه في الحكم بعهد من والده، واستمر في الحكم إلى أن توفي سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. له كثير من المؤلفات من أهمها: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، وشمس الظهيرة في منهاج أهل العلم والبصيرة، ورسالة إلى جماعة المسلمين، والنصيحة الوضيئة في بيان أن حب الدنيا رأس كل خطيئة. انظر: محمد بيللو، المصدر السابق، ص (١٨٩، ١٩٠)، وحسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (٣٠٢).

(٤) محمد بيللو، المصدر السابق، ص(٦٩).

أموالهم وطائفة بأنفسهم دون أموالهم وعيالهم[1]، ولما رأى الملك أن الهجرة لم تنقطع، أرسل إلى الشيخ عثمان يلتمس منه العودة إلى بلدة (طقل)، فأرسل إليه الشيخ رسالة بين فيها شروطه للعودة جاء فيها:

١- أن يعلن الملك توبته ويخلص دينه لله سبحانه وتعالى.

٢- أن يبسط القسط والعدل.

٣- أن يرد جميع ما سلبه أتباعه من جماعة الشيخ.

٤- أن يطلق سراح جميع الأسرى الذين ضده من جماعة الشيخ[2].

لما وصلت هذه الرسالة إلى الملك واطلع على ما فيها من الشروط، حمّل بريد الشيخ رسالة شفهية يفيده بأنه لم يبق أمامه إلا القتال بالسيف، ويطلب من الشيخ أن يتأهب لهذا اللقاء، فكان التحول الكبير للدعوة حيث إعلان البيعة.

مبايعة الشيخ عثمان أميراً للمؤمنين:

لقد اتضح صعوبة الموقف بالنسبة للشيخ عثمان وجماعته لسببين هما:

أولاً: التهديد المباشر من الملك بقتال الشيخ وأتباعه في مكان هجرتهم.

ثانياً: المناوشات التي حدثت بين جماعة الشيخ، وبين الموالين للملك (ينف) في مكان هجرة الشيخ (قد) قبل أن يعلن الملك تهديده بقتال الشيخ وجماعته، وهذه المناوشات عبارة عن غارات مباغتة يقوم بها أتباع الملك، فيقتلون وينهبون ما يجدونه من الأموال[3].

(١) محمد بيللو. المصدر السابق، ص (٦٩).

(٢) المصدر السابق، ص (٦٩).

(٣) نفسه، ص (٧١).

لذلك كان لابد للشيخ وجماعته أن يختاروا أميراً لهم، خاصة وأنهم مقدمون على معارك حربية سيكون فيها النصر أو الهزيمة أو الصلح، فلا بد لهم من أمير يقاتلون باسمه، وينفذون أوامره، فكان إن اتفق رأيهم على مبايعة الشيخ عثمان أميراً للمومنين، فبايعه أولاً أخوه عبدالله ثم ابنه محمد بيللو ثم الوزير عمر الكموي ثم بايعه الكافة[1].

وقد قبل الشيخ عثمان البيعة لكونها واجبة على كل مسلم، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهليةً»[3]، وإذا كان الشيخ عثمان وأتباعه قد خرجوا على الملك (ينف) ونقضوا البيعة له لخروجه من الإسلام بمحاربته له ولأهله، فقد أصبح من الضروري أي يختاروا لهم أميراً يدير لهم شؤونهم الدينية والسياسية، وهذا مما جعل الشيخ عثمان يبين لهم حكم البيعة لأمير المؤمنين[4].

ومن المتعارف عليه أن الشيخ عثمان كان قبل البيعة إماماً وأميراً لجماعته، ولكن ذلك كان في وقت السلم، كما كان في وقت لا يسمح فيه للشيخ عثمان بأن يكون أميراً للمؤمنين وهو لم ييأس بعد من دعوة الملك (ينف)، لأن الشيخ لم يكن يطمح بالإمارة، وإلا لأعلن الخروج

---

(١) المصدر السابق، ص (٧٠، ٧١).

(٢) آل عمران آية ١٠٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، المجلد الثالث، ص (١٤٧٨).

(٤) عثمان بن فودي، مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان، ورقة (٣).

على الملك منذ بداية دعوته، أو منذ أن كثرت جماعته، أما وقد تغير الموقف بسبب إعلان الملك قتال الشيخ، فإنه لا بد أن تكون البيعة رسمية، وباتفاق الجماعة أيضاً، لكي تنضبط أمورهم، وذلك بتعيين الوزراء، وقادة الجيش وإرسال الرسل إلى الملوك، وتعيين القضاة، وأمراء الحدود. . . ونحو ذلك.

وبعد أن تمت البيعة للشيخ عثمان، عين الوزراء، وقادة الجيوش، كما قام بإرسال الرسل إلى الملوك ليبينوا لهم سبب القتال الذي حدث بينه وبين ملك غوبر، كما عين القضاة، وأمراء الحدود[1].

ومن أبرز قادة الجيش الذين اختارهم الشيخ عثمان: أخوه عبدالله، وابنه محمد بيللو، وعلى جيد، كما كان أخوه عبدالله على رأس وزرائه ومستشاريه، وبعد مبايعة الشيخ عثمان، أخذت الدعوة طابعاً آخر، وهو طابع الجهاد، فقد عقد الشيخ عثمان الرايات وأمر بحفر خندق حول معسكرهم، في مكان هجرتهم (بقد)، وذلك اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق[2] وكانوا أثناء الحفر يتمثلون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء حفرهم للخندق.

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
وأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا.
إن الأولى لقد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا[3].

---

(١) عثمان بن فودي، نجم الإخوان، ورقة (٤).

(٢) وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة من الهجرة.

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٧١).

وما أن تم حفر الخندق حتى بدأ الجهاد.

بداية الجهاد:

لقد أحدث الجهاد الذي قام به الشيخ عثمان وأتباعه ضد سلاطين بلاد الهوسا صدى كبيراً في تلك البلاد، إذ كيف يتجرأ شخص قليل العدة والعتاد أن يعلن الجهاد ضد ملوك يملكون الكثير من الأموال والرجال والسلاح، خاصة وأن الشيخ عثمان عندما أعلن الجهاد لم يكن عنده سوى عشرين فارساً، إضافة إلى قلة المال والطعام، وتشتت الأتباع الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى موطنه الجديد، أو الذين انضموا إلى دعوته وهم من غير بلده، وفضلوا البقاء في بلدهم وممارسة نشاطهم فيها، لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن للشيخ موطن مستقل كاف لأن يأوي إليه كل من آمن بدعوته، أما أعداؤه من السلاطين فكان عددهم عشرات الآلاف من المقاتلين، وآلاف الفرسان، والعدة الوافرة والمال الكثير، والأرض المترامية الأطراف[1]، ولكن إذا نظرنا للموضوع من زاوية أخرى وهي: أن الشيخ عثمان قد بلغ الخمسين من عمره وهو طوال هذه السنين يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، لن يرضى أن يذهب كل ما بناه طوال هذه الفترة من حياته سدى، بل سيبذل كل ما لديه من إمكانيات في سبيل المحافظة على دعوته، وتمكينها في البلاد، ونشرها في الأمصار، سواء عن طريق الكلمة اللينة باللسان، أو عن طريق القتال بالسيف ان استدعى الأمر ذلك، وهنا سيحصل على أحد أمرين: إما الشهادة في سبيل الله إن هو قتل، وإما النصر والكرامة وتمكين الدين الإسلامي في هذه البلاد إن هو انتصر عليهم، ومع أن الشيخ عثمان كان يعلم ذلك إلا أنه لم يكن يرغب في القتال، لأنه لم

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص (٢٦٢).

تقو شوكته بعد، ولأنه يفضل الدعوة باللين واللطف على الدعوة بالقوة والسيف، أما وقد فرض عليه القتال حيث تهديد الملك له بذلك فإنه سيقبل التهديد ، وسيعلن الجهاد ، لأنه أصبح أمام خيارين إما أن يعلن استسلامه ، وهنا سيهدم كل ما بناه طوال هذا العمر لأن الملك سيقضي على دعوته بمجرد استسلامه، وإما أن يقبل المواجهة ويعلن الجهاد ، فإن انهزم انتهت دعوته ، وإن انتصر بقيت وتمكنت في جميع البلاد ، لذلك فضل الخيار الثاني لوجود الأمل فيه ، فأعلن الجهاد وكانت أول معركة خاضها جيشه بعد البيعة هي معركة غنغ .

معركة غنغ : ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م :

لما رجع البريد إلى الشيخ عثمان حاملاً تهديد الملك له بالقتال، بادر الشيخ عثمان بالقتال ليبين لهم أنه لا يخشى تهديدهم ، وأنه مستعد لملاقاتهم في أي وقت أرادوا، وهو بهذا يريد أن يضعف الروح المعنوية عند أعدائه في الوقت الذي يرفعها عند أتباعه ، فإذا كان هو البادئ في القتال فإن هذا يعني أنه في مركز القوة ، أو أن لديه من العدد والعدة ما يكفيه لمواجهة أعدائه ، فأرسل جيشاً إلى أطراف بلاد غوبر عند موضع يقال له غنغ ، وقد استطاع هذا الجيش أن ينتصر على أعدائه ، وأن يقتل ويأسر ما شاء الله منهم . وكان من أبرز نتائج هذه المعركة استطاعته نقل ميدان القتال بعيداً عن معسكره في دار هجرته ، فلو تأخر حتى يبدأه العدو بالقتال لكانت العاقبة وخيمة ولربما كانت الضربة القاضية ، أما وقد أبعد الميدان عن مقر القيادة فإنه على أقل تقدير سيعيق الأعداء من الوصول إليه فجأة دون أن يعمل الاحتياطات اللازمة .

وتجدر الإشارة إلى أن المناوشات بين الطرفين لم تتوقف ، وهذه المناوشات لم تحمل طابع القتال المسلح وجهاً لوجه ، ولكنها عبارة عن

غارات متبادلة يقوم بها كل منهما على حين غفلة من الطرف الآخر فيقتل ويسلب ما يجده أمامه ثم يكر راجعاً إلى معسكره ، ويصف محمد بيللو هذا النوع من القتال بقوله : " والحاصل أنه لم يزل يجري بيننا وبينهم وقائع منذ قدم البريد وقبل قدومه ، ولم يزالوا يرسلون إلينا بالسرايا في الجوانب . . . ونرسل إليهم بالسرايا " ولما رأى الشيخ عثمان أنه لا فائدة من وراء هذه الغارات سوى إرهاق الجيش ، فكر في إخضاع القرى المجاورة له لكي يوسع منطقة نفوذه ، ويعيق جيش العدو من الوصول إلى مقره في (قد) ، فأرسل جيشاً بقيادة محمد غير إلى حصن "كن" ، ولما وصل الجيش إلى الحصن قاتل أهله أشد قتال حتى تمكنوا من فتح الحصن بعد أن خسروا كثيراً من القتلى ، ولكن بعد أن تمكنوا من فتح الحصن قتلوا رجالها وسبوا نساءهم وذراريهم ، كما أن عدداً كبيراً منهم قد احترق في النار التي أشعلوها ورموا بها جيش المسلمين ، ثم رجع الجيش الى معسكره في (قد) بعد أن علم بتحرك ملك غوبر على رأس جيش كبير لقتال الشيخ والقضاء عليه وعلى جماعته ! .

موقعة كتو : صفر ١٢١٩هـ - مايو ١٨٠٤م:

لقد تميزت هذه المعركة عن ما قبلها بعدة أمور ، هي :

(١) أن ما سبقها من معارك كانت المبادأة فيها لجماعة الشيخ ، فلم ينتظروا حتى تأتيهم جيوش العدو إلى ساحاتهم ، ولذلك قلت خسارتهم ، أما هذه المعركة فكان الهجوم فيها موجهاً إليهم ، وكانوا في وضع الدفاع ، ولذلك كانت المعركة شديدة .

(٢) أن المعارك التي حدثت قبلها كان يقودها نواب عن ملك غوبر ، أما هذه المعركة فقد قادها (ينف) ملك غوبر بنفسه ، بهدف القضاء

التام على الجماعة والدعوة معاً[1] .

(٣) أن المعارك السابقة كانت عبارة عن هجمات محدودة العدد والعدة، أما هذه المعركة فإنه حصل فيها تكاتف جماعي ضد المسلمين ، حيث انضم إلى ملك غوبر أمراء "كاتسينا" و "كانو" و "زاريا" و "دور" و "أزبن" وكان دورهم القضاء على أتباع الشيخ في بلادهم ، إضافة إلى الانضمام إلى الملك إذا دعت الحاجة لذلك[2] .

لقد أخذ ملك غوبر يعد العدة لهذه المعركة منذ أن خرج من عنده رسول الشيخ ، فمن ذلك استعانته بأمراء البلاد السالفة الذكر الذين أذنوا له في القتال ، وأبدوا استعدادهم لقتال من انتسب إلى الشيخ في بلادهم، ومن ذلك تكوينه جيشاً كبيراً من مختلف الأجناس من السودانيين والطوارق والفلانيين التابعين له ، فلما قرب من معسكر المسلمين وعلموا به ، أخرج الشيخ له جيشاً بقيادة شقيقه الوزير عبدالله الذي خرج بالجيش وعسكر قريباً من مهجرهم (قد) ، وكانت خطة (ينف) تتلخص في القيام بحركة التفاف حول مؤخرة المجاهدين ليجبرهم على الدخول في معركة معه غير متكافئة ويمنع هروبه للغرب[3]، إلا أن موقع المجاهدين قد حال دون تمكين الملك من تنفيذ خطته ، حيث كان المجاهدون في مكان مرتفع يدركون من خلاله جميع تحركات جيش العدو، إضافة إلى انتشار فرسانهم من طلائع

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق ، ص (٢٦٧) .

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٧٣) .

(٣) حسن عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق، ص (٢٦٨) .

الاستكشاف ، ولما وصل جيش العدو إلى أيامي على مسيرة نصف يوم من معسكر المجاهدين ، أمر الشيخ أتباعه بالخروج ليلاً ، ودعا لهم بالنصر ، فخرج الجيش وبات قريباً من مهجرهم في مكان مرتفع بين جبلين في موضع يقال له (ملب) ، وبينما هم في معسكرهم إذ انضم إليهم جموع من المسلمين قدموا إليهم مع الفقيه آغال و محمدان بن الأستاذ جبريل بن عمر ، ففرح المجاهدون بقدومهم ، أما جيش العدو فإنه عندما نهض ليوجه الضربة القاضية إلى المجاهدين تعرض له جموع من الأعراب في طريقهم فتقاتلوا ساعة ثم هاجت سحابه فأمطرت فرجعوا إلى معسكرهم ، فلما هدأت الأمطار خرجوا إلى جموع الأعراب فقاتلوهم أشد قتال واستطاعوا أن يشردوهم ويطردوهم إلى جهة الغرب[1]، وبعد أن انتهوا من هذه العقبة وحدوا صفوفهم واتجهوا إلى المجاهدين ، ولما علم المجاهدون بمسيرهم ، تحركوا بجيوشهم حتى وصلوا إلى كتو فعسكروا على مائها ، ثم نهضوا إلى العدو على حذر ، فلما اقتربوا منهم حملت ميسرتهم على ميمنة المجاهدين أما القلب فقد ثبت في مكانه حيث إن خيل المجاهدين لا تتعدى العشرين ، في الوقت الذي يملك فيه الأعداء عددا كبيراً منها ، فلجاء المجاهدون إلى تطبيق خطة حكيمة حيث ركزوا على الرمي بالنبال ، حتى إذا أعاقوا جيش العدو من التحرك صوبهم ، وتمكنت ميمنة الجيش ومسيرته من الانضمام إلى القلب قامت الحرب على ساق فتخالط الصفان ، وبعد قتال مرير انتهت المعركة بانتصار المجاهدين ، وفرار العدو مهزوماً ، وتبعهم المجاهدون يقتلون وينهبون ، فقتل منهم عدد كبير ، وكان من بين من قتل منهم صديق الملك (بيدو) ، ثم رجع الجيش إلى معسكره في

---

(١) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٧٤) .

مهجرهم بـ (قُد) سالماً غانماً [1] .

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث محمد بيللو ، قد شبه هذه المعركة بغزوة بدر الكبرى في السنه الثانية من الهجرة بين المسلمين والمشركين ، حيث يقول : "وهي أعظم وقعة بيننا وبينهم وهي بمثابة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان[2]" فغزوة بدر كانت بمثابة المسمار الذي دق في سفينة المشركين ، وهذه المعركة كذلك كانت بمثابة المسمار الذي دق في سفينة المشركين ، وهذه المعركة كذلك كانت بمثابة المسمار الذي دق في سفينة ملك غوبر (يُنْفُ) ، حيث أدت نتائج هذه المعركة إلى رفع الروح المعنوية عند المسلمين ، في الوقت الذي دب الرعب والخوف في قلوب أعدائهم ، إضافة الى أنها قد دفعتهم لمواصلة الجهاد وهم في موقف المهاجم ، وليس المدافع كما هو الحال بالنسبة لهذه المعركة في بادئ الأمر ، يقول عبدالله بن فودي "لما طرد الله سلطان غوبر وجيوشه صرنا نحن نغزوهم ولا يغزوننا" [3].

والجدير بالذكر أن المجاهدين لم يكتفوا بهذا النصر ويخلدوا إلى الراحة بل واصلوا عملية الجهاد ، فبعد أن قاموا بعض الوقت في معسكرهم (بقد) يدبرون أمرهم ، ويجبرون كسرهم ، ويحتالون في طلب العيش نظراً لصعوبة الحصول عليه ، لأنهم محاربون في جميع بلاد الهوسا ، ولأن معيشتهم تقتصر على ما يغنمونه من المعارك ، خرج جيش المجاهدين بقيادة محمد بيللو لمتابعة جيش العدو المنهزم ، وقد وصل محمد بيللو بجيشه إلى المكان الذي هاجروا منه (دقلْ) ، ثم رجع

---

(١) المصدر نفسة ، ص . ص (٤ ، ٧٥) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق، ق ق (٧-٩) .

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٧٣) .

(٣) FODIYO, A.M, OP. CIT, P. 6I.

إلى معسكره بـ (قُد) بعد أن غنم ما شاء الله من الغنائم التي حصل عليها من المناوشات التي وقعت بينه وبين فلول الأعداء المنهزمة[1] .

ومن الملاحظ أن الاشتباكات بين الطرفين خلال شهري صفر وربيع الأول ، قد اقتصرت على السرايا التي يبعثها الشيخ عثمان لأراضي العدو من أجل طلب القوت للمجاهدين، لأنهم في فصل جاف، ومعسكرهم في (قُد) أرض صحراوية قاحلة ، لذلك أخذ الشيخ عثمان يرسل بالسريا التي يتم بواسطتها تموين المجاهدين بما يحتاجونه من القوت ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أراد أن يرهب الأعداء ولا يعطيهم الفرصة ليلموا شملهم ، ثم يعاودوا الهجوم مرة آخرى على المجاهدين ، ولما دخل فصل الربيع حيث تهطل الأمطار بغزارة ، وتتوقف الحروب أراد الشيخ عثمان أن يرحل بجنده إلى مكان يجدون فيه العيش ، فقرر الرحيل الى بلاد كب .

انتقال الشيخ إلى بلاد كب :

بعد أن أمضى الشيخ عثمان خمسة أشهر في (قُد) من يوم أن هاجر إليها في ذي القعدة سنة ١٢١٨/ فبراير ١٨٠٤م إلى ربيع الأول سنة ١٢١٩هـ ، يوليو سنة ١٨٠٤م ، قرر الانتقال إلى بلاد كب حيث حلول فصل الأمطار وكانت بلاد كب تحت إمرة "محمد مويح" وهو من مناصري الشيخ في جهاده ، وقد أرسل إليه الشيخ ابنه محمد بيللو ، فأخبره بأن والده وأتباعه يطلبون منه الإذن لهم بدخول بلادهم نظراً لازدياد حدة الجوع وليس عندهم من الميرة ما يكفيهم ، فأذن لهم ، ثم

---

(١) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٨٠) .

سار الشيخ بأتباعه إلى أن وصلوا بلدة (مَغَبْش) فأقاموا فيها مدة شهرين[1].

إرسال الشيخ عثمان الرسل إلى أمراء البلاد السودانية :

بعد أن استقر الشيخ في "مغبش" أرسل رسائله إلى أمراء البلاد السودانية ، وقد بين لهم فيها " ما هو فيه من نصر الحق على الباطل وإحياء السنة وإخماد البدعة وطلب منهم أن يخلصوا لله دينهم وأن يتبرؤوا من كل ما يخالف الشرع ويصادمه ، والتمس منهم أن يساعدوه على جهاد عدوه ، وأن لا يغتروا بكلام عدوه فيه فيساعدوا العدو عليه فيعمهم الهلاك بسبب ذلك ، لأن الله أقسم لينصرن المؤمنين وليخزين الكافرين[2]" ، وقد حمل رسل الشيخ عثمان هذه الرسائل وساروا بها إلى أمراء " كاتسينا" و "كانو " و "زكزك" يقول محمد بيللو : " لما أوصلوا وثيقة أمير كاتسينا ونظر إليها أخذته العزة فمزقها ، فمزق الله ملكه ولما أوصلوا وثيقة أمير "كانو" كاد أن يقبل ثم أبى وسلك ما سلك أخوانه ، ولما أوصلوا وثيقة أمير "زكزك" قبل وتاب وأبى عليه قومه ، فقاتلهم فقام على ذلك مدة عمره ولما مات بغوا على المسلمين وارتدوا وكان من أمرهم ما كان[3]".

وهكذا لم يترك الشيخ فصل السلم المفروض يضيع عليه هدراً ،

---

(١) المصدر السابق ، ص (٨٢) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق (٩).

(٢) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٨٣) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق (٩) .

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٨٢) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق (٩ ، ١٠) .

فإن كان الجهاد بالسيف قد توقف نظراً لحلول فصل الأمطار ، فإن الجهاد بالكلمة الطيبة لم يتوقف ، فقد استغل الشيخ هذه الفرصة لكي يكاتب الأمراء والملوك ويخبرهم بما هو فيه من نصرة الحق على الباطل ، وهو بهذا يحقق أحد أمرين :

الأول : إما أن يقبلوا منه ما يدعوهم إليه، وهو ما حصل مع أمير "زكزك" فيكون بذلك قد كسب مناصراً للدعوة ، وإن لم يشترك معه في الجهاد ، فإنه سيمده بالمؤونة .

الثاني :وإما أن يرفضوا ما يدعوهم إليه ، وهو ما حصل مع أميري "كاتسينا" و "كانو " فيكون بذلك قد برهن لهم شرعية جهاده لهم بأنهم رفضوا ما دعاهم إليه .

انتقال الشيخ من مغبش إلى صُكُتُ :

لما حان دخول فصل الخريف ، اجتمع الشيخ بأتباعه ، وتشاوروا في أمرهم ، فقرروا العودة إلى أطراف بلاد العدو ، لكي يتسنى لهم شن الهجمات عليهم من مكان قريب يسهل الوصول إليهم ، وقد اتفقوا على الانتقال إلى صكت ، فساروا بعيالهم إلى أن وصلوا سيفاوا ، ثم انتقلوا منها إلى صكت ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٩هـ/ سبتمبر ١٨٠٤م[١] .

أمير غم يسعى في الإصلاح بين الطرفين :

في أثناء إقامة الشيخ في صكت وصل إليه بريد أمير غم يطلب منه عقد الصلح مع ملك غوبر ، فأجابه الشيخ ، ثم أرسل إلى ملك غوبر

---

(١) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٨٤) .

"ينف" وبين له أنهم لايقدرون على مواجهة جماعة الشيخ فضلاً عن القضاء عليهم ، وأن الأفضل هو عقد الصلح معهم ، ونظراً لمكانة هذا الأمير عند ملك غوبر فقد اقتنع برأيه ، وأرسل إلى الشيخ وزيره الأكبر غلاديم ، فلما وصل إلى الشيخ وعرض عليه الصلح وافق الشيخ على ذلك بعد مشاورة أتباعه ولكن بشرطين :

الأول : أن يحضر الملك بنفسه للمفاوضة مع الشيخ بشأن الصلح .

الثاني : أن مدينة "دان غيد" ليست داخلة في هذا الصلح لأن الشيخ قد وجه إليها جيشا لفتحها ، وقد تمكن هذا الجيش من فتحها وغنموا منها مغانم كثيرة[1] ، وقد أمنهم الشيخ مدة يسيرة إما أن يقبلوا هذين الشرطين ، وإما أن يرضوا بالقتال .

ثم سار الوزير إلى الملك وأخبره بما اشترطه الشيخ للصلح ، فكاد يقبل الملك شروط الشيخ ويسير إليه ، ولكن مستشاريه من الوثنيين أقنعوه بعدم السير على أن يواصل المفاوضات بإرسال الرسل ، فأرسل إلى الشيخ أحد جماعته من المجاهدين عنده ، وهو الشيخ الشريف باب ، فأبلغه بأن الملك لن يحضر إليه ، وأنه يرغب في الصلح عن طريق الرسل المتبادلة فيما بينهما ، فرفض الشيخ هذا الطلب ، وقرر نقض الهدنة ، فرجع الشريف باب إلى الملك وأخبره بذلك[2] .

والجدير ذكره أن الشيخ عثمان لم يوافق الملك على طلبه ، لأنه اعتقد أنها خطة للقضاء عليه ، ففي أثناء المفاوضات يقوم الملك بشن الهجوم عليه وعلى جماعته وهم آمنون ، لأنها ليست المرة الأولى ، فقد

---

(١) المصدر نفسه ، ص ، ص (٨٤ ، ٨٥) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٨٥) .

سبق أن استدعاه الملك إلى قصره وكاد يقتله لولا أن نجاه الله منه ، فمثل هؤلاء ليس لهم أمان ، والصلح لن يتحقق إلا بعد أن يعلم الجماهير بأن الملك حضر الى الشيخ بنفسه ، وأمضى معه على الصلح ، وبذلك يكون الملك قد أدان نفسه أمام الأمة بحضوره إلى الشيخ ، إضافة إلى أن حضوره يعتبر انتصاراً للدعوة نظراً لخضوع أقوى أعدائها .

وهكذا لم تنته هذه المفاوضات إلى الغرض المنشود منها ، فعادت العلاقات فيما بينهما إلى سابق عهدها ، فأرسل الشيخ جيوشه إلى البلاد المجاورة له ، وتمكنت من النصر والغنيمة ، ففتحت "غنغرم" و"كيسي"[1] .

الحصار الأول لمدينة القاضاوا :

لقد فسر الشيخ موافقة الملك على الصلح في بادئ الأمر بأنه دليل على ضعفه ، فأراد أن يوجه إليه الضربة من القلب ، ويفرض الحصار على العاصمة لكي يتحقق له على الأقل واحد من الأمور التالية :

أولاً : إما أن يرضخ الملك لشروط الشيخ في الصلح فيأتي إليه بنفسه ويملي عليه الشيخ شروطه ، فيكون بذلك قد حقق ما يريده من وراء جهاده ، حيث سيدعو الناس إلي الإسلام الصحيح بكل أمن وإطمئنان .

ثانياً : وإما أن يتمكن الجيش من فتح المدينة ، وبذلك ينتهي ملك السلاطين الضالين بسقوط عاصمتهم .

---

(١) نفسه .

ثالثاً: وإما أن تمتنع عليهم ، فتكون قد ازدادت جراح أعدائهم ، الأمر الذي سيؤدي في النهاية إلى القضاء عليهم

رابعاً: إن فرض الحصار على هذه المدينة سيمكن أتباع الشيخ في داخلها وفي المدن المجاورة لها من الانضمام إليهم ، وبذلك تقوى شوكة المجاهدين في الوقت الذي يضعف فيه أعداؤهم .

وقبل أن يقدم الشيخ على تنفيذ خطته جمع أصحابه وتشاور معهم في تنفيذ هذا الحصار ، فاتفق رأيهم على محاصرتها ولكن بعد توجيه الضربات القاسية على المدن المجاورة لها لئلا تنضم إلى الملك وقت الحصار ، فتضرب جيشهم من الخلف ، فاتفق المجاهدون على ذلك ، وتحرك جيشهم بقيادة "علي جيد" وتمكنوا من فتح مدينة "غيال" ، ثم واصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى "بور" ، وهنا وصل إليهم رسل إخوانهم من الفلانيين الذين أسلموا وصاروا مركزاً للجؤ المهاجرين الفارين من الأعداء ، وبخاصة من إقليم كاتسينا ، وبهذا يكون المجاهدون قد حققوا أحد الأمور التي يرجونها من هذا الهجوم ، ألا وهو تقوية شوكة أتباعهم داخل إقليم القاضاوا والذين بدأوا يشنون هجماتهم المباغتة على الأعداء ، والتي وصلت إلى "جرو" قريباً من حصن القاضاوا [1] ، وهكذا مهد المجاهدون السبيل لحصار عاصمة غوبر في شعبان سنة ١٢١٩هـ / نوفمبر ١٨٠٤م ، وقد قاد الجيش الوزير الأكبر عبدالله شقيق الشيخ ، وعند وصوله إلى حصن المدينة فرق جيشه إلى ثلاث فرق ميسرة و ميمنة والقلب ، وكانت الميسرة ، والميمنة من الخيالة ، أما القلب ففيه حامل الراية والمشاة ، وفي أثناء الحصار وقعت معارك جسيمة ، ففي اليوم الأول خرج جند غوبر وحملوا على ميسرة

---

(١) المصدر السابق ، ص - ص (٨٥ ، ٨٦).

المجاهدين ، واستمرت المعركة إلى الليل استطاع فيها المجاهدون أن يثبتوا لهم وأن يهزموهم ويكثروا فيهم القتل ، وقد أصيب قائد جيش المجاهدين في رجله من سهم صوب إليه من داخل الحصن ، ثم عاودوا القتال في اليوم الثاني حيث خرج العدو بخيل عظيمة ، فتلقاه المجاهدون وأرجعوه خائباً ، وتبع محمد بيللو آثاره حتى وصل إلى "زغرب" بجنب الحصن من ناحية اليمين وبات فيها ثلاث ليال ، وبعدها عبأ جيشه للقتال وعزم على فتح الحصن ، فحاصره أشد حصار حتى كاد يسقط في يده لولا أن خدعه الطوارق الذين "ينافقون يأتون ويقولون آمنا وإذا خلوا إلى الكفار السودانيين قالوا إنا معكم"[1] فبعد أن اشترك هؤلاء الطوارق مع المجاهدين في المعركة الأولى رجعوا إلى رحالهم ، ثم غدروا بهم وخلفوهم في عيالهم ، ولما علم المجاهدون بذلك فكوا الحصار ورجعوا إلى أولادهم لتأديب الطوارق[2] .

لقد فك المجاهدون الحصار عن مدينة القاضاوا لكي يؤدبوا الطوارق ثم يعودوا لمحاصرتها مرة أخرى ، فلما رجعوا إلى معسكرهم بعث محمد بيللوسرية إلى "آكُيْ" فأصابت غنائم كثيرة ثم رجعت إلى معسكرها سالمة ، وبعد ذلك انتقل الشيخ إلى "بور" ثم إلى "نُنْشُو" وفيها هجم عليهم الأعداء الطوارق والغوبريون فكانت الهزيمة للمجاهدين ، فقتل منهم نحو ألفين من بينهم قاضي القضاة محمد ثنب بن عبدالرحمن ، وصاحب اللواء محمد سعد بن الحسن المشهور بلقبه سعدار ، وغيرهم كما استشهد من القراء ما يقارب المائتين[3] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص (٨٧).

(2) Fodiyo, A. M, Op. Cit, P. 61.

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص .ص (٨٧ ، ٨٨) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري، المصدر السابق ، ق . ق(١١ ، ١٢).

بعد هذه الهزيمة القاسية التي منى بها المجاهدون قرروا الانتقال إلى "برايا زاك" ، فانتقلوا إليها وأقاموا فيها بقية شهر رمضان سنة ١٢١٩هـ/ ديسمبر ١٨٠٤م ، فلما صلوا فيها صلاة الفطر خرجوا إلى "جرو" لقتال الطوارق والغوبريين ، فلما علموا بهم هربوا، فاقتفى المجاهدون أثرهم وقتلوا من أمسكوا به منهم[١] .

بعد هذه المعارك التي لم تنته إلى انتصار أحد الفريقين ، قرر المجاهدون العودة إلى حصار العاصمة عسى أن تسقط في أيديهم ، فانتقلوا إليها في مستهل شهر شوال سنة ١٢١٩ هـ/ ديسمبر ١٨٠٤م ، وعسكروا في "جرو" واستمر الحصار قرابة شهر ولم تسقط في أيديهم، فقرروا فك الحصار عنها ، ونقل ميدان القتال إلى الجنوب والجنوب الغربي حيث إقليم "زنفرا"[٢] .

وقبل أن ننتقل لمتابعة أحداث الجهاد فى إقليم "زنفرا" يجدر بنا أن نشير إلى خطة المجاهدين العسكرية في قتالهم ، يقول محمد بيللو : "وكان تعبئتنا إذا صدق الحرب نقدم الطلائع نحواً من مائتي خيل ونقفيهم بالمقدمة من الرجالة (ونؤمر) عليهم ونجمع الرجالة الى القلب ويجتمع في القلب الأشراف أهل الرايات مع راياتهم ونجعل الخيل في الميمنة والميسرة "(ونؤمر) عليهم ثم نجعل على المؤخرة طائفة"[٣] .

الجهاد في زنفرا:

بعد الانتهاء من حصار حصن القاضاوا للمرة الثانية ولم يتمكنوا من فتحه ، قرروا الانتقال إلى بلاد "زنفرا" لسببين هما :-

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص ص (٨٨) .

(٢) المصدر نفسه ، ص . (٩٠) ، وكذلك: fodiyo, a . m, op. cit, p. 62.

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٨٨) .

الأول : البحث عن القوت، لأن أهل غوبر فرضوا الحصار الاقتصادي عليهم فلا يستطيعون الحصول على القوت إلا بواسطة الجهاد عن طريق الغنائم التي يكسبونها ، وهذا بطبيعة الحال لن يكفيهم وحدهم فضلاً عن أن يكفي أولادهم معهم ، وإذا كانت مملكة "زنفرا" على عداوة مع مملكة غوبر ، فإنها ستقف إلى جانب الشيخ وأتباعه في هذا الجهاد لكي يتنقموا لهم من عدوهم .

الثاني : مواصلة الجهاد من مكان آمن لا يخافون فيه على أولادهم أثناء تنقلاتهم وجهادهم . لذلك نرى جماعة الشيخ قد اتفق رأيهم على الانتقال إليها ، فرحلوا إليها بعد تمام سنة من هجرتهم الأولى إلى "قد" ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٢١٩هـ/ فبراير ١٨٠٥م[١] .

على أن العدو لم يتركهم يرحلون في أمن وأمان ، فقد لحق بهم وهم في طريقهم إلى بلاد "زنفرا" والتقى بهم عند مكان يقال له "شنكاف" ونشبت المعركة بينهما في هذا المكان وانتهت بانتصار المجَاهدين ، ثم واصلوا رحلتهم حتى وصلوا إلى "دُمني" وعندها لحق بهم العدو مرة أخرى فأكثر المجاهدون فيهم القتل وغنوا منهم مغانم كثيرة ، وبعد انتهاء هذه المعركة واصل المجاهدون سيرهم حتى وصلوا إلى "دُفُو مَقَر" وبها وجدوا العمارة بعد الفيافي والقفار التي قطعوها في رحلتهم هذه ، وفي هذا الموضع تلقاهم وفود الزنافرة من السودانيين فرحبوا بالشيخ وطلبوا منه إصلاح أمرهم في شأن الولاية ، فأصلح بينهم ثم واصل رحلته حتى وصل إلى "ريمو" فأقاموا فيها شهر ذي

---

(١) المصدر نفسه ص (٦٢).

القعدة سنة ١٢١٩هـ / نوفمبر ١٨٠٥م[١]، وفي مقامهم فيها دخل عامهم الثاني من هجرتهم ، وقد بدؤوه بتوجيه سريتين إلى أرض العدو ، الأولى بقيادة "علي جيد" الذي فرج بالجيش ولم يتفق له جمع فرجع إلى معسكره ، والثانية بقيادة "محمد بيللو" الذي خرج إلى أطراف بلاد غوبر ، وسار خمس ليال حتى وصل إلى "زارقي" فالتقى بالعدو في هذا المكان وانتصر عليه وغنم منه غنيمه كبيرة[٢] ثم رجع إلى معسكره في "ريمو" فوجد عمه الوزير عبدالله قد رحل إلى "سابنغر" ، ولما صلى صلاة عيد الأضحى مع والده الشيخ عثمان لحق بالوزير عبدالله في سابنفر لإقامة مؤقتة حيث إنها مكان حصين من حيث الموقع ، والإعداد لمواصلة الجهاد لنأيها عن العدو في أعلى وادي "النهر الميت"[٣]، ذلك لأن أهل البلاد من السودانيين قد تكاتفوا على عداوة الشيخ وأتباعه ، وطلبوا استئصالهم ، فلا يذهب أولاد الجماعة إلى بلد من بلادهم لطلب القوت إلا ومنعوهم ما عدا أهل "زنفرا" لعداوتهم لملك غوبر[٤]، وكانت مدة إقامة الشيخ في بلاد "زنفرا" حوالى ثمانية أشهر ، كانت مليئة بالعمل والجهاد المتواصل والنتائج المهمة التي كان لها أثرها في ازدياد الإقبال على الاسلام ورفعة شأنه وقوة أهله ، وزلزلة أركان الكفر ، وتوالى نصر الله لهم[٥].

وهنا يجدر بنا التطرق إلى حادثتين قد وقعتا للمجاهدين مع كاتسينا في أثناء إقامتهم ب "سابنغر" فقد قام قائد الجيش "علي جيد"

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٩٠) ، وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق ، ق (١٢ ، ١٣).

(٢) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٩١) .

(٣) حسين عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق ، ص (٢٨١).

(٤) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (٩١) .

(٥) حسين عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق ، ص (٢٨١).

مع بعض المجاهدين بالإغارة على "دل" وغنموا منها ، ثم رجعوا ، والثانية : أن أحد أتباع الجماعة وهو : محمد بن الحاج كان قد خرج بجماعته من "زنفرا" عائداً بهم إلى "غرباي" للالتحاق بمن تخلف من الجماعة هناك ، فجعل أمير كاتسينا ينفذ إليهم الغارات وهم يهزمونها ، وتكررت تلك المناوشات عدة مرات أكد فيها الجماعة وقوفهم في مواجهة أعدائهم في "كاتسينا" بل ومواصلة الجهاد ضدهم[1] .

غزو بلاد كب :

لقد اجتمع أصحاب الرأى من المجاهدين ، وتشاوروا في غزو بلاد "كب" ، فاتفق رأيهم على غزوها لعدة أسباب أهمها :

أولاً : أن ولاية "كب" تقع في أقصى الغرب لولايات الهوسا السبع ولا تستطيع الاتصال بمملكة "غوبر" إلا عن طريق مملكة "زنفرا" ، ولما كانت "زنفرا" على عداوة مع "غوبر" بسبب القتال الذي نشب بينهما وانتهى بانتصار "غوبر" ، لذلك فإنها ستمنع "كب" من الاتصال بها ، هذا إضافة إلى موقعها البعيد من هذه الإمارات ، فكان لهذا البعد والعزلة أثرهما في توجيه المجاهدين الجيوش إليها[2] .

ثانياً :أن للشيخ عثمان أتباعاً وحلفاء عند بعض الحكام في "كب" منهم "عثمان مسي" ابن سلطان "كب" . وقد ولاه الشيخ عثمان على من أطاعه من أهل "كب" ، وكان له جهة يستقل بحكمها ، وكذلك أمير جماعة الشيخ في "كب" الذي أسلم هو ومن

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٩١) .

(٢) حسين عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق ، ص (٢٨٢).

معه وانضم إلى جماعة الشيخ في "سابنغر" وصلى معهم صلاة عيد الأضحى ، ثم غادر إلى بلاده في الوقت الذي تهيأ فيه جيش المجاهدين لغزو "كب"[1].

ثالثاً : أن مملكة "كب" لها عدة ميزات مهمة ، فموقعها حصين ، وبلادها غنية بالخيرات ، وأرضها خصبة ، فإذا قدر الله لهم فتحها ، فإنها ستزودهم بدفعة قوية لمواصلة الجهاد في بقية بلاد الهوسا ، لذلك قرر المجاهدون الاقتصار على المناوشات والغارات والسرايا مع مملكة غوبر في الوقت الذي ينقلون فيه ميدان القتال إلى "كب" ، وكانت خطتهم تقضي بأن يظل "محمد بيللو" مع والده الشيخ "عثمان" في "ساينغر" لحراسة أولاد الجماعة مع القيام ببعض الغارات على أطراف بلاد "غوبر" في الوقت الذي يتوجه قائد الجيش "علي جيد" ، والوزير "عبدالله" شقيق الشيخ عثمان إلى غزو بلاد "كب" ، وقد أطلقوا على هذا الجيش اسم "جيش الفتوح" (٢).

سار جيش الفتوح إلى "كب" في ذي الحجة بعد صلاة عيد الأضحى سنة ١٢١٩هـ/ مارس ١٨٠٥م ، وتوجهوا إليها من جهة الجنوب فتلقاهم أهل بلدة "غم" بالقتال من حصن لهم يقال له "كند" ، فقاتلهم المجاهدون وضيقوا عليهم الحصار حتى استسلموا ، وطلب أميرهم الأمان فأمنه الوزير "عبدالله" على أن يصحبه إذا رجع من الغزو إلى أمير المؤمنين ليحكم في أمره ، فوافق أمير "غم" على ذلك ،

---

(١) fodiyo, a . m, op. cit, p. 62

(٢) المصدر السابق ، ص (٦٢) .

ثم واصل الجيش زحفه ، وفتح جميع الحصون التي مر بها وهو في طريقه إلي حصن سلطان "كب" بعضها سلماً ، وبعضها قهراً(١)، فلما وصلوا قريبا من حصن "كب" بات الجيش ليال ليرتاح ويستعد للهجوم، وفي يوم السبت ١٢ محرم سنة ١٢٢٠هـ/ ١٢ إبريل سنة ١٨٠٥م شنوا هجومهم على الحصن ففتحه الله عليهم ، وغنموا منه غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها ، وأقاموا عليها "عثمان مسى" وعينوه أميراً لبلاد "كب" أما ملكها فقد فر هارباً بمن معه في الحصن إلى ناحية الشمال حتى وصلوا إلى "دمان" فإقاموا فيها بعض الوقت ، ثم انتقلوا إلى "أوغ" ، وقد مات منهم أثناء فرارهم أكثر من ألف شخص ، بسبب العطش ، وبفتحهم لهذا الحصن أتموا فتح بضعة وعشرين حصناً من حصون بلاد "كب" ، ثم رجعوا إلى معسكرهم في "سابنغر"(٢).

لقد كان لهذا الانتصار الذي أحرزه المجاهدون في "كب" أثره الكبير في ازدياد الدين الإسلامي رفعة وقوة ، بينما زلزل فيه أركان الكفر زلزلة عظيمة ، فقد نصر الله المسلمين شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً ، أقاموا فيه سبعة أشهر يفرحون بفضل الله وهم في معسكرهم بـ"سابنغر"(٣) ففي الوقت الذي كان فيه جيش المجاهدين يفتح الحصون في بلاد "كب" ، كان " محمد بيللو "(٤) يقوم بالغارات ويبعث بالسرايا إلى بلاد "غوبر" و"كاتسينا" ، واستطاع في هذه الغارات أن يفتح في

---

(١) نفسه.

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص ص (٩١ ، ٩٢).

(٣) عبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق (١٣).

(٤) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (٩٧) .

"غوبر" بلدة "غودا" يوم الأحد ١٣ محرم سنة ١٢٢٠ هـ/ ١٣ أبريل سنة ١٨٠٥م ، وغنم منها غنيمة عظيمة ، ثم رجع إلى معسكره سالماً غانماً ، واتفق وصوله بوصول إخوانه الذين غزو بلاد "كب" ، وذلك في آخر المحرم من نفس السنة . ثم واصل المجاهدون عملياتهم الحربية وهم في معسكرهم بـ "سابنغر" مدة ستة أشهر حتى نهاية شهر رجب ، واستطاعوا في هذه الفترة أن يلحقوا بالعدو الهزائم المتتالية في بلاد "غوبر" و "زنفرا" وكاتسينا" .

فتح مملكة كانو : ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م :

لقد بدأ أمير "كانو" يضيق على المنتسبين إلى الشيخ في بلاده منذ أن وصل إليه بريد ملك "غوبر" في صفر سنة ١٢١٩هـ/ مايو ١٨٠٤ ، يطلب منه المساعدة في حربه ضد الشيخ في موقعة "كتو" - السالفة الذكر - فخافوا على أنفسهم وهاجروا إلى أطراف بلاده ، فأخذ يوجه إليهم الغارات ، وهم يقومون بردها ، فجرت بينهما حروب كثيرة لم تنته إلى حد فاصل ، ثم خرج أمير "كانو" بنفسه يقود الجيش للقضاء عليهم ، فنزل بحصن "جان يحيى" ، ولما علم به الجماعة خرجوا إليه بعيالهم وقاتلوه حتى سقط الحصن في أيديهم ، وقتلوا من جنوده عددا كبيرا ، أما الأمير فقد هرب إلى حصنه الأكبر ، فلحقت به الجماعة ولم يلبثوا إلا أياماً قلائل حتى تمكنوا من فتحه بعد أن هرب الأمير إلى "رنو" ، فسكنت الجماعة في الحصن ، ولما أراد الأمير أن يرجع إلى مملكته ويخرج الجماعة منها ، تلقوه في بُرْمْبُرْمْ فقتلوه وشتتوا جنوده[1] . وبذلك ضموا مملكة كانو إلى ملك الشيخ عثمان الذي أمر عليها من

(١) المصدر السابق ، ص (٩٧).

أتباعه الشيخ الفقيه "سليمان بن أبجم" .

فتح مملكة كاتسينا : سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م :

لما اشتد الجوع بالشيخ وجماعته في "سابنغر" ، إضافة إلى بغي أهل "زنفرا" عليهم قرروا الرحيل منها إلى بلاد "كب" فانتقلوا إليها في رجب سنة ١٢٢٠ هـ/ نوفمبر ١٨٠٥م ، وسكنوا في "بنغاد" ، ولما استقر بهم المقام أرسل "محمد بيللو" "عمر دالاج" إلى المتسببين لهم في "كاتسينا" و"كانو" ، ليخبرهم بانتقالهم إلى أرض "كب" ، وما هم فيه من الجوع وقلة العيش ، فخرج "عمر دالاج" حتى وصل إلى "كاتسينا" وكان من أهلها ، فاتصل بجماعته هناك ، وأرسل الرسائل إلى المجاهدين في "كانو" ، وقد توافق وصوله إلى "كاتسينا" ، مع خروج أميرها ومعه أمير "دور" متوجهين إلى "كانو" لنصرة أميرها ضد المجاهدين هناك ، وكان معها عدد كبير من الجنود ، فلما وصلوا قريبا من "كانو" تلقاهم نفر من المجاهدين فهزموهم وشردوهم ، وفر أمير "كاتسينا" ، إلى "جاندوت" وتحصن بها ، فلحق به المجاهدون ووقعت بينه وبينهم عدة معارك انتهت بهزيمته وهرب إلى حصنه في "كاتسينا" وهنا أراد المجاهدون أن يقضوا عليه ويفتحوا بلاده ، فاتفق كل من القائدين "محمد بن الحاج" و"عمر دالاج" على محاصرته في حصنه من الجهتين الشمالية والجنوبية ، فعسكر "محمد بن الحاج" قريباً من الحصن من الجهة الشمالية ، وعسكر "عمر دالاج" قريباً منه من الجهة الجنوبية ، ولما رأى أمير "كاتسينا" هذا الحصار المفروض عليه ، أراد أن يفرق بينهما ، فأرسل إلى "محمد بن الحاج" يطلب منه الصلح ، فوافقه على ذلك ، ولكنه أرسل إلى القائد "محمد بيللو" يستشيره

في هذا الصلح ، فلم يوافقه على ذلك خشية التفريق بين الجماعة ، ولما وصل بريد "محمد بيللو" وجد أن "محمد بن الحاج" قد توفي ، فأمر "عمر دالاج" بمواصلة القتال ، فعبأ الجيش للقتال وفرض الحصار على المدينة فخرج إليه أميرها مع جيشه ، فكانت الهزيمة عليهم، وقتل أمير "كاتسينا" فخلفه أمير آخر أصر على مواصلة القتال ، فرجع بجيشه المنهزم إلى المدينة وتحصن بها ، فلحق به جيش المجاهدين وحاصروه ، فهرب منها إلى "دنكم" ، فلحق به "عمر دالاج" في نفر يسير فكانت الهزيمه عليه ، فرجع إلى الحصن ، وهنا اشتد ساعد أمير "كاتسينا" الجديد ، فلحق بـ "عمر دالاج" وتمكن من اقتحام الحصن وإخراج "عمر دالاج" وجيشه منه ثم دخل إلى الحصن وأخذ جميع ما به من الغنائم ورجع إلى "دنكم"[1].

ولما وصل الأمر إلى هذا الحد ، وأيقن المجاهدون بعجزهم عن قتاله ، أرسلوا إلى إخوانهم في "كانو" يطلبون منهم المدد، فلما وصل اليه المدد منها ، وعزموا على قتال أمير "كاتسينا" ، وتحسن وضعهم العسكري أكثر اجتمعو عند حصن "كاتسينا" ، ثم ساروا وعليهم "محمد نمود" إلى "دنكم" ففتحوها ، وقتلوا أمير "كاتسينا" الجديد ومن معه من صناديد قومه ، ثم رجعوا إلى الحصن ، وبذلك تمكنوا من ضم مملكة أخرى إلى ملك الشيخ عثمان الذي أمر عليها من قبله "عمر دالاج" حيث كان من أهلها إلا أنه ممن آمن بدعوة الشيخ وعمل على نصرها[2].

---

(١) المصدر السابق ، ص ، ص(٩٥، ٩٦).

(٢) المصدر السابق ، ص ، ص(٩٧).

فتح مملكة دور : ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م:

لقد اشترك أمير "دور" مع أمير "كاتسينا" ، في قتال المجاهدين في "كانو" وكاتسينا" ، وبعد الهزائم المتتالية عليها ، رجع إلى بلاده ، فقام عليه أهل "دور" من المنتسبين للشيخ عثمان ، وساعدهم في ذلك إخوانهم في "زكزك" بقيادة أميرهم "موسى" فضيقوا الخناق على أمير "دور" ومن معه من أتباعه ، ولما أحس بالهزيمة هرب إلى أطراف بلاده ، ثم هرب إلى "برنو" لما علم بطلب الجماعة له ، وأقام فيها إلى أن توفي ، وبهذا تم للمجاهدين فتح مملكة "دور" ، وقد أمر عليها الشيخ عثمان أحد أتباعه وهو الأمير "إسحاق"[1] .

حروب الشيخ عثمان في بلاد «كب" و"زنفرا" وأطراف بلاد "غوبر" : ١٢٢١هـ/١٨٠٦م:

لما انتقل الشيخ عثمان من "سابنغر" في "زنفرا" إلى "بنغاد" في كب لم يطب له المقام فيها نظراً لقربها من العدو من جهة ، ومن جهة أخرى ، كانت جبهة القتال قد اتسعت على المجاهدين فبعضهم يقاتل في "كانو" وبعضهم في "كاتسينا" وبعضهم في "دور" ، وهذه الممالك تقع في جنوبي وشرقي بلاد "غوبر" ولا يستطيعون الاتصال بإخوانهم في "كب" إلا بمشقة نظراً لبعد المسافة بينهما ، أما باقي الجيش فقد ظل مرابطاً مع الشيخ ويقاتل الأعداء في "كب" و "زنفرا" ، ولهذه الأسباب فكر الشيخ عثمان بالانتقال إلى أطراف بلاد "كب" لكي لا يصل إليه العدو إلا بشق الأنفس ، وبعد أن يقطع مسافة طويلة

---

(١) نفسه .

للوصول إليهم فانتقل من "بنغاد" إلى "غواند"[1] وأقام فيها مدة أربعة أعوام من ١٢٢٠هـ-١٢٢٤هـ/ ١٨٠٥م ، وطوال هذه الفترة كانت الحروب قائمة بينهم وبين أعدائهم ، فقد أرسل الشيخ عثمان "علي جيد" في سرية إلى بلاد "غوبر" ، ولما تعذر عليه الوصول إليها غير اتجاهه إلى "كرفي" في "كب" ، فهجم عليها وأصاب منها غنيمة ثم رجع إلى "غواند" حيث معسكرهم هناك ، كما بعث بسرية أخرى إلى بلاد "زنفرا" لإغاثة أتباعهم هناك ، حيث إن أهل "زنفرا" استنجدوا بملك "غوبر" -بعد أن تحسنت العلاقات بينهما- للقضاء على أتباع الشيخ عندهم ، وكانت هذه السرية بقيادة "محمد بيللو" الذي أخذ يشن الغارات عليهم حتى تمكن من طرد العدو عن جماعتهم هناك، كما تكمن من فتح تسع قرى في "زنفرا"[2] .

معركة ألوسا : ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م:

لما تكررت غارات المجاهدين على أعدائهم في "زنفرا" و "كب" و "غوبر" تحزب هؤلاء ضد المجاهدين وساروا بجيش كبير إلى المجاهدين وهم في مقامهم ب "غواند" ، ولما علم بهم المجاهدون تشاوروا في أمرهم فرأى بعضهم أن ينتظروهم حتى يصلوا إليهم وكان على هذا الرأي الوزير "عبدالله" والقائد "محمد بيللو" ورأى البعض الآخر أن يخرجوا لملاقاة العدو خارج معسكرهم ، وكان على هذا الرأي قائد الجيش "علي جيد" ، ثم توالت المشاورات بينهم حتى اتفق أغلبهم على الخروج لملاقاة العدو ، فخرج الجيش بقيادة "علي جيد" وكان معه

---

(١) المصدر السابق ، ص . ص(٩٨).

(٢) نفسه ، ص (٩٨).

الوزير "عبدالله" والقائد "محمد بيللو" ، فلما وصلوا إلى حصن "كولد" بأرض "كب" وكان يسكنها أهل الذمة[1] وبعض جماعة الشيخ ، نهب الجيش هذا الحصن ولم يسمعوا للوزير "عبدالله" و"محمد بيللو" عندما نهوهم عن هذا العمل ، فدب الخلاف في الجيش، حيث خاف الوزير "عبدالله" من عاقبة ما صنعوا فطلب من قائد الجيش الرجوع إلى "غواند" ، فلم يوافقه على ذلك بعض الرؤساء ، ومضوا حتى التقوا بالعدو ، قريباً من هذا الحصن عند مكان يقال له "ألوسا" فنشبت المعركة بينهما واستمرت مدة ستة أيام فقد فيها المجاهدون في اليوم الأول حوالي ألف رجل قتلوا في المعركة ، كما وصل العدو في هذا اليوم إلى رحال المجاهدين وشتت شملهم ، وفي اليوم الثاني لم المجاهدون شملهم ووحدوا صفوفهم واستطاعوا أن ينتصروا على الأعداء ، ويقتلوا منهم عدداً كبيراً ، كما غنموا منهم إبلاً وأتراساً وسيوفاً كثيرة ، وفي اليوم الثالث والرابع والخامس كان الفريقان متكافئين ولم يقع فيها معارك كبيرة، أما اليوم السادس فقد وقعت فيه المعركة الفاصلة ، حيث عسكر العدو قريباً من معسكر المجاهدين في "كولد" ، وهنا أدرك الشيخ أن هذا اليوم ستكون فيه نهايته ونهاية دعوته إذا استطاع العدو أن يقتحم عليهم الحصن ، لذلك أخذ يعظ الناس ويحرضهم على القتال ، ويدعو لهم بالنصر ، ثم هجم العدو على الحصن من جميع الجهات ، فخرج له المجاهدون واشتبكوا معه خارج الحصن واستمر القتال إلى الليل ، وفيه ظهرت شجاعة المجاهدين ، فقد كان العدو يفوقهم عدداً وعدة ، ولكن بسالة المجاهدين في القتال

---

(١) المقصود بأهل الذمة هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

جعلت الدائرة على الأعداء الذين فروا منهزمين إلى "غُنْبَأي" ، فلما تبعهم المجاهدون واقتحموا عليهم الحصن، هرب كل منهم إلى بلده، فانشغل المجاهدون بنهب الغنائم من الحصن، وتركوا عدوهم يهرب إلى بلده بسلام[(١)].

ومن الملاحظ أنه في هذه المعركة ارتد عن الإسلام جميع من في الحصون في بلاد "كب" بما في ذلك أميرها "عثمان مسى" ، والذي كان من قبل تابعاً للشيخ ، ولكن لما قامت هذه المعركة ، أيقن بانتهاء الشيخ والقضاء عليه فغدر به وانضم إلى جيوش الأعده مما كان سبباً في زوال ملكه والقضاء عليه ، حيث وجه الشيخ بعد الانتهاء من معركة "ألوسا" ، "علي جيد" في سرية إليه وهو في مدينة "سَوَّ" ، وقد استطاع "علي جيد" أن يقتحم الحصن ويقتل أميرها الغادر بهم ، ويأخذ ما فيه من غنيمة[(٢)].

الحصار الثاني للقاضاوا : ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م:

في الخريف من هذه السنة اجتمع المجاهدون ، واتفقوا على غزو القاضاوا ، فخرج الجيش إليها بقيادة (علي جيد) ، ولما وصلوا إلى (غُنْدُم) لحق بهم إخوانهم من أهل (زوم) ، فساروا حتى وصلوا إلى أرض العدوفأغارت الخيل والمشاة عليهم ، ولما سمع العدو بمسيرهم

---

(١) المصدر السابق ، ص . ص (٩٩-١٠١) وكذلك:

fodiyo, a . m, op.

cit, p. p.66 - 68.

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (١٠٤) .

خرجوا لملاقاتهم فانهزموا ، وقتل من أشرافهم " خمسة رجال كل واحد منهم يعدل مائة عندهم كأمير (غلم) وغيره"[1] . ثم سار الجيش وعسكر قريباً من الحصن ، واتفق وصولهم إليه باستواء ونضوج زروعهم ، فاشتغل المجاهدون بإفساده وتحريقه ، فخرج إليهم العدو ، ونشبت المعركة بينهما ، فانهزم العدو وقتل منهم عشرون رجلاً أو أكثر ثم نهض المجاهدون إلى الحصن فقاتلوه ، ولما تعذر عليهم فتحه رحلوا إلى معسكرهم في (غواند) من أرض (كب)[2] .

فتح القاضاوا : ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م :

لما فشل المجاهدون في إسقاط حصن القاضاوا في خريف سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ، أوصى (محمد بيللو) جماعته في (كانو) و(كاتسينا) أن يقوموا بالغارات المباغتة عليه وعلى القرى المجاورة له ، لكي يتسنى لهم فتحه بعد ذلك ، فأخذوا يقومون بالغارات على بلاد غوبر ، فيغنمون منها ثم يرجعون إلى بلادهم ، ولما حان فصل الربيع سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م خرج (المظفرواون) فغزا جميع جهات حصن القاضاوا ، وساعده في ذلك (عمر دالاج) أمير (كاتسينا) من قبل الشيخ عثمان ، فكان لهذا الغزو أثره المباشر في ضعف بلد غوبر وسقوطها على يد المجاهدين في نفس هذا العام[3] . ففي أثناء قيامها بهذا الغزو كان (محمد بيللو) قد بعث إلى جماعته في بلاد الهوسا يأمرهم بالتهيؤ لغزو القاضاوا ، ولما وصلت إليه الإمدادات خرج الجيش في فصل الخريف من هذه السنة بقيادة (محمد بيللو) ، فجعل على الجنود الغربية القائد

---

(١) المصدر السابق ، ص (١١٢) .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ، ص (١١٤).

(علي جيد) ، وعلى الشرقية (محمد نمود) ، ولما وصلوا قريباً من الحصن باتو ليلتهم هناك ، ثم عبأوا للقتال ، فاتجه (محمد نمود) إلى الحصن من جهة الشمال ، واتجه (محمد بيللو) و (علي جيد) إليه من جهة الشرق ، واشترك معهم في هذا الحصار (عمر دالاج) الذي أخذ يحاصر الحصن من الغرب والجنوب ، ونتيجة لهذا الحصار الذي فرضوه على الحصن من جميع الجهات سقط في أيديهم ، وفتح الله لهم المدينة ، فمالوا على من فيها بالقتل والأسر ، وقتلوا ملكها (ينف) ومن معه من رجال دولته[1].

وبسقوط هذه المدينة خضعت بلاد غوبر للشيخ عثمان ، وصارت تحت ملكه ، وأدرك حكام بلاد الهوسا أن مصير ينف ينتظرهم ، فجنحوا الى السلم وكفوا عن القتال ، ويقول (محمد بيللو) معبراً عن قيمة هذا الانتصار وما يترتب عليه من آثار قريبة أو بعيدة : ولما فتح الله على المسلمين هذا الحصن فرحوا فرحاً شديداً وذل المشركون ذلا كثيراً وكان المسلمون أينما كانوا يتوقعون وقعة القاضاوا ، والكفار حيث كانوا يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وكانوا في كل بلدة (مصغين) إليها ينظرون ما يكون من أمرها فلما كانت الواقعة وسارت بها الركبان سقط في أيديهم وانكسر ظهرهم ، فتاب بعضهم وتابع آخرون ، فاستقام أمر البلاد واطمأن جوانبها والحمد لله رب العالمين[2].

نتائج سقوط القاضاوا:

أولاً: لقد جنى الشيخ عثمان الثمرة الأولى من جهاده بسقوط هذه المدينة فأنشأ له دولة في بلاد الهوسا ، قضى فيها على البدع

---

(١) fodiyo, a.m, op . cit, p. 75.

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص(١١٦).

والخرافات، وجعلها دولة تدين بالإسلام وتحكّم شريعته.

ثانياً: ترتب على سقوط هذه المدينة حضور سلطان واحة (أير) (محمد الباقري) إلى الشيخ عثمان فبارك له في هذا الجهاد، وبايعه على اتباع الحق ونصرته، وأقام عنده شهراً ثم رجع لبلاده[1]، ولما توفي خلفه في الحكم أخوه (محمد كاما)، فجدد للشيخ الولاء، ووقع اتفاقية معه تعهد فيها بفتح طرق التجارة الصحراوية، كما نقل سيادة بعض المدن الشمالية إلى إشراف الشيخ، وهكذا أصبحت واحة (أير) جزءاً من دولة الشيخ عثمان[2].

ثالثاً: ترتب على سقوط هذه المدينة جنوح أمراء بلاد الهوسا إلى السلم حيث صالحوا الشيخ عثمان وانضموا تحت ولائه، فاستقام للشيخ أمر البلاد.

رابعاً: بسقوط هذه المدينة أيقن الشيخ عثمان باستتباب أمن الدعوة، فانتقل من (غواند) في أطراف بلاد (كب)، إلى (سيفاوا) في (زنفرا)، ليكون في مكان متوسط من بلاد الهوسا يسهل على الناس الحضور إليه والاستفادة منه في أمور دينهم[3]. وكان ذلك سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م.

على أن حركة الجهاد لم تتوقف بعد سقوط مدينة القاضاوا، ففي سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م غزا جيش المجاهدين بلاد بني كرباس في (غُرْم) بقيادة الوزير (عبدالله)، واستطاع أن يفتح حصونها ويضمها إلى ملك

---

(١) المصدر السابق، ص (١١٧).

(٢) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق ،ص(٥٠).

(٣) عبدالقادر بن محمد البخاري، المصدر السابق، ق (١٨).

الشيخ عثمان[1]، وفي نفس هذه السنة فتحت مملكة (غُوار) على يد القائد (محمد بيللو) ، فقد كان أهلها يغيرون على بلاد الشيخ ثم يرجعون إلى بلادهم ليتحصنوا بها ، حيث كانت ذات حصون وقلاع وجبال وأودية كثيرة ، فسار إليها (محمد بيللو) ، وفتحها وأسر ملكها وجاء به مقيدا بين الأسرى إلى الشيخ عثمان[2]، وفي هذه السنة أيضاً أرسل الشيخ عثمان جيشاً إلى بلاد (نُفي) بقيادة (علي جيد) فسار إليها وفتح منها حصوناً كثيرة ، وكان أهلها يَستسلمون ، فإذا عاد المجاهدون إلى ديارهم ، نقضوا العهد وعادوا إلى القتال من جديد ، واستمرت الحروب بينهما عدة سنوات[3].

وفي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م وجه الشيخ عثمان جيوشه إلى أطراف بلاده حيث الوثنيون ، وقد وصلت الجيوش إلى الجزيرة (فاس) من أرض المغرب العربي[4]، كما وصلت إلى الشيخ عثمان في هذه السنة رسالة من سلطان المغاربة يسلم فيها عليه ، ويبارك له في جهاده في سبيل الله كما يدعو الله فيها أن يجازيه عن الإسلام خيراً ، وأن يديم دولته ، ويقيه شر الأعداء[5].

---

(١) fodiyo, a.m, op. cit, p. 75.

(٢) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (١٢٠) وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق (١٨).

(٣) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص (١٢١) وعبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق،ق (١٩).

(٤) fodiyo, a.m, op. cit, p. 76.

(٥) محمد بيللو، المصدر السابق ، ص ص (١٨٠ -١٨١).

ويمكن القول إنه في هذا العام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م كان جهاد الشيخ عثمان لإعلاء راية الإسلام في بلاد الهوسا قد حقق الغرض والأهداف المنوطة به، كما تحقق الهدف من نشر الدين الإسلامي في هذه البلاد، بعد أن نجحت جماعته في تكوين دولة شاسعة بلغت مساحتها حوالي (١٨٠,٠٠٠) ميل مربع ويقطنها حوالى عشرة ملايين نسمة[١].

وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م قامت حركة التمرد في (غوبر) بقيادة رجل يسمى (صالح بن بابار) حيث نصب نفسه ملكاً عليها، وساعده في ذلك بعض الطوارق، فقضى عليه وعلى حركته بعنف شديد[٢].

وفي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م قسم الشيخ عثمان دولته الشاسعة إلى قسمين:

القسم الأول: شمالي شرقي ويشمل ولايات (زنفرا)، و(كاتسينا)، و(دورا)، و(كانو)، و(بوشى)، و(كاتاجم)، وقد جعله الشيخ من نصيب ابنه (محمد بيللو) ليقوم بعملية الإشراف عليه.

القسم الثاني: جنوبي غربي ويشمل ولايات (نيب)، و(دندى)، و(بورجو)، و(إيللورين)، و(لبتاكو)، وقد جعله الشيخ من نصيب شقيقه الأصغر (عبدالله بن فودي) ليتولى الإشراف عليه[٣].

وفي سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م وصل المجاهدون إلى مملكة (برغ)

---

(١) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص (٥٢).

(٢) حسن عيسى عبدالظاهري المرجع السابق، ص(٢٨٥).

(٣) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص (٥٣).

وظل الجهاد فيها قائماً إلى أن قتل ملكها سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م ، فتم فتحها [١].

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الشيخ عثمان لم يشترك بنفسه في هذه الحروب ، فقد كان عمره عندما بدأ الجهاد خمسين سنة ، كما أنه كان بطبيعته ونشأته غير ميال إلى الحرب والإدارة ، بل عرف عنه عالما محققاً ومعلماً ، وكان دوره الرئيس في هذه الحرب إرشاد أمرائه وقواده إلى الطريق الشرعي في الجهاد ، وإلى طريقة معاملة طبقات الشعب المختلفة ، وإلى الطريق الشرعي للحكم والإدارة [٢].

إنشاء مدينة صُكُتْ :

في فصل الخريف من سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م بنى محمد بيللو لوالده حصناً في صُكُتْ ، فانتقل إليها الشيخ عثمان ، " وصارت وطن المهاجرين ومأوى الصالحين ومغاطيس المسلمين وقسطاس العلماء العاملين " [٣].

ويقول فيها محمد بيللو :

لسعدى منازل يا لها من منازل ... بست ذات التل دون المناهل [٤]

---

(١) حسن عيسى عبد الظاهر المرجع السابق.

(٢) أحمد إبراهيم دياب ، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، ط (١)،دار المريخ ، الرياض١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص (٢٠٩).

(٣) عبدالقادر بن محمد البخاري ، المصدر السابق ، ق.ق (١٩ ـ ٢٠).

(٤) محمد بيللو ، المصدر السابق ، ص (١٢٠).
أما هذه القائمة فقد أوردها : عبدالله عبدالرزاق إبراهيم ، المرجع السابق ، ص(٥١). نقلا عن جيداد وبن ليمامي ، روض الجنان ص(١٣).

عمال الشيخ عثمان على الأقاليم:

لقد عين الشيخ عثمان ولاته على الأقاليم ، وسلمهم أعلاما خضراً رمزا لاعترافهم بالتبعية ، فعين (مويوجو) في (كب) ، وأبا حامد في (زنفرا)، و(عمر دالاج) في (كاتسينا)، و(إسحاق)في (دورا)، و(موسى) في (زاريا)، و(سليمان بن أبجم) في (كانو) و (ابراهيم زاكي) في (برنوكاناجم) و (أبا بكر وأخاه داجما) على(برنو كاتاجم)، وأبابكر وأخاه داجما) على (برنرهاديجيا)، و(ليرليما) على (برنومارمار)، و (محمد ماجنا) على (ميسو) و (محمدنيما) في (الغرب) و(محمد وابي) في (جاماري) ، و (بوبا برو) في (جوميي)، و (يعقوب) في(بوشي)، و (أداما)، في (أدماوا)، و(محمد الحاج الأمين) في (باجرمي)[1].

وفاة الشيخ عثمان: توفي الشيخ عثمان وسط الليل من يوم الأحد ليلة الاثنين لثلاث مضت من شهر جماد الآخرة سنة ١٢٣٢هـ/ ٢٠ إبريل ١٨١٧ م ، ودفن في بيت زوجته (حواء) في صُكُتْ ، ولا يزال قبره فيها يزوره الناس للتبرك به ، وكان عمره عند وفاته ثلاثاً وستين سنة وخمس أشهر ، ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر.[2]

وقد بويع بالخلافة من بعده ، وبعهد منه ابنه محمد بيللو نهار تلك الليلة التي توفي فيها الشيخ عثمان ، وكان أول من بايعه أخوه الزاهد

---

(١) لقد أورد (محمد بيللو) في كتابه (إنفاق الميسور) ثمانية من هؤلاء النواب هم أبو حامد على زنفرا وعمر دالاج على كاتسينا وسليمان بن أبجم على كانوا ويعقوب بن على بوشي وإسحاق على دورو إبراهيم على برنوجميعها ومحمد منغ على برنو الشرقية وبوبايروا على وأولاه من بلاد بوشي (جوبي) انظر محمد بيللو المصدر السابق ص (١٩٠). أما هذه القائمة فقد أوردها عبد الله عبد الرازق إبراهيم المرجع السابق ص (٥١) نقلاً عن جيدادو بن ليمامي وفي الجنان ص (١٣).

(٢) محمد ثنب بن أحمد بن مجيل ، المصدر السابق ، ق (٢٢١)، وعبدالقادر ابن محمد البخاري، المصدر السابق،ق (٢٠).

(محمد تُنْبُ)، ثم توالت البيعة ، وبدأت الدولة عهداً جديداً[1].

ومن الملاحظ أن الشيخ عبدالله - شقيق الشيخ عثمان- لم يكن في صُكُتُ أثناء وفاة الشيخ عثمان ، ولما علم بوفاته ، سافر إليها ، ولكنه فوجئ بإغلاق باب المدينة في وجهه ، فرجع إلى عاصمة بلاده وانقطعت الصلة بينه وبين محمد بيللو مدة طويلة ، وبعد ذلك اعترف الشيخ عبدالله بخلافة محمد بيللو وذلك عندما وصلت إليه نجدة بقيادة محمد بيللو لتعزيز موقفه ضد المتمردين عليه سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م، فعاد ذلك الوئام إلى الجماعة الإسلامية ، واتجهت طاقاتها لبناء الدولة الإسلامية الجديدة[2].

أما الجهاد فلم يتوقف بعد وفاة الشيخ عثمان، فقد واصل ابنه وخليفته (محمد بيللو) عملية الجهاد ، وأتم بناء الدولة، فقضى على جميع حركات التمرد التي قامت في بلاد الهوسا بعد وفاة أبيه، كما أرسل الحملات إلى بلاد الوثنيين، واستطاع القضاء على حركة الشيخ (محمد الأمين الكانمي) الذي حاول أن يفرض سيطرته على إمارة (برنو)، وذلك في موقعة (فيكا) سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م[3].

على أن تاريخ المنطقة بعد وفاة الشيخ عثمان، وفي خلافة ابنه محمد بيللو، أصبح تاريخ الإمارات لا تاريخ الإمبراطورية، ولو أن (صُكُتُ) كانت لها الزعامة الروحية على الجميع ، فقد كانت الإمارات شبه مستقلة وتدفع إتاوة خاصة (لصُكُتُ) تحت ظل خلافتها الروحية[4].

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق، ص(٢٨٦).

(٢) عبدالله بن فودي ، ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل، تحقيق وتقديم أحمد محمد كاني (رسالةماجستير من قسم التاريخ بجامعة أحمد و بيللو، زاريا، نيجيريا) بدون تاريخ ،ص ص(٤٩ ، ٥٠).

(٣) عبدالله عبد الرازق إبراهيم ، المرجع السابق ،ص(٦١).

(٤) أحمد إبراهيم دياب ، المرجع السابق،ص(٢٠٩).



«الفصل الرابع»

التشابه والاختلاف بين الدعوتين

وفيه مبحثان

المبحث الأول: التشابه.

المبحث الثاني: الاختلاف.

المبحث الأول

التشابه

من المعروف أن أي دعوة إسلامية تعتمد على الكتاب والسنة، لابد لها أن تتشابه مع دعوة أخرى اتخذت من الكتاب والسنة منهجاً تسير عليه، لذلك فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ودعوة الشيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا، كان بينهما تشابه، كما كان بينهما اختلاف. فقد سار كل منهما على منهج خاص به، واتبع أسلوباً يتناسب مع المنهج السائد في مجتمعه، وحاول التكيف معه إلى حد كبير.

ويمكننا الآن أن نتتبع وجوه التشابه بينهما، ثم نتطرق بعدها إلى وجوه الاختلاف، ليتضح لنا في النهاية هل دعوة الشيخ عثمان بن فودي قد تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أم لا؟

وجوه التشابه:

من خلال دراستنا لدعوتي الشيخين: محمد بن عبدالوهاب، وعثمان بن فودي، اتضح لنا أن هناك وجوه تشابه بين الدعوتين، تمثلت فيما يأتي :-

النشأة الدينية:

لقد نشأ كل من الشيخين (محمد بن عبدالوهاب، وعثمان بن فودي) في بيت علم ودين، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب تربى في كنف والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان، الذي كان قاضي بلدته (العيينة) في ذلك الوقت، والشيخ عثمان بن فودي تربى في كنف والده

الشيخ محمد فودي ، الذي كان يعرف بلقب (فودي) أي العالم . كما أن الشيخين قد تلقيا مبادئ العلوم الدينية من والديهما، إضافة إلى أن أسرتيهما كانتا تشتهران بالعلم والدين . لذلك فقد أثرت عليهما نشأتهما الدينية ، فقاما بمحاولة إصلاح مجتمعاتهما، ونجحا في ذلك .

إثراء المكتبة العربية والإسلامية بالمؤلفات :

لا شك أن للكتب أثراً كبيراً في تقدم الأمم والشعوب، فكلما زاد عدد المؤلفات ازداد تقدم الأمة، لما للمؤلفات من أثر كبير في قيام المناظرات بين المؤيدين والمعارضين لما يحمله هذا الكتاب أو ذاك من أفكار ومعلومات، وبالتالي تحصل الأمة على قدر كبير من الكتب التي تنير لها الطريق . فالكتاب إذاً هو الذي يبين نوعية الحضارة التي كانت سائدة في مجتمع ذلك المؤلف .

ولذلك فإن كلا الشيخين قد تشابها في إثراء المكتبة الإسلامية بالكتب التي أنارت لمجتمعاتهما الطريق ، وأخرجتهما من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام . وإذا كانت مؤلفاتهما قد تفاوتت من ناحية العدد، إلا أنها تشابهت في المضمون ، فكل منهما قد ركز على جانب العقيدة أولاً، ثم أحكام العبادات ثانياً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة البدع، فكانت مؤلفاتهما محاولة جادة لعلاج أوضاع مجتمعاتهما المتردية، ليعرفوا من خلالها أصول الدين، والعبادات، والأحكام . . . الخ .

المبادئ :

أما من ناحية المبادئ، فقد كان بينهما تشابه، كما كان بينهما اختلاف . أما التشابه فإنه يكمن في مذهب كل منهما في الفروع،

وكذلك في السياسة، والاجتماع، والاقتصاد.

الفروع:

لقد اتبع كل منهما إماما واحداً من الأئمة الأربعة، ولم يخرج عنه إلا في بعض المسائل التي يرى فيها مخالفة إمامه، على اختلاف بينهما متى يكون الخروج عن المذهب، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب اتبع في الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - كما صرح بذلك في إحدى رسائله، فقال: "أما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة [1]"، ولم يخرج عن مذهب الإمام أحمد إلا إذا ضعفت عنده روايته، فإنه يتركها، ويأخذ برأي إمام آخر يكون الدليل معه أقوى [2].

أما الشيخ عثمان فإنه اتبع مذهب الإمام مالك بن أنس - رضي الله عنه - كما أشار إلى ذلك في افتتاحه لبعض مؤلفاته، فقال "قال العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه تعالى عثمان بن محمد بن عثمان الفلاتي نسبا المالكي مذهبا.. [3]"، كما أنه أفتى بأن تكون الفتوى في غربي إفريقية على مذهب الإمام مالك - رضى الله -. ولم يخرج عنه إلا عند الضرورة، وذلك إذا عمل العامي عملاً صحيحاً أم لا ؟ فقال: إنه لا ينكر عليه [4].

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية ص(١٠٧).

(٢) المصدر نفسه، ص (٩٦).

(٣) عثمان بن فودي، اتباع السنة، ق (٣١٩)، أصول الولاية وشروطها ق (١١٣).

(٤) عثمان بن فودي، إرشاد الأمة إلى تيسير الملة.ق.ق(٨،٧).

المبادئ السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

يتضح لنا من مبادئهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أن كلاً منهما قد حكم بوجوب طاعة السلطان المسلم، وعدم الخروج عليه إذا لم يأمر بمعصية الله تعلى، كما دعيا إلى : المساواة والعدل بين الرعية، وحرما الضرائب (المكوس) غير الشرعية، وكذلك أخذ الرشوة، والتطفيف بالكيل والوزن، والغش في البيع . . . ونحو ذلك .

تصحيح مفاهيم المسلمين:

لقد عمل كل منهما على رد المسلمين إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة قولاً وعملاً، فدعما دعوتيهما بالأدلة من الكتاب، والسنة، وأقوال علماء السلف الصالح، فكان لذلك أثر كبير في معالجة أوضاع مجتمعاتهما، والعودة بها إلى الإسلام الخالص من شوائب الوثنية. وهذا الأمر لم يقتصر على هاتين الدعوتين فقط، بل نادت بها كل دعوة إصلاحية، استمدت تعاليمها من الكتاب والسنة، لذلك صار هذا المبدأ نقطة التقاء بين جميع الدعوات الإصلاحية . فما دام المصدر واحداً، فلابد أن تتشابه الروافد[1] .

الجانب التربوي:

استخدم الشيخان معظم الأساليب التربوية لإصلاح مجتمعاتهما، وتشابها في ذلك إلى حد كبير، وذلك عن طريق التأليف، والتدريس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) حسن عيسى عبدالظاهر ، المرجع السابق ص(٣٢٨).

دور الكتب التربوية:

ركز الشيخان على تأليف الكتب، وتزويد مجتمعاتهما بالمؤلفات التي تساعدهم على معرفة أحكام الدين، وأبليا في ذلك بلاءً حسناً، وتمخض عنه وجود ثروة علمية ضخمة، تطرقت لجميع أحكام الإسلام، ابتداءً من العقيدة، وانتهاءً بأماطة الأذى عن طريق. إضافة إلى تطرقهما للأوضاع السائدة في مجتمعاتهما - وبخاصة الدينية منها-، وما هو العلاج المناسب لتحسين تلك الأوضاع.

وكان هدفهما من التأليف: أن تصل أحكام الإسلام إلى القريب والبعيد حتى يعرفوا من هذه المؤلفات أحكام الدين، ثم يقارنوا بينهما، وبين ما هم عليه من عادات وتقاليد تنافى أحكام الإسلام، ليأخذوا من هذه العادات ما يوافق الإسلام، وينبذوا ما يخالفه وراء ظهورهم.

هذا إضافة إلى الرسائل التي بعثا بها إلى العلماء وغيرهم، ليعرفوا من خلالها مذهبهما، وهدفهما من دعوة الناس، وأن غايتهما أن يأخذ الإسلام مكانه الطبيعي في هذه المجتمعات، فيصير الأساس الذي تنطلق منه حضارة هذه المجتمعات.

التدريس:

وتشابها أيضاً في الجانب التعليمي، وأولياه اهتماماً كبيراً، فكان لكل منهما عدة مجالس للوعظ، والإرشاد، والتعليم. وركزا في مجالسهما على تعليم الناس التوحيد أولاً، ثم باقي أحكام الإسلام مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والبيع، والشراء، والنكاح. . ، ومحاربة البدع . . . . الخ.

ويكمن إجمال الموضوعات التي كان يتناولها الشيخ محمد بن

عبدالوهاب في مجالسه للوعظ والتعليم بما يلي :

١ - ذكر أصول الدين (تفسير لا إله إلا الله ، الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها) .

٢ - توضيح قواعد الإسلام من حيث : أحكامه ، وواجباته ، ونواهيه .

٣ - التعريف بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وما دعا إليه .

٤ - تأكيد البعث بعد الموت بالأدلة والبراهين[١] .

أما الشيخ عثمان فكان يتحدث عن عدة قواعد هي :

١ - أن الإسلام لا يتأكد شرعاً إلا بالإقرار بالشهادتين والعمل بما تقتضيهما .

٢ - أن لا يسمع من المسلم إنكار شيء مما علم في الدين ضرورة .

٣ - ألا يستهزئ بدين الله بألفاظ الكفر .

٤ - ألا يخالط أعمال الإسلام بأعمال الكفر .

٥ - أن كل من أنكر جميع ما سبق أو واحدا منها فهو كافر[٢] .

كما كان يحثهم على تعلم العلم النافع ، وحدده بأربعة أمور :

الأول : الاشتغال بتقوى الله عز وجل ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

الثاني : الاشتغال بقراءة القرآن الكريم .

الثالث : الاشتغال بقراءة الأحاديث النبوية ، وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

الرابع : الاشتغال بأخبار السلف الصالح رضي الله عنهم[٣] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المصدر السابق ج (١) ،ص(٤٥).

(٢) عبدالله بن فودي ، ضياء السلطان وغيره من الإخوان ،ق.ق (٣٤ ، ٣٥).

(٣) عثمان بن فودي ، نجم الإخوان ، ق(٨٥).

محاربة البدع وإحياء السنة :

لقد قامت حركتا الشيخين (محمد بن عبدالوهاب وعثمان بن فودي) من أجل العودة بالمسلمين إلى الإسلام الصحيح، وترك ما علق به من أمور الجاهلية، مما يتعلق بالعقيدة، أو الفروع، لذلك حصل التشابه بينهما في محاربة البدع، وإن اختلفت الأدلة التي ساقها كل منهما من حيث اللفظ، إلا أن مدلولهما واحد، وهو : تحريم كل شئ أدخل على الإسلام وليس منه.

ولا شك أن هذه البدع هى التى دفعت بهما إلى النهوض لإزالتها، فبذل كلاهما كل ما في وسعه، من أجل القضاء على هذه البدع، بالإضافة إلى اعتمادهما على الأدلة في تحريم البدع، ووجوب القضاء عليها بالتدريج، وإن اختلفا في وسيلة القضاء على البدع، إلا أنهما تشابها في النتائج، حيث استطاع كل منهما أن يزيل البدع التي رأى أنها ليست من الإسلام في شئ.

وبالإضافة إلى محاربة البدع، فإنهما عملا على إحياء السنن، فحثًا الناس على ترك البدع، واتباع المنهج الصالح الذي أقره الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعمل به من بعده من السلف الصالح. فعند محاربتهما للطواف حول القبور، والأشجار، والأحجار، نجدهما يحثان على زيارة القبور، لأنها تذكرهم الآخرة، والدعوة لموتاهم بالرحمة والمغفرة، لأنها تربطهم بالله عز وجل. كما عملا على ترغيب الناس في دفع الزكاة التي تطهر أموالهم، فحثا الحكام على ترك المكوس، وظلم الرعية، وأخذ الزكاة عوضاً عنها، وهي بالإضافة إلى كونها تطهر أموال المسلمين، نجدها تساعد الدولة على تنمية قوتها، وتساعد الفقراء للتغلب على ظروف حياتهم المعيشية. كما ناديا بالعدل والمساواة مكان القوة، والتفرقة بين الرعايا، والتي استخدمها الحكام ضد رعاياهم ••• إلى غير ذلك.

المعارضة من بعض العلماء:

عندما قام الشيخان بدعوة الناس إلى الإسلام الصحيح، انقسم الناس - من العلماء وغيرهم - اتجاههما إلى قسمين: قسم مؤيد لهما، واتبع كل فريق من هذا القسم شيخه وانضم إليه، وأخذ يستمع إلى نصائحه وإرشاداته. وقسم معارض لهما، منكر لدعوتهما، وبذل أصحاب كل فريق من هذا القسم كل ما لديه من قوة في سبيل القضاء أو الحد من نشاط صاحب الدعوة. يقول حسين بن غنام: "... وانقسم الناس فيه (محمد بن عبدالوهاب) فريقين: فريق تابعه وبايعه وعاهده على ما دعا إليه، وفريق عاداه وحاربه وأنكر ذلك عليه .. وهو الأكثر"[1]، ويقول محمد بيللو: "ثم أنه لما برز (عثمان بن فودي) على أهل زمانه .. انقسم الناس فيه قسمين: قسم معتقد وقسم منكر منتقد"[2].

وقد تزعم الفريق المنكر طائفة من العلماء الذين خشوا ضياع مكانتهم الاجتماعية عند الناس، وضياع ما كانوا يأخذونه من الناس مقابل الحكم بينهم في القضايا الشرعية أو الاجتماعية، وما كانوا يأخذونه من كتابة الحجج والطلاسم. فعملوا على تنفير الناس منهما، واتصلوا في سبيل ذلك بالأمراء، والحكام، ولم يذعنوا إلى طلب الشيخين في التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف الصالح، لذلك سعت الشقة بينهما، فكل منهما يكتب المؤلفات والرسائل، ويلقى الخطب والمواعظ في تأييد موقفه،

---

(١) حسين بن غنام،المصدر السابق، جـ (١) ص(٨٧).

(٢) محمد بيللو ، المصدر السابق، ص (٣٤).

والإنكار على الفريق الآخر، حتى آل الأمر في انهاية إلى انتصار الشيخين، فصارت كلمة كل منهما هي الكلمة المسموعة في مجتمعه، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب، أصبحت كلمته مسموعة في نجد، والشيخ عثمان بن فودي، أصبحت كلمته مسموعة في بلاد الهوسا.

ومن الملاحظ أن كلا الشيخين لم تحل معارضة العلماء لهما، دون مواصلة الجهد، والسير في الطريق الذي رسمه كل منهما ذلك أن عداء طائفة من المجتمع لهما لم يقتصر عليهما وحدهما، بل سبقهم في ذلك، جميع الدعاة والمصلحين الذين ظهروا عبر التاريخ الإسلامي، وفي مقدمتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لاقى من قريش أشد أنواع المعارضة والإهانة، ولم يمنعه ذلك من مواصلة الدعوة، وتكثيف الجهد حتى استطاع بفضل الله أن يعيد الجزيرة العربية إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك، وأن يفرض الدين الإسلامي الجديد على جميع أرجائها، كما استطاع من بعده أن ينشره في أرض الله الواسعة . لذلك كان للشيخين فضل الاقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما جعلهما لا يلقيان بالاً للمعارضين، فهما عملا ما عليهم من دعوتهم إلى الإسلام الصحيح، أما هدايتهم فهي لله عز وجل، قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾[1].

قيام دولتين إسلاميتين في نجد وبلاد الهوسا:

تكللت جهود الشيخين (محمد بن عبدالوهاب، وعثمان بن

---

(١) سورة القصص: آية ٥٦.

فودي) بالنجاح، فقد استطاع كل منهما أن يحقق الهدف من قيامه بالدعوة، حيث كان هدف كل منهما أن تكون هناك دولة إسلامية تحكم الكتاب والسنة وإن اختلفت وسائل كل منهما في تكوين الدولة، إلا أن نتيجة حركتيهما كانت واحدة. فالشيخ محمد بن عبدالوهاب استطاع بعد جهد كبير أن يجد من يعينه على نشر مبادئ دعوته، فقد فشل في حريملاء، ثم لقي نجاحاً مؤقتاً في العيينة، ولكنه نجح أخيراً في الدرعية، حيث وقف معه الأمير محمد بن سعود وأبناؤه من بعده، حتى استطاعوا أن يقيموا دولة إسلامية شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية.

أما الشيخ عثمان فإنه لم يجد حاكماً يعينه على نشر دعوته، وتحمل هو وأتباعه مهمة نشرها، فقد فشل في محاولته مع ملك غوبر، مما جعله يعلن الهجرة إلى (قد)، ثم يعلن الجهاد ضد ملوك الهوسا، حتى استطاع أن يفرض سلطانه على جميع ممالك الهوسا، وما جاورها، فصارت بلاد الهوسا بذلك دولة إسلامية أخذت على عاتقها مهمة نشر الإسلام في الممالك الوثنية في غربي إفريقية.

وهكذا يتضح لنا مدى التشابه بين هاتين الدعوتين اللتين تحقق لهما الغاية من إعلان الدعوة إلى الله ورسوله في بلادهما، فبالإضافة إلى أنهما قضيا على مظاهر الشرك والبدع في مجتمعاتهما، فقد أقاما دولتين إسلاميتين كان لهما الفضل بعد الله، في العودة بمجتمعاتهما إلى الإسلام الصحيح حسب منظور كل منهما.

وينبغي الإشارةهنا إلى أن الجهاد الذي قام به هذان الشيخان لم يكن رغبة في القتال وإراقة الدماء، ولكنه كان في بادئ الأمر دفاعاً عن النفس، ثم تحول إلى جهاد يهدف إلى العودة بالمسلمين إلى الإسلام

الصحيح. يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب: "أما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا"[1]. ويقول أيضاً: "ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها"[2]. ويقول الشيخ عثمان بن فودي: "أما سبب القتال الذي وقع بيننا وبين ملوك حوس (الهوسا) وأتباعهم، فاعلم أن ملك غوبر ينف هو الذي ابتدأ ذلك الأمر وجاء الينا بجيوشه، فتلقيناه بجيوشنا فهزم الله جيوشه فهرب ورجع إلى حصنه ذليلاً مغلوباً، وذل بذلك جميع الكفار في حوس فتغيظوا لذلك وجعل كل سلطان يقتل المسلمين في بلاده فوقع الحرب بينهم فاستأصل الله الكفار إنجازاً لوعده في نصر دينه وناصريه وكنا بعد طرد ملك غوبر ينف أرسلنا إلى ملوك حوس أن ينصروا دين الله ويعينونا في إقامة الدين فتكبروا وأبوا فاستأصلهم الله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[3]".

أثر الدعوتين في خارج بلادها:

لم يقتصر نشاط الدعوتين في بلادها التي ظهرت فيها، بل صار لكل منها مؤيدون عملوا على نشر مبادئها في بلادهم، وقد تفاوتت الدعوتان في مدى سعة انتشارها.

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (١٥٨).

(٢) نفسه.

(٣) عثمان بن فودي، نجم الأخوان، ق.ق (٦٤، ٦٥).

انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

أولاً: في آسيــا:

لقد بدأت دعوة الشيخ محمد تنتشر في المناطق المجاورة لنجد، فوصلت إلى اليمن، وتأثر بها داعيتان كبيران هما: محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م[١]- ١١٨٢هـ - ١٧٦٨م، ومحمد بن على الشوكاني ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م -١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م[٢]، وفي العراق تأثر بها الشيخ محمود شكري الألوسي ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م-١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م[٣]، وفي الخليج العربي وصلت الدعوة إلى عمان، وكان للشيخ سالم بن علي بن سلطان دور كبير في نشر تعاليم الدعوة السلفية، في (جعلان) فقد قدم إلى الدرعية ودرس منها مباديء الدعوة السلفية، ثم عاد إلى بلدته جعلان وبدأ في نشر تعاليم الدعوة السلفية هناك، يقول عبدالله بن صالح المطوع في كتابه عقود الجمان: "توجه الشيخ سالم بن علي بن سلطان آل حمودة إلى الدرعية وجلس هناك ما شاء الله أن يجلس ودرس العقيدة فتنورت أفكاره وصفت سريرته وعاد مجاهداً في سبيل الله يساعده على ذلك أخوه الشيخ محمد بن علي وكان عندهم في جعلان قبة على قبر تعبد من دون الله. فقال لا أدخل البلد إلا أن تهدم القبة فأبى شيوخهم وعجائزهم فاعتزلهم. وبقي خارج البلاد.

---

(١) انظر: عثمان بن بشر، المصدر السابق جـ (١)، ص.ص (١٠٧-١١٢).

(٢) انظر: أحمد أمين، المرجع السابق ص.ص(٢١ ـ ٢٢).

(٣) انظر: محمود شكري الألوسي، المرجع السابق ص.ص(١١٣ ، ١١٤) و عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، المرجع السابق ص.ص(٢٨٦ ، ٢٨٧).

وأخذ الشبان يترددون عليه فيذبح لهم الذبائح ويكرمهم فأحبوه وصاروا أتباع عقيدته. فتقوى جانبه ويلقي عليهم الدروس الدينية حتى صاروا على قلب رجل واحد. فهجم بهم على القبة فهدموها. ولما جاء المدافعون عنها وجدوا أبناءهم وأحفادهم، وعلموا أن لا قبل لهم بمقاومتهم وانصرفوا راجعين. وأخذ أمر الشيخ يتقدم وأتباعه يتزايدون حتى عمت العقيدة السلفية جميع السكان إلا ما شاء الله "[1] كما انضم إلى دعوة الشيخ محمد أمراء ساحل الخليج العربي من القواسم، وبدؤوا يجاهدون الأوربيين في مياه الخليج باسم السعوديين[2].

كما وصلت الدعوة إلى الهند على يد أحمد الباريلي ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م -١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م، الذي قدم إلى مكة سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م لأداء فريضة الحج، فلقي هناك بعض علماء الدعوة السلفية، واقتنع بمبادئهم، ولما رجع إلى بلاده بذل جهده لنشر الدعوة السلفية فيها، كما قاد حركة الجهاد ضد الإنجليز حتى استشهد سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١[3]، يقول توماس .و. آرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام": وفي القرن التاسع عشر نشطت حركة الدعوة إلى الإسلام في البنغال نشاطاً ملحوظاً، وأرسلت طوائف كثيرة نشأت في البداية بتأثير من الحركة الوهابية الإصلاحية، دعاتهم يتنقلون في هذه المقاطعة، يطهرون البلاد من بقايا العقائد الهندوكية القديمة ويوقظون الحماسة الدينية،

---

(١) عبدالله بن صالح المطوع، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان (مخطوط)، رقم (ه ٩٥٣)، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، ق (٨١).

(٢) المصدر نفسه، ق.ق (٥٢ ـ ٥٤).

(٣) أحمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبدالوهاب، ط (٣)،مكتبة العرفان، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ،ص.ص (٢٠٨ ـ ٢٠٩).

وينشرون العقيدة الإسلامية بين الكفار"[1].

أما في إندونيسيا فقد وصلت الدعوة السلفية إليها في مستهل القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي على يد ثلاثة من جماعة الحاجي الذين عادوا إلى جزيرة سومطرة بعد أدائهم فريضة الحج، وهم يحملون معهم مبادئ الدعوة السلفية، ولما وصلوا إلى بلادهم حرموا التوسل بالأولياء، وشرب الخمر، والميسر، وسائر الأعمال التي تتعارض مع تعاليم االإسلام[2].

ثانياً: في إفريقيا [3]:

وفي مصر تأثر بالدعوة السلفية الشيخ محمد رشيد رضا ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م -١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، الذي تحمل مهمة الدفاع عن تعاليم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مصر، عن طريق مقالات كتبها في مجلة المنار والأهرام، ثم جمعها في كتاب سماه "الوهابيون والحجاز، كما شرح مبادئها في كتابه "السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة" وكتاب" المنار والأزهر" وغيرها[4].

---

(١) سير توماس.و.أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ط(٣)، مكتبة النهضة المصرية، مصر ١٩٧٠م، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون، ص:(٣١٥).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) هناك بعض المؤرخين الذين قالوا: بتأثر رجال الفكر الصوفي في إفريقيا، بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مثل السنوسي في ليبيا، وعثمان بن فودي في بلاد الهوسا، والمهدي في السودان.. وغيرهم، ونظراً لاختلاف الاتجاه الديني بينهما، فقد رأيت أن أناقش هذا الموضوع في المبحث القادم مع التركيز على الشيخ عثمان بن فودي.

(٤) انظر: محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، ط(١)، مطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٤هـ)، ص، ص (٢ ـ ١٧). وانظر أيضاً: محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان، دعوة الشيخ=

أما في الجزائر فقد انتقلت مبادىء الدعوة السلفية إليها عن طريق جمعية العلماء المسلمين الجزائرين، صاحبة الفضل الأكبر في تحقيق استقلال الجزائر[1].

انتشار دعوة الشيخ عثمان بن فودي:

لم يكن في البلاد التي ظهر فيها الشيخ عثمان بن فودي مكاناً مناسباً لانتشار دعوته في أماكن بعيدة في آسيا أو إفريقية، فلم يكن فيها مؤسسة إسلامية يفد إليها المسلمون للتزود منها بفنون العلوم الإسلامية، وذلك كالحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، والأزهر في مصر، لذلك كان انتشار دعوته محدوداً في غربي إفريقية، ولم يتجاوزها إلا في حدود ضيقة.

وهناك عامل آخر جعل دعوة الشيخ عثمان تقتصر على غربي إفريقية وحدها، وهو: أن الشيخ عثمان ظهر في الطرف الغربي للبلاد الإسلامية فليس هناك مجال لانتشارها في رقعة أكبر مما يليه من جهة الغرب، حيث وصلت دعوته إلى المحيط. ومن جهة الشمال كانت هناك الصحراء الكبرى، ويليها من الشمال بلاد المغرب العربي، وكان فيها مؤسسات إسلامية منذ الفتح الإسلامي لها، إضافة إلى أنها على

=محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ط. بدون، وكالة الفرقان الرياض ١٤٠٧هـ-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ص (٩٢، ٩٣)

(١) انظر: عبدالحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد الخامس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص - ص (٢٢٥-٢٥٦).

صلة بالمؤسسات الإسلامية في الشرق (مصر والحجاز)، وأما من جهة الشرق، فإن بلاد شرق أفريقية ووسطها الشرقي، كانت في موقع يسمح لها بالتأثير في مدن إسلامية كان لها السبق في تأسيس المراكز الإسلامية، خاصة إذا علمنا أن تأثير هذه المدن وصل إلى غرب إفريقية نفسها، ونعني بذلك (الحجازومصر)، لذلك لم يبق أمام دعوة الشيخ عثمان إلا أن تنتشر في غربي إفريقية من جهة، ومن جهة أخرى في جنوبها الغربي الذي وافق وصول الدعوة إليها، بداية التنافس الأوروبي الاستعماري على بلاد المسلمين.

كان الشيخ عثمان بن فودي في بدء دعوته يتنقل بين بلاد الهوسا يدعو الناس إلى الإسلام الصحيح، ويحثهم على ترك البدع والمعاصي، فلما انتشر أمره، بدأ يأتيه طلاب من مناطق بعيدة يتلقون منه التعليم، ثم يعودون إلى بلادهم لتبليغ ماتعلموه من الشيخ[1]، فأخذت دعوته تنتشر، مما جعل الأمراء والسلاطين يخافون ضياع ملكهم، وبخاصة ملك غوبر (ينف) الذي أعلن الحرب ضد الشيخ عثمان، فانتقلت دعوة الشيخ من دعوة سلمية تعتمد على الوعظ والإرشاد والتعليم، إلى حركة جهادية، استطاعت في فترة قصيرة أن تفرض سيادتها على بلاد الهوسا، ثم عملت على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية خارج بلاد الهوسا، وكان لزعماء الجهاد دور بارز في نشر الإسلام بين هذه القبائل، فوصلت دعوة الشيخ إلى بلاد اليوربا في الجنوب، واستطاعت جيوش الشيخ أن تستولي على الأجزاء الشمالية من مملكة اليوربا (ايلورين)، وأن تنشر الإسلام في معظم أنحاء هذه المملكة التي امتدت من مصب

---

(١) اسماعيل أحمد ياغي، ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر جـ(٢)، ط. بدون، دار المريخ، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص(٢٥٧).

نهر النيجر حتى بلاد الداهومي، كما وصلت جيوش الدعوة إلي الجنوب الغربي، ومدت نفوذها فيه، نتيجة لانهيار مملكة الأيو، وفي عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م وصلت جيوش الشيخ عثمان إلى نيب، ووضعت حداً فاصلاً للحرب الأهلية الدائرة هناك، حيث وضعت هذه المملكة تحت نفوذها[١].

كما امتدت جيوش الشيخ عثمان إلى الشمال الشرقي من بلاد الهوسا، حيث بلاد برنو، استطاعت جيوش الشيخ عثمان أن تستولي على أجزاء منها، ثم هزمت جيش الشيخ محمد الأمين الكانمي الذي حاول استعادة هذه الأجزاء، وذلك في سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م في موقعة فيكا[٢].

وفي جهة الغرب، وصلت جيوش الشيخ عثمان حتى المحيط الأطلسي، واستطاعت أن تنشر الإسلام بين كثير من القبائل الوثنية هناك، بل إن جيوشه وصلت إلى جزيرة (فاس) من أرض المغرب العربي[٣].

وعلى أية حال فإن الشيخ عثمان استطاع أن يعيد للإسلام مكانته في هذه البلاد، وأن ينشره بين الوثنيين في أجزاء أخرى، وذلك بعد أن نجحت جماعته في تكوين دولة شاسعة بلغت مساحتها حوالي (١٨٠ , ٠٠٠) ميل مربع[٤].

---

(١) فيج، جي، دي، المرجع السابق، ص (٢٩٢).

(٢) عبدالله عبدالرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص (٦١).

(٣) Fodiye, A. M. Op. Cit, P.P. 75 - 76

(٤) عبدالله عبدالرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص (٥٢)

كما أن حركة الشيخ عثمان كانت نواة لحركات أخرى قامت في غرب أفريقية، منها ما كان تابعاً للشيخ عثمان في البداية، وحاملة لإحدى راياته في الجهاد، ومنها التي اتخذت من طريقة الشيخ عثمان منهجاً تسير عليه، ويمكن تتبع هذه الحركات بما يلي:

جهاد سيكو أحمد و لوبو:

قام الشيخ أحمدو لوبو في سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م بزيارة للشيخ عثمان بن فودي، وشاهد جهاد الشيخ عن قرب، ثم عاد إلى بلاده حاملاً راية من رايات الشيخ عثمان، وبدأ يدعو إلى الإصلاح الديني في مدينة "سيبيرا"، حتى كون مجموعة من الأتباع، فأعلن الجهاد، واستطاع أن يسيطر على أجزاء كبيرة من أعالي النيجر، واتخذ من مدينة "حمد الله" عاصمة لملكه، وذلك في سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م، ولقب نفسه "أمير المؤمنين"، واستمر في توسيع مناطق الجهاد، فمد نفوذه ونشر الإسلام في مناطق واسعة، حتى بلغ امتداد مملكته من "تمبكتو" في الشمال إلى "جني" في الجنوب[١]، ولما توفى سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، خلفه ابنه أحمدو سيكو حتى سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م، ثم ابنه أحمدو الثالث الذي استمر بالحكم حتى سقطت عاصمته "حمدالله" في سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م، نتيجة لقيام الحاج عمر الفوتي بتكوين مملكته التيجانية[٢].

---

(١) محمد جلال عباس، المد الإسلامي في إفريقيا، ط (١)، المختار الإسلامي، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص. ص (٩٢، ٩٣). فيج. جي. دي، المرجع السابق، ص ص (٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) محمد جلال عباس، المرجع السابق، ص (٩٣).

جهاد الحاج عمر الفوتي:

ولد الحاج عمر سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٤م، ونشأ في بيت علم ودين وحفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم ارتحل في طلب العلم، وفي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦ قام برحلة إلى الحج، وزار في طريقه إليها عدداً من البلدان في غربي إفريقية، منها: ماسنة "و" صكت" و"غواندو" و "برنو"، ووقف بنفسه على حقيقة جهاد الشيخ عثمان بن فودى كما درس منهجه في الجهاد، وبرنامجه في عمليات الإصلاح الاجتماعي والفكري[1].

وكذا يكون الحاج عمر قد تأثر بحركة الشيخ عثمان بن فودي، وحرص على تتبع طريقته في الجهاد، بل إنه تزوج من حفيدة الشيخ عثمان ابنة محمد بيللو[2]، ومن هذا نلاحظ مدى إعجابه بالشيخ عثمان الأمر الذي جعله يتقرب منه عن طريق المصاهرة، هذا مع اختلافهما في الطريقة التي اتبعها كل منهما، حيث اتبع الشيخ عثمان الطريقة القادرية، واتبع الحاج عمر الطريقة التيجانية التي اعتنقها في مكة، وبويع فيها بزعامة هذه الطريقة في غربي السودان[3].

ويمكن إجمال الوسائل العملية التي استخدمها الحاج عمر، وتأثر فيها بالشيخ عثمان بن فودي، بما يلي:

(١) بدأ الحاج عمر دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بدأ الشيخ عثمان دعوته من قبله بالوعظ والإرشاد والتعليم.

---

(١) عمر جاه، تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الفوتي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، العدد السادس ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص (٢٩٢).

(٢) محمد جلال عباس، المرجع السابق، ص (٩٣).

(٣) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص (١٣٦).

(٢) أقام الحاج عمر دار الهجرة له ولجماعته في "دنغراي" سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، كما أقام الشيخ عثمان من قبله دار الهجرة في (قد) في ذي القعدة سنة ١٢١٨هـ/ فبراير سنة ١٨٠٤م.

(٣) أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الكفار، وضد من يتعاون أو يتعاطف معهم من المسلمين، وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه الشيخ عثمان في جهاده في بلاد الهوسا[1] لم يقتصر تأثير جهاد الشيخ عثمان على هاتين الحركتين فقط، بل إنه أشعل حركات الجهاد في غربي إفريقية كلها، حيث أصبحت المنطقة ابتداء من جهاد الشيخ عثمان في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، حتى بداية الاستعمار الغربي إفريقية في أوائل القرن العشرين، أي أن الجهاد استمر لفترة تزيد على مائة سنة، كان له الفضل في تأخير دخول الاستعمار إلى هذه المنطقة، كما كان لهذه الحركات الفضل بعدم تمكين حركات التنصير من بث سمومها على نطاق واسع في هذه المنطقة. وجميع حركات الجهاد التي قامت في غربي إفريقية بعد حركة جهاد الشيخ عثمان، يرجع الفضل فيها إلى الله سبحانه أولاً ثم إلى جهد الشيخ عثمان الذي يعتبر أول من أعلن الجهاد ضد الحكومات الفاسدة في غربي إفريقية، واتخذت حركته طابع الدين والسياسة، بحكم أنهما مبدآن لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

---

(١) انظر: محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٧١)، وعمر جاه، المرجع السابق، ص.ص (٢٩٧ - ٢٩٨)، وكذلك:

FODIYO, A.M, OP. CIT, P.P . 27 , 55 , 56.

موقف الاستعمار من هاتين الحركتين:

بدأت محاولات الغزو الصليبي الحديث، منذ بدايات القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تقريباً، وذلك بعد طرد المسلمين من الأندلس، عندما سقطت غرناطة ـ آخر دويلة إسلامية هناك عام ٨٧٩هـ/ ١٤٩٢م، حيث بارك البابا الصليبي هذا الانتصار، وشجع الصليبيين على متابعة المسلمين لطردهم من بقية بلاد المسلمين[١].

تلا سقوط الأندلس، بداية حركات الكشوف الجغرافية، والتي كانت في الحقيقة حركة كشوف صليبية، يؤكدها ـ بالإضافة إلى نتائجها الملموسة حالياً ـ مقولة فاسكو دي جاما الذي قال عندما أتم رحلته إلى جزر الهند الشرقية: "الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق ويموت"[٢]، فقد قام قواد هذه الحركات بتزويد حكوماتهم بالمعلومات الوافية عن البلاد الإسلامية التي وصلوا إليها، لانتزاع السيطرة التجارية العالمية من المسلمين، لإضعافهم من جهة، والتقوي بها على حربهم من جهة أخرى.

توالت الحملات الأوروبية البحرية على العالم الإسلامي، وتنافست الدول الأوروبية فيما بينها سياسياً واقتصادياً، أما الهدف الديني، فقد اتحدت فيه، فما من رحلة أوروبية تقوم لغزو البلاد الإسلامية، إلا وصحبها عدد من القساوسة ليقوموا بمهمة التنصير، ودعوة المسلمين وغيرهم من اعتناق الديانة النصرانية، وإن كانت مهمة

---

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط (١)، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص (١٨٦).

(٢) المرجع نفسه، ص (١٨٩)

تنصير المسلمين لم تؤت ثمارها المرجوة فإنهم استطاعوا أن يحققوا الانتصار في مجال إبعاد المسلمين عن دينهم عن طريق تشجيع البدع التي انتشرت في العالم الإسلامي ، وتشجيع الحركات الهدامة التي اتخذت من الإسلام وسيلة لبث سمومها ومعتقداتها مثل : القاديانية ، والبهائية ، البابية . . . وغيرها ، كما شجعت الحكومات الإسلامية على وضع أساس حكم فصل الدين عن الدولة (العلمانية) ، حتى لاتقوم للإسلام قائمة .

إذا كان هذا هو موقف الصليبية من الإسلام والمسلمين بصفة عامة ، فإنه لابد أن يتحد موقفها من جميع الحركات الإسلامية التي تنادي بالمسلمين أن يرجعوا إلى الإسلام الصحيح ، فكان موقفهم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ودعوة الشيخ عثمان بن فودي . . . وجميع الدعوات والحركات الإسلامية التي ظهرت بعدهما ، موقفاً واحداً ، وهو القضاء عليها بأي صورة من الصور .

وقد بدأ اصطدامهم المباشر مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ أن وصلت إلى الخليج العربي ، وبدأ القواسم مهمة الجهاد في الخليج ، لمنع الكفار من دخول البلاد الإسلامية ، فقد أطلق الأوروبيون على جهاد القواسم اسم : "القرصنة" ، حتى يبرروا للمسلمين وغيرهم ، أن قضاءهم على القواسم ، من أجل منعهم عن مزاولة مهنة "القرصنة" فأعد الإنجليز كافة إمكانياتهم للقضاء على القواسم ، فأحرقوا رأس الخيمة ، بعد أن اقتحموها وهدموا قصورها ، وذلك في سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م[1] ثم توالت عملياتهم الحربية ، حتى أوقفوا

---

(١) عبدالله الصالح المطوع، المصدر السابق، ق (٦٧).

القواسم، ومنعوهم من التعدي على السفن الأجنبية في الخليج العربي.

ومن الملاحظ أن دور الأوروبيين - وبخاصة الإنجليز - لم يقتصر على القضاء على حركة القواسم فقط، بل تعداه إلى أكبر من ذلك، فقد شوهوا سمعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأطلقوا على دعوته اسم "الوهابية"، وأنها دعوة خارجة عن الإسلام. وإن كان الذي بدأ حرب هذه الدعوة، هي الدولة العثمانية التي شوهت هذه الدعوة في بلادها، والبلاد التابعة لها، فأصبحت تعرف بالدعوة الوهابية، إلا أن الأوروبيين شوهوها في البلاد التي استولوا عليها في شرقي العالم الإسلامي، وفي جميع بلاد المسلمين التي وصلوها، والتي رأوا فيها أثراً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أما دعوة الشيخ عثمان بن فودي، فقد بدأ اصطدام الاستعمار المباشر معها منذ مؤتمر برلين سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، والذي تم بموجبه تقسيم القارة الإفريقية بين الدول الأوروبية الاستعمارية، ثم أعقبه في سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م عقد اتفاقية بين بريطانيا وفرنسا، تم بموجبها رسم الحدود بين ممتلكات الدولتين، فبدأت بريطانيا تعد العدة للاستيلاء على دولة "صكت" التي صارت بموجب التقسيم ضمن مناطق نفوذها[١].

انتهجت بريطانيا سياسة الاحتلال التدريجي للدولة التي أنشأها الشيخ عثمان، وبدأت تغزو هذه الدولة من جهة الجنوب والجنوب الغربي ابتداء من سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، فسقطت المدينة تلو الأخرى، حتى وصلوا إلى (صكت) العاصمة في سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م.

---

(١) عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص (٢٥١).

أنهت بريطانيا مهمة استيلائها على الدولة الفولانية في سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م. وذلك عندما سقطت العاصمة (صكت) في أيدي البريطانيين، بعد معركة استمرت أكثر من ساعة، فر خلالها السلطان محمد الطاهر بن أحمد بن عتيق بن عثمان بن فودي مهاجراً إلى الشرق، وتبعه جموع من أمرائه وجنوده، وكان يريد الذهاب إلى مكة، إلا أن القوات البريطانية تتبعته حتى التقت به عند حصن (برمي)، ببلاد غومبي، فالتقى الفريقان مرة أخرى، واستشهد السلطان وبعض أتباعه من الأمراء والعلماء في ميدان القتال[1]. وبهذا قضت بريطانيا على قوة الفولانيين السياسية، أما القوة الروحية المتمثلة بعقيدتهم الإسلامية، فقد عجزت بريطانيا أن تبعدها عن الإسلام، بل على العكس، فقد أذعن البريطانيون للنظم المتبعة في الدولة، فأمنوا الوزير على احترام المسلمين وعقيدتهم وشعائرهم، وارتضوا أن يتعاملوا مع الوضع الإداري (الوزير والأمراء) كما وجدوه، وهو مايعرف بنظرية "الحكم غير المباشر"[2].

إلا أن بريطانيا من ناحية أخرى، عملت على ممارسة سياستها المتبعة في البلاد الإسلامية، وهي: تشجيع الفرق الإسلامية الضالة على ممارسة أنشطتها بحرية تامة، بل ومدها بالوسائل المادية والمعنوية، وذلك مثل: القاديانية التي نشأت في الباكستان، وشجعت بريطانيا على تصديرها إلي إفريقية، فلما وصلت إلى غربي أفريقية اعترفت بها

---

(١) آدم عبدالله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص.ص (١٠٨، ١٠٩).

(٢) عثمان سيد أحمد إسماعيل، حركتا الشيخ عثمان بن فودي، ومحمد أحمد المهدي، مجلة دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم، العدد الثاني، شعبان ١٤٠٦هـ/ ابريل ١٩٨٦م، ص (٤٣).

بريطانيا، وأمدتها بالمعونات المالية لبناء المدارس والمساجد والمستشفيات، والعيادات الخارجية، واعتبرتها من مؤسسات التعليم التطوعية الأهلية[1] كما مارست بريطانيا سياسة تثبيت الإقليمية والقبلية والعرقية في هذه البلاد، حتى تعيق انصهارهم في أمة موحدة سياسياً وثقافياً، وعملت للقضاء على اللغة العربية، فجعلت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية[2].

ومن الملاحظ أن محاولات البريطانيين لم تؤد جميع الأهداف المرجوة منها، فقد استمرت المقاومة الوطنية لها حتى نالت نيجيريا استقلالها سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م[3]. كما أن اللغة العربية صمدت أمام تحدي بريطانيا لها، فكان لها مدارس أهلية خاصة، وكانت لغة التأليف لرجال الفكر الإسلامي في الدولة، ولا تزال إلى الوقت الحاضر لها مدارس خاصة، وبخاصة في شمالي نيجيريا (مركز دولة الشيخ عثمان بن فودي).

---

(١) محمد جلال عباس، المرجع السابق، ص. ص (١٠٠، ١٠١).

(٢) عثمان سيد أحمد إسماعيل، المرجع السابق، ص.ص (٤٣، ٤٤).

(٣) آدم عبدالله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص (٤٠).

المبحث الثاني

الاختلاف

هناك عدة عوامل أدت إلى وجود اختلاف بين الدعوتين، أهمها:

١ ـ ظهرت الدعوتان في مجتمعين متباينين في اللغة والعادات والتقاليد.

٢ ـ اختلاف المدارس التي تلقى فيها الشيخان تعليمهما.

٣ ـ قرب الفترة الزمنية بين الشيخين مع بعد المسافة بين وطني الدعوتين.

٤ – عدم تأدية الشيخ عثمان فريضة الحج.

اختلاف بيئة المجتمعين:

ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مجتمع متحد في اللغة والعادات والتقاليد، فكانت لغة مجتمعة هي لغة القرآن، كما أن عاداتهم وتقاليدهم تكاد تكون متفقة، فلم يوجد إلا اختلاف بسيط بين البدو والحضر، لذلك اختصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب كثيراً من الوقت فى تبليغ دعوته. أما الشيخ عثمان بن فودي، فقد ظهر في مجتمعات متباينة في اللغة والعادات والتقاليد، حيث كان مجتمعه يتكون من مجموعة قبائل، كل قبيلة لها لغة خاصة بها، كما أن لهاعادات وتقاليد تتفق مع وضعها الاجتماعى، وإن كانت لغة الهوسا هي اللغة التي تكاد تكون اللغة السائدة، إلا أن هناك لغات أخرى للتفاهم بين القبائل الأخرى كقبيلة الفولاني، واليوريبا، والتوردب وغيرهم.

وهذا يبين لنا الفترة التي استغرقها كل منهما في مجال الدعوة إلى الله باستخدام الوسائل السلمية (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة)، فقد أعلن الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته بعد وفاة والده سنة ١١٥٣هـ، يقول ابن بشر: "حتى توفى أبوه عبدالوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١]، ثم أعلن الجهاد سنة ١١٥٩هـ. فيكون بذلك قد قضى مايقارب من ست سنوات في الدعوة السلمية قبل أن يعلن الجهاد.

أما الشيخ عثمان فإنه أعلن دعوته سنة ١١٨٨هـ، يقول عبدالله ابن فودي: أن مبدأ أمره (يعني الشيخ عثمان) في دعاء الناس كان وللجهرة نحو ألف ومائة وثمانية وثمانين سنة"[٢] ثم أعلن الجهاد سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م. فيكون قد قضى إحدى وثلاثين سنة في دعوة الناس إلى الإسلام بالطرق السلمية.

المبادىء:

١) العقيدة:

بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب مذهبه في العقيدة، في الرسالة التي بعثها إلى أهل القصيم، وقال فيها: أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعدالموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه

(١) ابن بشر، المصدر السابق، جـ(١)، ص (٣٧).

(٢) (2) Fodiyo, A.M< OP. Cit, P. 27.

في كتابه على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1].

أما الشيخ عثمان بن فودي، فقد انتسب إلى مذهب الأشاعرة، كما يقول بذلك في افتتاحه لبعض مؤلفاته: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. قال الفقير المضطر إلى رحمة ربه، عثمان بن محمد بن عثمان الفلاني نسباً، المالكي مذهباً الأشعري اعتقاداً الحمد لله رب العالمين[2].

٢) التصوف:

بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب موقفه من التصوف في كثير من رسائله التي بعثها إلى علماء نجد وغيرهم، فأقر فيها التصوف الأول الذي يهدف إلى النجاة بالنفس من عذاب الآخرة عن طريق الزهد بالدنيا، والاقتناع فيها بالقليل من المأكل والمشرب.

أما البدع التي دخلت على التصوف مع مر السنين، فإنه حاربها وكان لايرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المختلفة المخالفة لهدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته في العبادات والخلوات والأذكار المخالفة للمشروع[3]. أما موقفه من التصوف بصورةعامة، فقد جاء في إحدى رسائله قوله: ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي

(١) محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٨).

(٢) عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، ق (١١٣)

(٣) سليمان بن سحمان، الهدية السنية، ص (٩٤).

أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم[١].

أما الشيخ عثمان فإنه كان أحد أقطاب الصوفية في غربي إفريقية واتبع الطريقة القادرية، وقد أدخل التصوف تحت باب الإحسان، فقال: "أما طريق السنة المحمدية في باب الإحسان الذي هو باب التصوف، فهو أن يقتدي كل واحد بما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعله[٢].

ويبدو الاختلاف بينهما أكثر بما أثر عن الشيخ عثمان من إغراق في التصوف والتزام بالطريقة القادرية والتوسل بشيخها بصورة تجعله على النقيض في ذلك مع مبادىء الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقد دعا الشيخ عثمان الله أن يريه ملك الإسلام في بلاد الهوسا بقصيدة طويلة توسل بالشيخ عبدالقادر الجيلاني في عجز كل بيت منها، وافتتحها بقوله:

يارب عالم باطن كالظاهر أجب الذي يدعو بعبد القادر

واختتمها بقوله:

بركات أحمد في بلاد الله قد عمت وجمت عند عبدالقادر[٣]

٣) التوسل:

التوسل قسمان: قسم جائز وهو: التوسل بالإيمان، وبأسماء الله، وبالأعمال الصالحة، وقسم غير جائز وهو التوسل بالذوات الصالحة، مثل: أن يقول الشخص (اللهم اني أسألك بجاه نبيك صلى الله عليه

---

(١) محمد عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص (٢٥٢).

(٢) عثمان بن فودي، إحياء السنة وإخمادالبدعة، ص (٢٣٠).

(٣) (2) Fodiyo, A.M, OP. Cit, P.P. 51 _ 54

وسلم، أو بحرمة فلان، أو بحق الأنبياء والمرسلين أو بحق الأولياء والصالحين . . ونحو ذلك).

وقد أقر الشيخ محمد بن عبدالوهاب القسم الأول، ونهى عن القسم الثاني، لأنه دعاء، والدعاء عبادة لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى، وقد تناولها الشيخ محمد في رسالته السابعة "الجامع لعبادة الله وحده"[1]، وبين فيها أنواع العبادة التي لاتصلح إلا لله تعالى، وهي الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة، والخشية، والرغبة، والرهبة. . . وغير ذلك، فالعبادة إذاً: هي أفراد الله وحده بأنواع العبادة قولاً وفعلاً.

أما الشيخ عثمان بن فودي، فإنه لا يرى بأساً بالتوسل بالأنبياء، والأولياء، ومن ذلك مامر معنا من توسله بالشيخ عبدالقادر الجيلاني، وكذلك فإنه في كتابه "إحياء السنة وإخماد البدعة" يختم كل باب فيه بهذه العبارة: "اللهم وفقنا لاتباع سنة محمد صلى الله عليه وسلم بجاهه عندك".

٤) تعليم المرأة:

لم يوجه الشيخ محمد بن عبدالوهاب اهتمامه إلى تعليم المرأة بنفسه في نجد لعدة أسباب:

١ ـ أن دور المرأة في نجد مقتصر على خدمة زوجها في المنزل، وتربية أولادها، ومساعدة زوجها في المزرعة، فتقوم بالزرع والحصاد

---

(١) محمد بن عبدالوهاب، العقيدة والآداب الإسلامية، ص (٣٧٩).

. . ونحوها إلى جانب زوجها .

٢ - لم يكن للمرأة في نجد دور خارج منزلها أو مزرعة زوجها فالاختلاط بين النساء والرجال لم يكن موجوداً في نجد .

٣ - أن حقوق المرأة في نجد محافظ عليه ، فلها حق الميراث ولها حق التصرف بمالها الخاص كما تشاء .

٤ - من حق الزوجة على زوجها أن يعلمها ، فلا يتركها جاهلة ، وبخاصة أمور الدين من صلاة وزكاة وصوم وحج . . ونحوها .

٥ - أن الديانة الإسلامية هي الديانة الوحيدة في نجد ، فلم يكن فيها ديانات أخرى كتابية أو وثنية يخشى من تأثيرها على النساء .

لهذه الأسباب لم يجد الشيخ محمد الدافع لتعليم المرأة ، أو المطالبة بحقوقها ، وقد رأى أن تعليمه لرب الأسرة يكفل له مهمة تعليم بقية الأسرة ، ذلك أن رب الأسرة سينقل إلى زوجته وبناته ما تعلمه من الشيخ ، كما أنه سيطبق تعاليم الدعوة بينها ، وبالتالي تنتشر تعاليم الإسلام في الأسرة كلها .

أما الشيخ عثمان فقد رأى المرأة في مجتمعه مهانة ، قد حرمت حق الميراث ، وليس لها حق التصرف في مالها الخاص ، كما أنها كانت تعيش جنباً إلى جنب مع باقي طوائف المجتمع من الكتابيين والوثنيين ، لذلك خشى الشيخ عثمان على المرأة المسلمة هناك من التأثيرات الخارجية عليها ، خاصة وأن الاختلاط كان شائعاً ، فاستغل الشيخ حقوق المرأة المسلوبة منها ، وبدأ ينادي بحق تعليمها ، وعدم تركها جاهلة ، وأوجب على ولي أمرها تعليمها ، كما بين للنساء متى يجوز الخروج لهن ، ومتى

لايجوز سواء أكان للتعلم، أم لتأدية الفروض مثل: صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، والاستسقاء، والحج . . . . ونحوها، أم لغير ذلك من قضاء الحوائج.

موقف السلطة في البلدين:

استطاعت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأن تقيم دولة إسلامية في نجد وما جاورها، وسانده في ذلك سلطة سياسية تمثلت بشخص أمير الدرعية محمد بن سعود، أما الشيخ عثمان فإنه أقام دولة إسلامية في بلاد الهوسا وما جاورها، ولم يساعده في ذلك أمير أو سلطان، بل اجتمع سلاطين الهوسا ضده، واستطاع أن ينتصر عليهم ويقضي على سلطانهم.

لقد حاول كل من الشيخين دعوة الأمراء إلى الإسلام الصحيح، وفي الوقت الذي نجد فيه الشيخ محمدبن عبدالوهاب قد حقق نجاحاً كبيراً نجد الشيخ عثمان بن فودي على العكس من ذلك، فقد فشلت جميع محاولاته لدعوة هؤلاء الأمراء.

وقد مرت محاولة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاستعانة بالسلطة السياسية في تطبيق مبادىء دعوته ونشرها بمرحلتين.

الأولى: اتصاله بحاكم العيينة:

لما فشل الشيخ محمد بن عبدالوهاب في إعلان دعوته في حريملاء، حيث لم يكن هناك سلطة موحدة ـ انتقل إلى العيينة، فرحب به أميرها عثمان بن معمر ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م، ثم عرض عليه الشيخ دعوته، وقال له: "إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن

يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها[1] فاستجاب له ابن معمر وأعلن تبعيته للشيخ مع تنفيذ مبادىء الدعوة في العيينة وما جوارها، ثم ساءت علاقة الشيخ مع ابن معمر، عندما تدخل حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن غرير في شؤون نجد فطلب من ابن معمر أن يطرد الشيخ من بلدته أو يقتله، فلبى ابن معمر طلبه، وطرد الشيخ من العيينة، خوفاً من ضياع منصبه لأنه لم تكن لديه القوة الكافية لمواجهة حاكم الأحساء.

الثانية: اتصاله بحاكم الدرعية:

بعد أن طرد الشيخ من العيينة، قرر الرحلة إلى الدرعية ولما وصلها رحب به أميرها محمد بن سعود، وقال له: أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعز والمنعة، فقال له الشيخ: أنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين[2]. . . ، ثم عرض الشيخ دعوته على ابن سعود فقبلها، وتم بينهما مايعرف تأريخياً باسم "اتفاق الدرعية سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤"[3]، فصارت الدرعية بذلك المكان الذي انطلقت منه الدعوة إلى معظم بلاد الجزيرة العربية، وإلى غيرها من بلاد العالم الإسلامي.

وبهذا يكون الشيخ محمد قد لقى من يساعده في نشر دعوته ليس بالوسائل السلمية فقط، بل وعن طريق استخدام الوسائل العملية. والتي من أبرزها إعلان الجهاد، حتى تمكنا من توحيد نجد تحت سيادة سياسة واحدة، ووفق نظام إسلامي واحد.

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج(١)، ص (٣٨).

(٢) المصدرالسابق، جـ (١)، ص (٤٢).

(٣) انظر: حسين بن غنام،المصدر السابق، جـ (١)، ص (٨٠).

أما الشيخ عثمان بن فودي فعلى الرغم من محاولته الاستعانة بالسلطان، حيث أفتى بأنه يجب على العالم أن يسعى إلى الملوك ويبلغهم كلمة الحق[1] ثم طبق فتواه عملياً بأن ذهب إلى سلطان غوبر (باوابن باباري ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م-١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م)، وعلى الرغم من تحقيقه بعض الانتصار، حيث سمح له هذا الملك بالدعوة إلى الإسلام في بلاده، إلا أن انتصاره هذا لم يستمر، حيث وقف السلطان (نافاتا ابن باوا ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م-١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) ضد الشيخ ودعوته، وأصدر قراراً يقضي بأنه لايسمح لأحد بالوعظ سوى الشيخ، كما لايسمح لأحد باعتناق الدين الإسلامي إلا وارثه من أبيه كما لا يسمح للمرأة أن تلبس الحجاب[2] ثم ساءت علاقة الشيخ أكثر مع السلطان (ينف بن نافاتا ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م-١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م)، حيث حاول هذا السلطان الغدر بالشيخ وقتله، فلم ينجح، ثم هجم على قرية أحد أتباع الشيخ، وأخيراً اصطدم بالشيخ عثمان نفسه، وبدأت الحرب بينهما منذ سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م. وانتهت بسقوط القاضاوا عاصمة غوبر، وقتل السلطان ينف سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

وهكذا يكمن الخلاف بين الشيخين، في أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أقام دولة إسلامية في الجزيرة العربية بمساندة الأمير محمد بن سعود، والشيخ عثمان أقام دولة إسلامية في بلاد الهوسا وما جاورها دون مساندة أحد من السلاطين هناك، وكان له فضل كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية في غربي إفريقية.

---

(١) عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، ق (٤٥٧).

(٢) Fodiyo, A.M, OP. Cit, P. 49

أثر الحج في انتشار أفكار الدعاة والمصلحين:

قال تعالى «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق»[1].

معلوم أن الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأنه يمثل الركن الخامس من أركان الإسلام، ولكنه قيد بمن استطاع إليه سبيلاً، قال تعالى «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً»[2]، وعلى الرغم من ذلك فإن المسلم في جميع أقطار العالم يحاول جاهداً أن يؤدي هذا الركن، ويبذل في سبيل ذلك كل مالديه من إمكانات، فصارت مكة بذلك موطناً لجميع المسلمين، ففيها الكعبة قبلة المسلمين، واتخذها علماء المسلمين مكاناً يتلقون فيه العلم، ثم ينشرونه في بلدانهم إذا رجعوا إليها، كما استغلها علماء الفرق الإسلامية لنشر أفكارهم وتعاليمهم بين الحجاج، فكانت مكة بذلك مقراً لجميع هؤلاء العلماء، ومنها ينشرون دعواتهم إلى الأقطار الأخرى.

ولما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي الدعوة الأولى في العصر الحديث التي ظهرت لتجديد الإسلام، والعودة بالمسلمين إلى الدين الصحيح، فقد حكم كثير من المؤرخين، بأن كل دعوة جاءت بعدها، متأثرة فيها، وذلك لقربها من مكة المكرمة من جهة، ولكونها حكمت الحجاز واستولت عليه من جهة أخرى، فظهرت بذلك الافتراضات، بناءً على أن كل دعوة تظهر لابد لصاحبها أن يحج البيت، فإذا قدم إلى مكة من أجل الحج، التقى فيها بعلماء نجد من أتباع الشيخ

---

(١) سورة الحج: آية / ٢٢/ .

(٢) سورة آل عمران : آية/ ٣ / .

محمد بن عبد الوهاب، وبالتالي يتأثر بهذه الدعوة، ثم ينقل أفكارها إلى بلده. وقد فات هؤلاء المؤرخين أن مكة لم تكن في يوم من الأيام - منذ أن ظهرت المذاهب والفرق الإسلامية - موطناً لمذهب أوفرقة معينة، كما فاتهم أن معظم العلماء الذين قدموا إلى مكة لم يتلقوا فيها العلم من البداية، فقد تلقوا العلم أولاً في بلدهم، ثم قدموا إلى مكة للحج، وللتزود من العلم، لذلك نرى أن أتباع كل مذهب أو طريقة يبحثون عن مشايخ هذا المذهب أو هذه الطريقة، فالذين نَشَؤُوا على طريقة التصوف نجدهم يطلبون العلم من مشايخ هذه الطريقة . . وهكذا، وفاتهم أيضا شمولية الإسلام، وأنه صالح، لكل زمان ومكان، فليس الإسلام قاصراً على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأت بمذهب جديد، فقد كان تابعاً لمذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وتلميذاً لمدرسة ابن تيمية - رحمه الله، لذلك فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تابعة لمذهب من المذاهب الإسلامية، التي أجمع علماء السلف على أنها مذهب أهل السنة والجماعة.

لذلك ينبغي على كل باحث أن يتحرى الدقة في بحثه، فلا يصدر أحكامه عن طريق الافتراض فقط، بل لابد أن يدّعم حكمه بالدليل القاطع فإذا أراد أن يبين أن هذه الدعوة، متأثرة بدعوة أخرى، فعليه أن يسرد الأدلة على ذلك، ويبين أن هذه الدعوة المتأثرة قد التقت بتلك الدعوة الأخرى من جميع الوجوه، وبخاصة من ناحية المبادئ، فإذا اختلفتا في بعض المبادئ، فلا ينبغي أن يصدر حكمه بتأثر هذه الدعوة بتلك بل يرجع ذلك إلى شمولية الإسلام

وهنا يمكن أن نطرح سؤالاً فنقول : هل تأثر الشيخ عثمان بن فودي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو لا؟ .

وللإجابة على هذا السؤال نقول : اختلف المؤرخون في ذلك، فقال بعضهم بأن الشيخ عثمان قد حج وتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١] وقال بعضهم بأنه لم يحج ولم يتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٢].

أما الفريق الأول فقد بنوا حكمهم هذا، بأن الشيخ عثمان بن فودي قد أدى فريضة الحج، والتقى في مكة بعلماء نجد من أتباع الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، فطلب العلم منهم، ثم رجع إلى بلاده، فنادى بما نادى

---

(١) من أصحاب هذا الرأي:
سير توماس. وارنولد، المرجع السابق، ص (٣٦٠)، وكذلك أحمد شلبي المرجع السابق، جـ (٦)، ص (٢٨٥)، وكذلك حسن إبراهيم حسن المرجع السابق، ص (١١٩)، وكذلك محمد بن عبدالله السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ص(٩٩).
وكذلك محمد البهي في تقديمة لكتاب الشيخ عثمان بن فودي "إحياء السنة وإخماد البدعة"، ص (ي) وكذلك وهبة الزحيلي، تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جـ(٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص (٣٢٩).
وكذلك عبدالفتاح الغنيمي، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في غرب أفريقيا، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جـ (٢)، ص(٣٥٣)، وكذلك مصطفى مسعد، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جـ(٢)، ص (٤٣٢).

(٢) من أصحاب هذا الرأي:
عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ، ص (٥)، وكذلك عبدالله عبدالرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص.ص (٣٧ ـ ٣٩)، وكذلك حسن عيسى عبدالظاهر، المرجع السابق، ص.ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧، وكذلك آمنة محمد نصير علي، محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٧٨م، ص: ١٧٨، وكذلك محمود سمير أحمد محمد التايعي، عثمان بن فودي، رسالةماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة ١٩٧٦م ص.ص: (٦١ ـ ٦٧).

به الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

والحقيقة أن الشيخ عثمان قد توفى قبل أن يؤدي فريضة الحج ، وكان في حياته يتمنى أن يؤدي هذه الفريضة ، وقال في ذلك قصيدة مطلعها :

هل لي مسيرة نحو طيبة مسرعاً   لأزور قبر الهاشمي محمد[1]*

كما أنه حاول أن يؤدي هذه الفريضة لما كان عند الشيخ جبريل ابن عمر ، يقول عبدالله بن فودي : "ثم سار الشيخ عثمان لطلب العلم إلى شيخنا جبريل وصاحبه نحو سنة يتعلم منه حتى بلغ معه قرية أقدس (أغاديس) فرجّعه الشيخ جبريل إلى أبيه ، وسار (الشيخ عثمان) إلى أبيه ، وسار هو (الشيخ جبريل) إلى الحج ، لكون أبيه (أبو الشيخ عثمان) لم يأذن له في المسير إلى الحج"[2] .

كما أن الشيخ عثمان لم يتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، لعدة أسباب منها :

(١) اختلافهما في المبادىء ، فالشيخ عثمان أشعري العقيدة ، مالكي المذهب صوفي الطريقة ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومذهبه مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه ، كما أنه لم يكن صوفياً ، بل على العكس ، فقدحارب التصوف ، وبخاصة المغالاة فيه[3] .

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتسب إلى مدرسة ابن تيمية ، وتلميذه

---

(١) Fodio, A.M, OP. Cit, P. 26.

(٢) عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ من أخذت من الشيوخ، ص(٥).

(٣) أنظر: محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية، ص ص (٧٢، ١٩٣).

ابن القيم، وكثيراً مايستشهد في مؤلفاته بأقوال الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، كما انه أختصر كتاب "زاد المعاد في هدى خير العباد" لابن القيم.

أما الشيخ عثمان ينتسب إلى مشايخ الطرق الصوفية، وبخاصة الشيخ جبريل بن عمر الذي قال فيه:

إن قيل في بحسن الظن ما قيلا   فموجة أنا من أمواج جبريلا[1]

وكذلك الشيخ عثمان بن الأمين بن عثمان بن حم بن عال الذي "اقتدى به الشيخ عثمان في الأحوال والأفعال وصاحبه نحو ستين وتطبع بطباعه في التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2] وغيرهما من مشايخ الطرق الصوفية.

(٣) لم يرد في مؤلفات الشيخ عثمان ذكر للشيخ محمد بن عبدالوهاب أو الإمام ابن تيمية، أو ابن القيم، مع أنه كان يذكر مصادره في مؤلفاته.

(٤) لو أن الشيخ عثمان قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنادى بما نادى به الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولأسس في بلاد الهوسا مدرسةً لابن تيمية، وهذا لايتم إلا بمحاربة التصوف وهو مالم يحصل فعلاً.

(٥) وأخيراً يمكن أن يقال إن الشيخ عثمان قد تأثر بالشيخ محمد ابن عبدالوهاب من ناحية الجهاد فقط، وذلك عن طريق الشيخ جبريل بن عمر الذي حج وقت ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإعلانه

---

(١) محمد بيللو، المصدر السابق، ص (٢٨).

(٢) عبدالله بن فودي، إيداع النسوخ من أخذت من الشيوخ، ص(٤)

للجهاد، وأنا لا أرى هذا التأثير في جهاد الشيخ عثمان وذلك من عدة وجوه:-

الأول: أن الشيخ جبريل بن عمر حج في نهاية القرن الثاني عشر حوالي سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، وذلك للمرة الثانية، أي أنها كانت آخر حجة له، وفي ذلك الوقت لم تكن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد وصلت إلى الحجاز، حيث لم تصل إليها إلا سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، عندما دخل جيش السعوديين مكة واستولى عليها، كما أن دعوة الشيخ محمد كانت محاربة في الحجاز وموصوفة بأنها دعوة خارجة عن الإسلام.

ثانياً: أن الشيخ عثمان لم يعلن الجهاد إلا عندما رأى أنه مجبر عليه، وأنه الطريق الوحيد الذي أمامه، من أجل المحافظة على دعوته ويدل على ذلك قوله عن سبب الجهاد: حتى أرسل إلينا سلطان غوبر يريد غدرنا على ماسمعنا وتبين لنا ذلك من قرائن أحواله وأقواله وأفعاله فوقانا الله شره وسمعنا ما أعلمنا أنهم لايريدون إلا هلاكنا[١]، ويقول عبدالله بن فودي: فهاجرنا إلى مكان في أطراف بلاده (غوبر) في البوادي يسمى قد بضم القاف والدال فأمر (سلطان غوبر) ولاة بلاده أن يأخذوا كل من يسير إلى الشيخ فجعلوا يفتنون المسلمين يقتلونهم ويأخذون أموالهم ثم جاوز الأمر إلى أن كانوا يرسلون الجيوش إلينا فاجتمعنا لما اشتد ذلك فأمرنا الشيخ علينا لينضبط أمرنا وهو قبل ذلك كان إمامنا وأميرنا[٢].

ومن هنا يتبين لنا أن الشيخ عثمان لم يعلن الجهاد إلا دفاعاً عن

---

(١) عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، ق. ق (١٠، ١١).

(٢) Fodiyo, A., Op. Cit, P. 55.

نفسه وجماعته ودعوته، وأنه لما نجح في البداية، رأى أن يواصل الجهاد لكي يحقق ماعجز عن تحقيقه بالطرق السلمية، خاصة وأنه ليس أمامه إلا مواصلة الجهاد لكي يقضي عليهم قبل أن يقضوا عليه.

ثالثا: لو أن الشيخ جبريل بن عمر قد حض الشيخ عثمان على الجهاد لكان الشيخ عثمان قد أعلن الجهاد في وقت مبكر، هذاإذا علمنا أن دعوته السلمية تجاوزت الثلاثين عاماً، كما أن علاقته بسلاطين غوبر لم تكن حسنة، فقد حاولوا أكثر من مرة الغدر به وقتله، ولكن الله ينجيه منهم.

والقول الفصل في هذا الموضوع: أن كلاً من الشيخين قد تكيف مع البيئة التي ظهر فيها، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب ظهر فى مجتمع لم ينتشر فيه التصوف، وكان أغلب علماء مجتمعه ينتسبون إلي المذهب الحنبلي، إضافة إلى أن عقيدة الأشاعرة لم تكن موجودة في نجد، لذلك انتسب الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وتعلم في رحلاته العلمية جميع العلوم الإسلامية، ثم أتى إلى مجتمعه فدعاهم إلى الإسلام الصحيح الذي لم يكن غريباً عليهم، بقدر ما كانوا هم الغرباء عنه.

أما الشيخ عثمان فكانت بيئته تختلف عن بيئة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، نظراً لانتشار التصوف في غربي إفريقية كلها، حيث انتقل إليها من شمالي إفريقية، وكان مشايخ هذه الطرق ينتسبون إلى مذهب الأشاعرة، كما انتسب إلى مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، نظراً لانتشار هذا المذهب في غربي إفريقية أيضاً، وقد وصلها عن طريق شمالي إفريقية (بلاد المغرب العربي) لذلك كانت دعوته ملائمة لبيئة مجتمعه، ومتمشية مع منهج مدارس الدعوة الإسلامية التي ظهرت قبله، مثل: حركة الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني.



الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد

فبتوفيق من الله جل وعلا خلصت من إعداد هذه الدراسة وفي ختامها أسرد أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كمايلي :-

أوضحت هذه الدراسة أن للبيئة الجغرافية أثراً في توجيه طباع السكان ورسم عاداتهم وتقاليدهم بما يتلاءم مع طبيعة أرضهم. ففي نجد نلحظ أن البدو سكان الصحراء كانوا خشنين قساة الطباع ميالين إلى القتال والحروب، بينما الحضر سكان المدن والقرى قد أكسبهم الاستقرار التحلي بشيء من اللين والرحمة وبخاصة في وقت السلم، كما أن موقع نجد ووعورة تضاريسها قد جعلها مجهولة نوعاً ما للعالم الخارجي لأنها قليلة العطاء، ومنعزلة عن المناطق الساحلية، والأماكن المقدسة بالحافات الرملية والصخرية، ولهذا حافظ سكانها في الغالب على سلالتهم البشرية، فلم يختلطوا مع الأجناس الأخرى.

أما في بلاد الهوسا فقد تفاعل موقعها مع تضاريسها ومناخها، فتوافد إلى هذا الإقليم شعوب من مختلف الأجناس، أخذوا يعيشون على هذه الأرض، فكونوا لهم حضارة، كانت اللغة هي العامل المشترك بينهم، حيث تعاونوا في تكوين حضارة مشتركة على أساس اللغة التي أخذوا يتفاهمون بها فيما بينهم، حتى غلبت على الأرض التي سكنوها، فصارت هذه الأجناس تعرف بشعوب الهوسا وأرضهم ببلاد الهوسا. كما وفدت اللغة العربية مع العلوم الإسلامية إلى بلاد الهوسا مع الدعاة المسلمين فأصبحت اللغة العربية لغة المثقفين، ثم أصبحت اللغة الرسمية للدولة الصكتية التي أنشأها الشيخ عثمان بن فودي.

اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن نجداً قبيل ظهور الشيخ محمد ابن عبدالوهاب كانت مجزأة سياسياً، حيث لم تتوافر فيها عوامل لبروز قيادة داخلية موحدة لها، كما لم يتيسر ضمها لوحدة إسلامية أكبر من الجزيرة العربية، أو من خارج الجزيرة كما أن موارد نجد الاقتصادية كانت محدودة، وكانت تعاني من العوارض المناخية والطبعية مثل: الجفاف، والقحط، وكثرة الأمطار، والرياح، والعواصف، وانتشار الأمراض، وهجمات الأعداء على المزارع، واعتراضهم للقوافل التجارية... ونحوها. كما أن الأوضاع الدينية كانت بحاجة ماسة إلى من يقوم بتنقيتها مما شابها من أمور الجاهلية مثل: البناء على القبور، والتوسل بها، والاعتقاد بالأشجار والأحجار والتبرك بها والنذر لها.. الخ، فكان ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب مخلصاً لأهل نجد من هذه البدع والخرافات.

أما الأوضاع السياسية في بلاد الهوسا قبيل ظهور الشيخ عثمان بن فودي، فتتجلى فيها حقيقة واضحة، وهي: أن التمزق السياسي أدى إلى اضطراب وفوضى أثّرا على مصالح الناس، فاضطرب الأمن، ولم يعد أحد آمن على نفسه وماله وعرضه، وقد نتج عن هذا الاضطراب السياسي، أوضاع اجتماعية قلقة، ولاسيما في مجال خوف الانسان على حريته، على الرغم من تحصنه بقبيلته، وهذه الأوضاع بدورها أثرت على الحياة الاقتصادية، مما جعل الناس في بلاد الهوسا يقيمون نوعاً من الاقتصاد الذي يفي بالاحتياج الذاتي أكثر منه للإنتاج والاستثمار، باستثناء الفعاليات التجارية لبعض أهل المدن، بتشجيع من حكام دويلات الهوسا السبع، على تفاوت بينهم في ذلك التشجيع. أما الأوضاع الدينية، فإن سكان بلاد الهوسا كانوا على ثلاثة أقسام: -

الأول - المسلمون، وهم الذين يعملون أعمال الإسلام، ولايظهر منهم شيء من أعمال أهل الكفر.

الثاني - الكفار، وهم الذين لم يعتنقوا الإسلام أصلاً.

الثالث - المخلطون، وهم الذين يعملون أعمال الإسلام، ومع ذلك يظهر منهم بعض الأعمال التي توجب كفرهم، مثل: إنكار البعث، وتعظيم بعض الأماكن، وبعض الأشجار والأحجار بالذبح لها، والصدقة عندها، والاستعانة بالكهنة والسحرة، وهؤلاء هم الذين وجه الشيخ عثمان بن فودي دعوته إليهم ليعيدهم إلى الإسلام.

اتضح لنا أن نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بيت علم وصلاح قد أثرت في تكوين شخصيته وشغفه للتزود من العلوم الإسلامية بما يكفي لإصلاح مجتمعه، فكان أن قام بعدة رحلات إلى مكة، والمدينة، و البصرة، والأحساء، ثم رجع إلى حريملاء حيث يقيم والده، ثم بدأ الشيخ محمد دعوته في حريملاء بعد وفاة والده ونتيجة لمحاولة إيذائه، فقد رحل إلى العيينة، فآواه حاكمها عثمان بن معمر في بادىء الأمر، وتحت ضغوط حاكم الأحساء سليمان بن غرير، على حاكم العيينة، فقد خرج الشيخ محمد من العيينة إلى الدرعية، حيث رحب به أميرها محمد بن سعود فانتقلت دعوة الشيخ إلى مرحلة جديدة هي الجهاد في سبيل الله لإعلام كلمة الله وقد استخدم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الوسائل النظرية والعملية في سبيل الدعوة إلى الله وتمثلت وسائله النظرية بإلقاء الدروس لتوضيح أصول الدين والعبادات والأحكام، وكذلك الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وتمثلت وسائله العملية بالاستعانة بالسلطة لتطبيق أحكام الله، فكان اتصاله بحاكم العيينة عثمان بن معمر.

ومـانتج عنه من هدم للقبـاب، وقطع للأشـجـار المعظمـة، ورجم للزانية. . . وغيرها، وقد نتج عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عودة أهل نجد إلى الإسلام الصحيح كما كانوا عليه في صدر الإسلام، كما نتج عنها نتيجة وقتية لم تلبث أن زالت بعد أن اتضح للعامة فضلاً عن الخاصة حقيقة الدعوة وسلامة منهج وعقيدة صاحبها، وهذه النتيجة هي: انقسام علماء نجد تجاه الشيخ محمد ودعوته الى قسمين: - قسم آمن بدعوة الشيخ فانضم اليه وبايعه على مادعا إليه وأخذ يحضر دروسه ومواعظه. وقسم أنكرها وحاربها وبذل نفسه ووقته في سبيل القضاء عليها، واتصل أصحاب هذا القسم بعلماء الجزيرة في الحجاز والأحساء والبصرة. . وغيرها، ولما لم يستطيعوا القضاء عليها بواسطة العلماء، اتصلوا بالحكام، فعظموا لهم شأنه، وقالوا لهم: إن الشيخ سيقضي على ملكهم وسيسعى في قطع ماهم عليه من الأمور، وسيبطل العشور والمكوس. وكان اتصال الشيخ محمد بأمير الدرعية محمد بن سعود، أهم وسائل الشيخ العملية، حيث رحب به ابن سعود، وشجعه على مواصلة الدعوة ونشرها في نجد والجزيرة العربية، ثم أعلن الشيخ محمد والإمام محمد بن سعود الجهاد في سبيل الله، فخاضت جيوش الدرعية معارك عديدة استطاعت خلالها أن توحد نجداً جميعها تحت إمرة آل سعود، كما استطاعت توسيع دائرة نفوذها خارج نجد حتى وحدت معظم أرجاء الجزيرة العربية، فامتدت حدودها من الخليج العربي شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً، ومن حدود بادية الشام شمالاً حتى الربع الخالي واليمن جنوباً، وكان ضم السعوديين للحجاز سبباً مباشراً لسقوط الدرعية، وانتهاء عهد الدولة السعودية الأولى، وذلك على يد جيوش الدولة العثمانية بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية، حيث سقطت الدرعية على يديه سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

أما الشيخ عثمان بن محمد فودي فقد نشأ في بيئة غلب على علمائها انتسابهم إلى الطرق الصوفية، فغلب هذا الجانب على حياته العلمية والعملية، فانضم إلى الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني، كما انتسب إلى عقيدة الأشاعرة، وإلى مذهب الإمام مالك في الفروع، وعند مابدأ دعوته قام بعدة رحلات إلى بلاد الهوسا، فزار "كب"، "وزنفرا"، "وزوم" . . وغيرها، كما اتصل بملك "غوبر" مرتين، وخلال هذه التنقلات كان يدعو الناس للعودة إلى الإسلام، وترك البدع المحدثة، كما ألف المؤلفات، وكتب الرسائل لتوضيح الإسلام والدعوة إليه، وبلغت مؤلفاته ورسائله أكثر من مائة وأربعين مؤلفاً. وقد استخدم الشيخ عثمان الوسائل الفكرية والعملية لإصلاح مجتمعه، وتمثلت وسائله الفكرية باختيار الأوقات المناسبة للوعظ والإرشاد، وإلقاء الدروس في العقيدة على مذهب الأشاعرة، وفي العبادات على مذهب الإمام مالك، كما عدد البدع المنتشرة في مجتمعه وحذر منها مثل: التفاؤل والتشاؤم بالأيام، والتبرك بالآثار، والاشتغال بتحصيل المغيبات، والفال، والقرعة، والسانح، والبارح . . . وغيرها. وتمثلت وسائله العملية بزيارة سلاطين وأمراء بلاد الهوسا، فنجحت دعوته في بادىء الأمر في بلاد "كب" "وزنفرا" "وزوم" في الوقت الذي فشلت فيه دعوته لسلاطين "غوبر" حيث تطور الأمر فيها إلى حمل السلاح وإعلان الجهاد، وذلك أن ملك "غوبر" «يُنْفُ بن نافاتا» قد خضع لتأثير حاشيته، فطرد الشيخ من بلاده، ثم أرسل جيوشه للقضاء على الشيخ، فأعلن الشيخ عثمان الجهاد ضد ملك "غوبر" دفاعاً عن النفس في بادىء الأمر، وقد استمر القتال بينهم حتى تمكن الشيخ عثمان من إقامة دولة إسلامية في بلاد

الهوسا، امتدت من حدود الصحراء شمالاً إلى منطقة الغابات جنوباً، ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد برنو وكانم شرقاً، كما نتج عن دعوة الشيخ عثمان، انقسام مجتمعه إلى قسمين: قسم آمن بدعوة الشيخ وغالبهم من العامة، وقسم عارض الشيخ ولم يؤمن بدعوته، وتمثل بعلماء السوء وبعض سلاطين بلاد الهوسا. فأما العلماء فقد قام بينهم وبين الشيخ مناظرات ومكاتبات كان لها دور مباشر في انتشار الثقافة الإسلامية واللغة العربية هناك، وأما السلاطين فقد قام بينهم وبين الشيخ حروب طويلة انتهت بانتصار الشيخ وقيام الدولة الإسلامية في بلاد الهوسا.

من خلال دراستنا لدعوتي الشيخين محمد عبدالوهاب، وعثمان ابن فودي اتضح لنا أن بينهما تشابها واختلافا، فالتشابه كان في النشأة الدينية حيث نشأ كل منهما في بيت علم ودين، فأثرت هذه النشأة الدينية على الشيخين، فقاما بمحاولة إصلاح مجتمعاتهما ونجحا في ذلك. كما تشابها في إثراء المكتبه العربية والإسلامية بالمؤلفات، حيث ألف كل منهما مجموعة من الكتب في مختلف المجالات، وبخاصة في العقيدة، والعبادات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع، فكانت مؤلفاتهما محاولة جادة لإصلاح أوضاع مجتمعاتهما المتردية. كما تشابها في بعض المبادىء، ففي الفروع اتبع كل منهما إماماً واحداً من الأئمة الأربعة، ولم يخرج عنه إلا في بعض المسائل التي يرى فيها مخالفة إمامه، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب اتبع مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والشيخ عثمان اتبع مذهب الإمام مالك ابن أنس، وفي المبادىء السياسية حكم كلاهما بوجوب طاعة السلطان المسلم مالم يأمر بمعصية الله، وفي المبادىء الاجتماعية دعيا إلى المساواة والعدل بين

الرعية، وفي الاقتصاد حرما الضرائب غير الشرعية وأخذ الرشوة والتطفيف بالكيل والوزن، والغش في البيع ونحوها. كما تشابها في المجال التربوي وبخاصة الجانب التعليمي حيث كان لكل منهما عدة مجالس للوعظ والإرشاد والتعليم، وكذلك في محاربة البدع والتحذير منها وإحياء السنن والدعوة إليها، فقد حاربا الطواف حول القبور، والأشجار والأحجار، وفي نفس الوقت حثا على زيارة القبور لأنها تُذكر بالآخرة. كما تشابها في نجاح دعوتيهما حيث استطاع كل منهما أن ينشىء دولة إسلامية في مجتمعه، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب أقام الدولة الإسلامية في نجد بمؤازرة من أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود، والشيخ عثمان بن محمد فودي أنشأ دولة إسلامية في بلاد الهوسا بعد أن فرض سلطانه على جميع ممالك الهوسا وما جاورها. كما تشابها في مجال انتشار دعوتيهما خارج حدودهما، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب وصلت دعوته إلى اليمن، والعراق، وعمان، والهند، وإندونيسيا، ومصر والجزائر... وغيرها، والشيخ عثمان بن فودي انتشرت دعوته على نطاق ضيق في غرب إفريقية فقط، لأنه ظهر في مجتمع لا توجد فيه مؤسسة إسلامية يفد إليها المسلمون للتزود منها بفنون العلوم الإسلامية كالحرمين الشريفين في الحجاز، والأزهر في مصر. وأخيراً فقد تشابها في موقف الاستعمار من دعوتيهما، حيث حارب الاستعمار الأوروبي هاتين الدعوتين بمختلف الوسائل الفكرية والحربية، فقد حارب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند ماشوه سمعتها في البلاد الإسلامية التي استعمرها، فأطلق عليها «الدعوة الوهابية»؛ ليوهم المسلمين بأنها دعوة خارجة عن الإسلام، كما حاربها عسكرياً عندما وصلت إلى الخليج العربي على يد القواسم الذين أطلق

عليهم المستعمر اسم «القراصنة»؛ ليبرر للمسلمين وغيرهم أن قضاءه على القواسم كان من أجل منعهم عن مزاولة مهنة القرصنة، فهجم المستعمر على رأس الخيمة وأحرقها بعد أن هدم قصورها وذلك في سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م. أما الشيخ عثمان فقد بدأ اصطدام الاستعمار المباشر مع دولته منذ مؤتمر برلين سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، والذي تم بموجبه تقسيم القارة الإفريقية بين الدول الأوروبية الاستعمارية، ثم أعقبه سنه ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م عقد اتفاقية بين بريطانيا وفرنسا تم بموجبها رسم الحدود بين ممتلكات الدولتين، فبدأت بريطانيا تعد العدة للاستيلاء على دولة الشيخ عثمان (الدولة الصكتية) التي أصبحت بموجب التقسيم ضمن مناطق نفوذها، وأخذت تحتلها تدريجياً من جهة الجنوب والجنوب الغربي ابتداء من سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٨م حتى وصلت إلى العاصمة "صكت" سنة ١٢٢١هـ/ ١٩٠٣م، فاستولت عليها بعد معركة استمرت أكثر من ساعة.

كما أوضحت هذه الدراسة الخلاف بين دعوتي الشيخين، وأنه يرجع إلى عدة عوامل من أهمها:-

١ - ظهور الدعوتين في مجتمعين متباينين في اللغة والعادات، فالشيخ محمد بن عبدالوهاب، ظهر في مجتمع متحد في اللغة والعادات، بينما الشيخ عثمان بن فودي ظهر في مجتمع متباين في اللغة والعادات والتقاليد، وإن كانت لغة الهوسا تكاد تكون اللغة السائدة، إلا أن هناك لغات أخرى للتفاهم بين القبائل الأخرى كقبيلة الفولاني، واليوربا، التوردب... وغيرها.

٢ ـ اختلاف المدارس التي تلقى فيها الشيخان تعليمهما، فالشيخ محمد ابن عبدالوهاب انتسب إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وتلقى تعليمه على مشايخ أهل السنة من المعاصرين له والسابقين عليه، وقد تأثر بصورة مباشرة بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فلا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاته من الإشارة إلى هذين الشيخين، والاحتجاج بآرائهما على صحة مايدعو إليه. وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم من أعلام المذهب السني على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك فإن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تتوافق مع مذهب أهل السنة والجماعة قولاً وفعلاً.

أما الشيخ عثمان بن فودي فإنه وإن كان ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، إلا أنه يخالفهم في بعض المبادىء العقدية، فهو ينتسب إلى مذهب الأشاعرة في العقيدة، وينتسب إلى التصوف، بل هو أحد أقطابه على الطريقة القادرية، ولايرى بأساً بالتوسل بالأنبياء والصالحين الأحياء منهم والميتين. وهذا راجع إلى المدارس التي تلقى منها تعليمه، حيث إن جميع مشايخه كانوا من المتصوفين، وأغلب المصادر التي رجع إليها واستفاد منها كانت لأقطاب الصوفية، ابتداء من مؤلفات ابن عربي وبخاصة «الفتوحات المكية» مروراً بمصادر الطرق المختلفة من قادرية وتيجانية، وشاذلية . . . وغيرها، حتى تلقيه العلوم مباشرة كانت على مشايخ الطرق الصوفية، مثل استاذه وشيخه جبريل بن عمر الذي قال فيه الشيخ عثمان:

إن قيل في بحسن الظن ما قيلا　　　فموجة أنا من أمواج جبريل

٣ ـ قرب الفترة الزمنية بين الشيخين محمد بن عبدالوهاب وعثمان بن فودي، مع بعد المسافة بين وطني الدعوتين، فقد بدأ الشيخ محمد بن

عبدالوهاب دعوته في العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري، ولم تصل دعوته إلى مكة بصفة رسمية إلا بعد أن استولت الدولة السعودية الأولى على مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد قبل هذا التاريخ محاربة في الحجاز، وموصوفة بأنها دعوة مبتدعة وخارجه عن الإسلام. أما الشيخ عثمان فإنه قد بدأ دعوته في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري، ولم يكن قد أدى فريضة الحج، ولذلك لم يتصل بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن المرجح أنه لم يسمع عنها، وإلا لأشار إليها في مؤلفاته، خاصة وأنه كان بحاجة إلى من يدعم موقفه، ويؤيده في دعوته، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خير من يستشهد بها لتعزيز موقفه؛ لأنه أشار بالثناء على حركة السنوسي في ليبيا، ومحمد بن عبدالكريم المغيلي في دولة الصنغي.

٤ ـ عدم تأدية الشيخ عثمان فريضة الحج:

من الثابت أن الشيخ عثمان بن فودي قد مات قبل أن يؤدي فريضة الحج، كما أن شيخه جبريل بن عمر كانت آخر حجة له في سنة ١٢٠٠هـ تقريباً، أي قبل أن تصبح مكة في حوزة السعوديين، وهذا يؤكد أن الشيخ عثمان لم يتأثر من قريب أو بعيد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، هذا إضافة إلى الخلاف بينها في بعض المبادىء سالفة الذكر. أما من قال بأن الشيخ عثمان قد تأثر بالشيخ محمد بن عبدالوهاب فإنه لم يعتمد على حقائق علمية، ومن المرجح أنهم اعتمدوا على كتابات المستشرقين، وبخاصة توماس آرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، ومن المعلوم أن المستشرقين يجهلون بعض الأحكام

الإسلامية، وفي رأيي أن توماس آرنولد اعتمد في حكمه على جزئية خاطئة، فخرج بنتيجة كلية خاطئة، فقد قال إن الشيخ عثمان قد أدى فريضة الحج، اعتقاداً منه أن الحج ركن من أركان الإسلام دون قيد أو شرط، وفاته أن الحج مقيد بالاستطاعة، ولما كانت دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب أول دعوة إصلاحية تجديدية في العالم الإسلامي في العصر الحديث، ولقربها من مكة المكرمة، فقد اعتقد آرنولد أن الشيخ عثمان قد حج، واتصل في مكة بعلماء الدعوة السلفية، وتأثر بهم، ثم أتى بعده من اقتبس هذه المعلومة منه، فشاعت بين المؤرخين وكأنها حقيقة واقعة، وهذا الرأي مخالف للصواب.

وأخيراً فإني لا أوافق من قال بتأثر الشيخ عثمان بالشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث كان للشيخ عثمان مدرسته الخاصة المتأثرة بصوره مباشرة بمشايخ الطرف الصوفية كما أن للشيخ محمد بن عبدالوهاب مدرسته الخاصة الموافقة لمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، ولو كان هناك تأثر ـ ولو بشكل يسير ـ لذكر الشيخ عثمان في مؤلفاته أو في بعضها اسم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل إنه لم يذكر في مؤلفاته اسم شيخ الإسلام ابن تيمية ولا تلميذه ابن القيم، والمعروف عن الشيخ عثمان أنه يذكر مصادره في جميع مؤلفاته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الملاحق



« ملحق رقم "١" »

١ ـ خارطة تبين انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عهد الأمير محمد بن سعود.

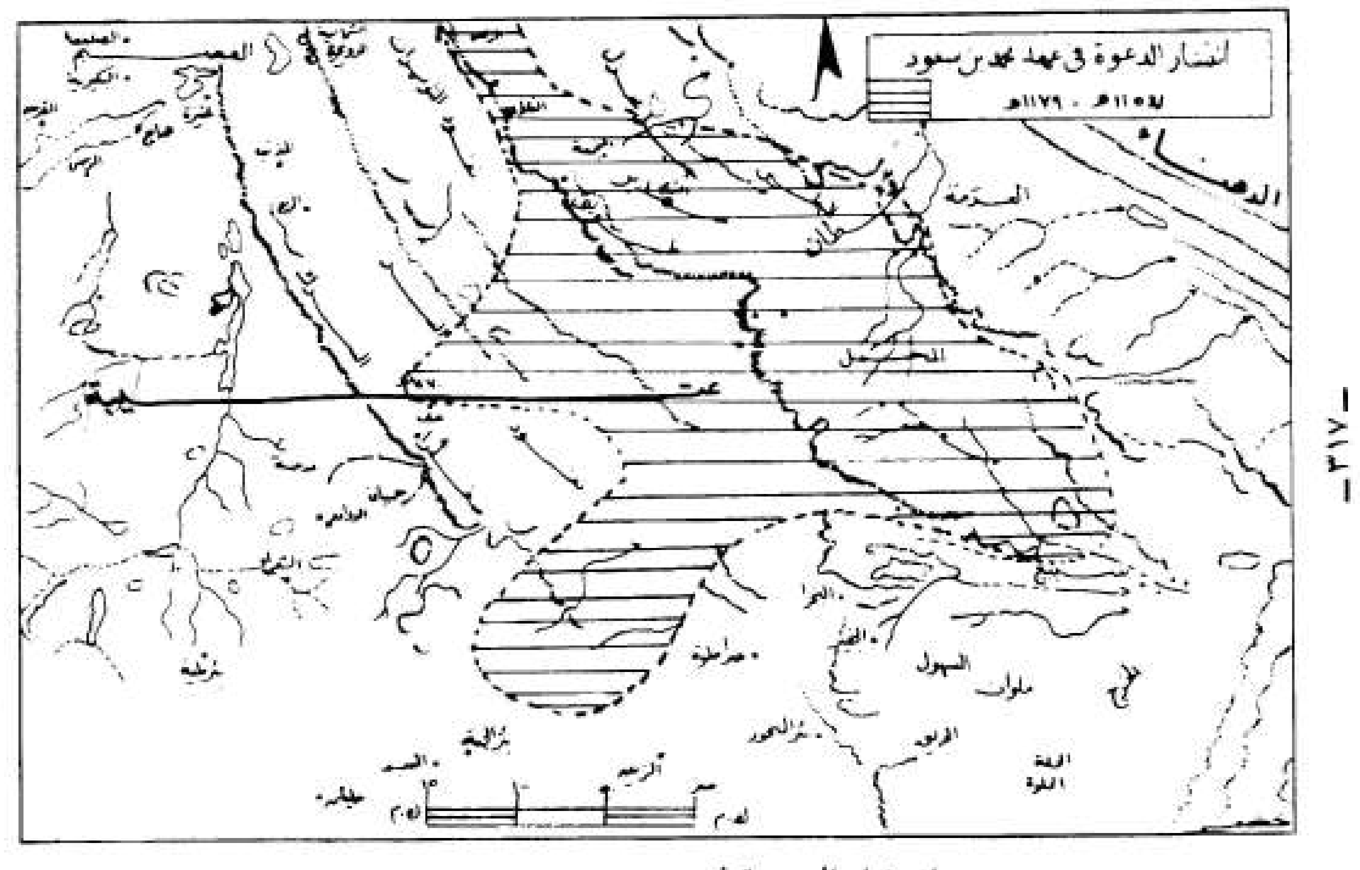
٢ ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير محمد بن سعود.

٣ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود.

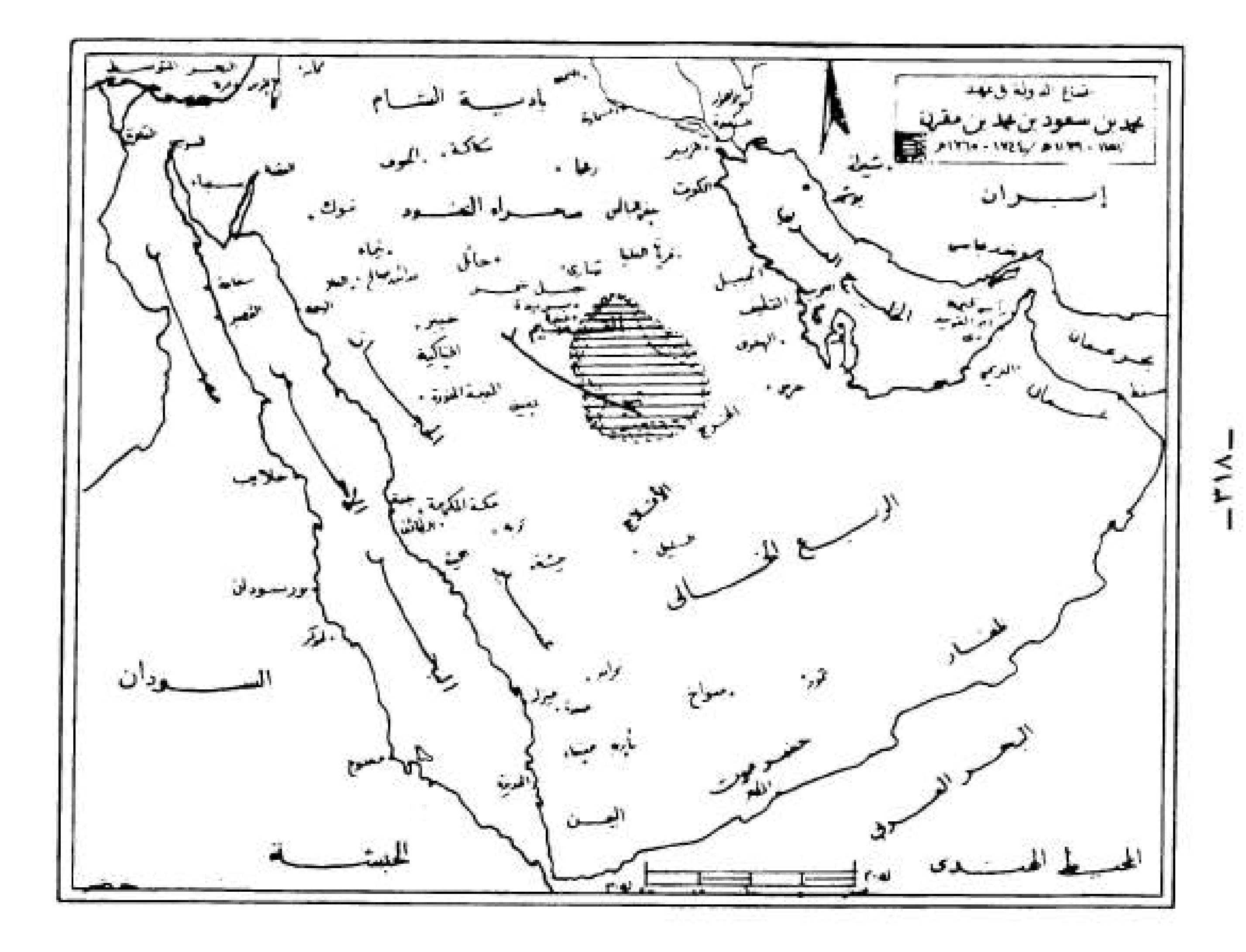
٤ ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير سعود بن عبدالعزيز (سعود الكبير).

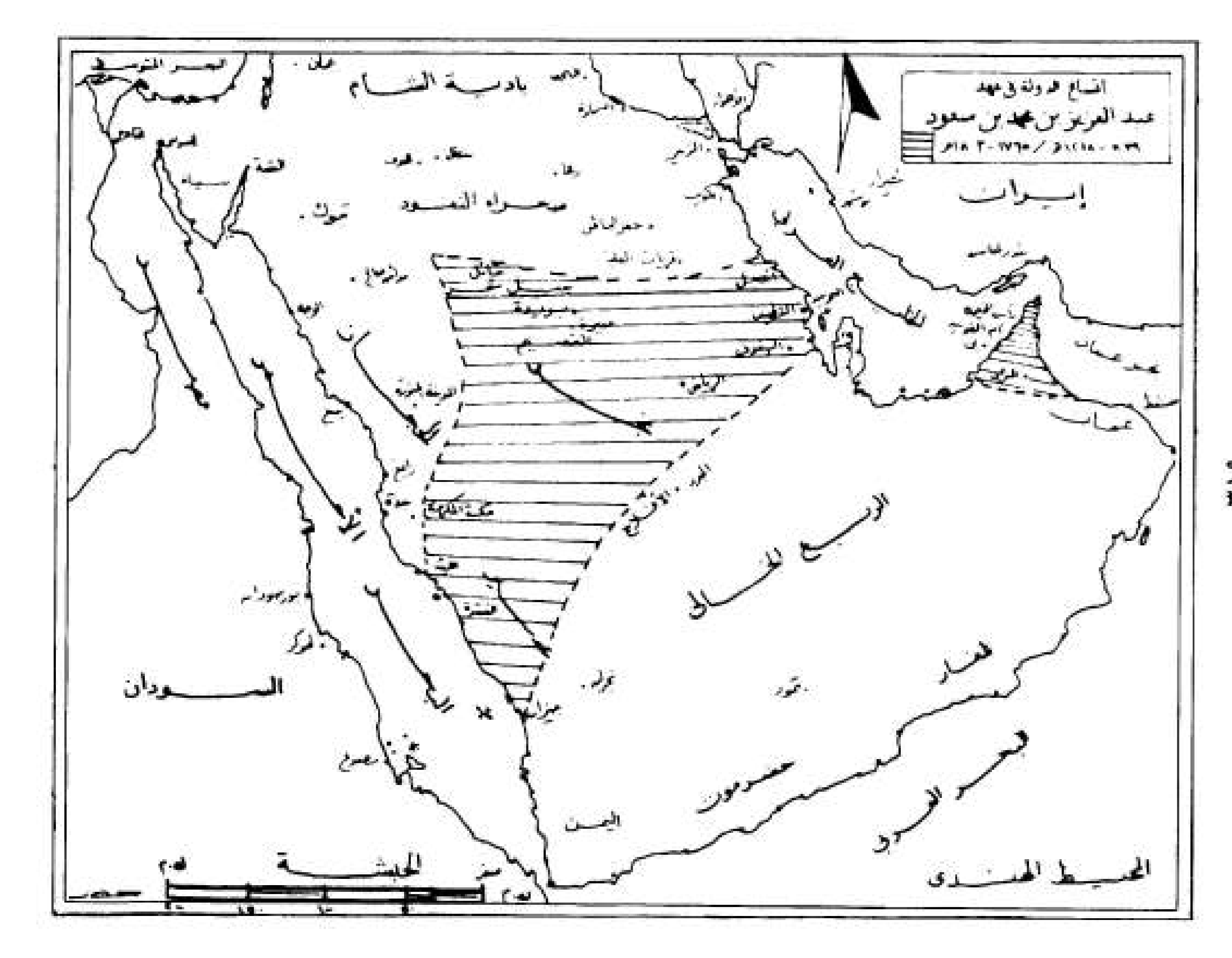
نقلاً عن:

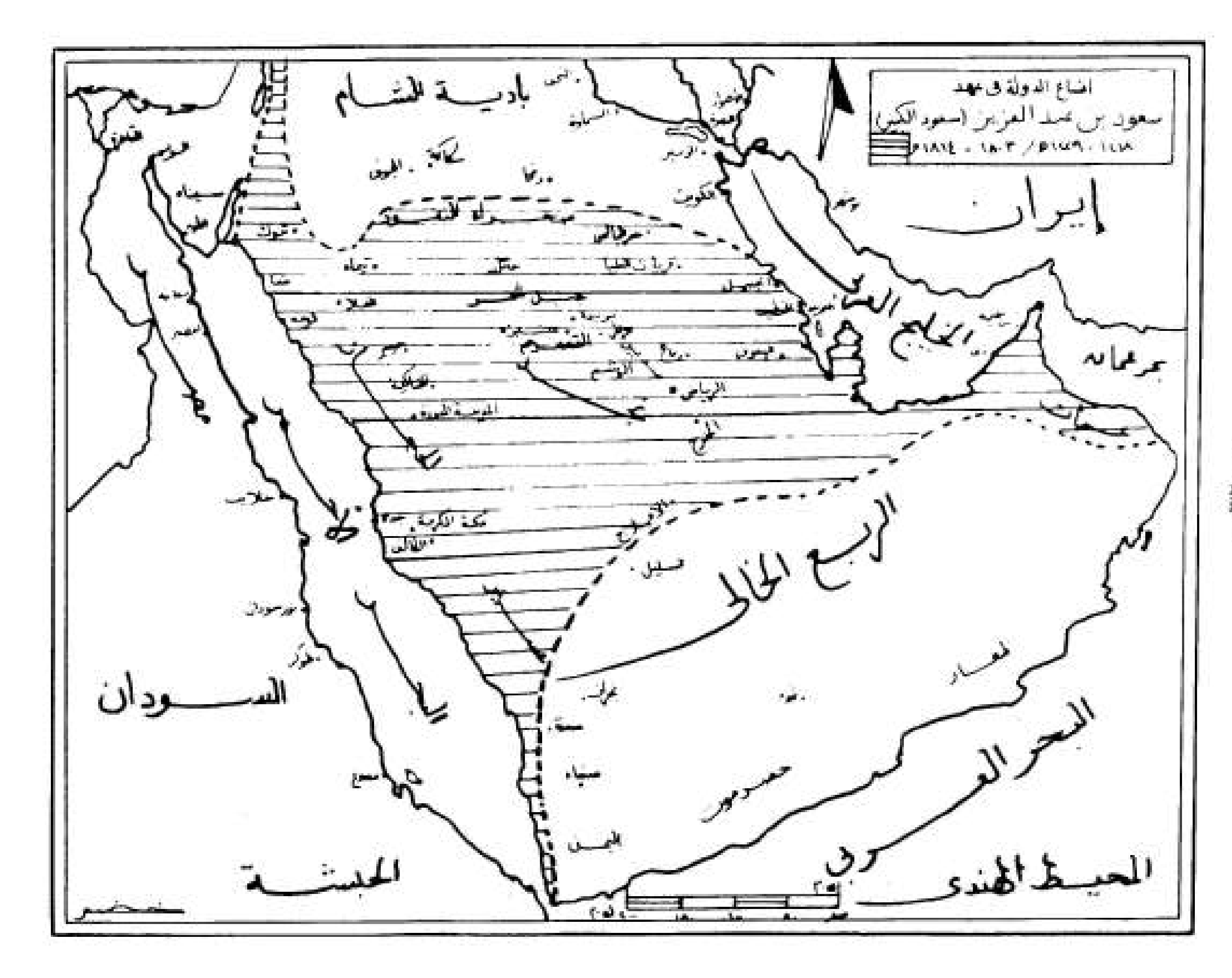
إبراهيم جمعة، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، ص. ص ٢٩، ٣٢، ٥٤، ٧٥.



انتشار الدعوة في عهد محمد بن سعود


بادية الشام
صحراء النفود
الربع الخالي
السودان
الحبشة
إيران
البحر العربي
المحيط الهندي
اليمن
حضرموت
مكة المكرمة
الكويت


اتساع الدولة في عهد
عبد العزيز بن محمد بن سعود
بادية الشام
صحراء النفود
إيران
الربع الخالي
السودان
الحبشة
حضرموت
اليمن
عمان
المحيط الهندي



اتساع الدولة في عهد
سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير)
١٢١٨ - ١٢٢٩هـ / ١٨٠٣ - ١٨١٤م
بادية الشام
إيران
الخليج العربي
بحر عمان
الربع الخالي
البحر العربي
المحيط الهندي
السودان
الحبشة
الكويت
الدرعية
الرياض
مكة المكرمة
المدينة المنورة
حضرموت
عمان
صنعاء

« ملحق رقم "٢" »

١ ـ خارطة تبين انتشار الإسلام في غرب إفريقية .

٢ ـ خارطة تبين إمارات الهوسا في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م .

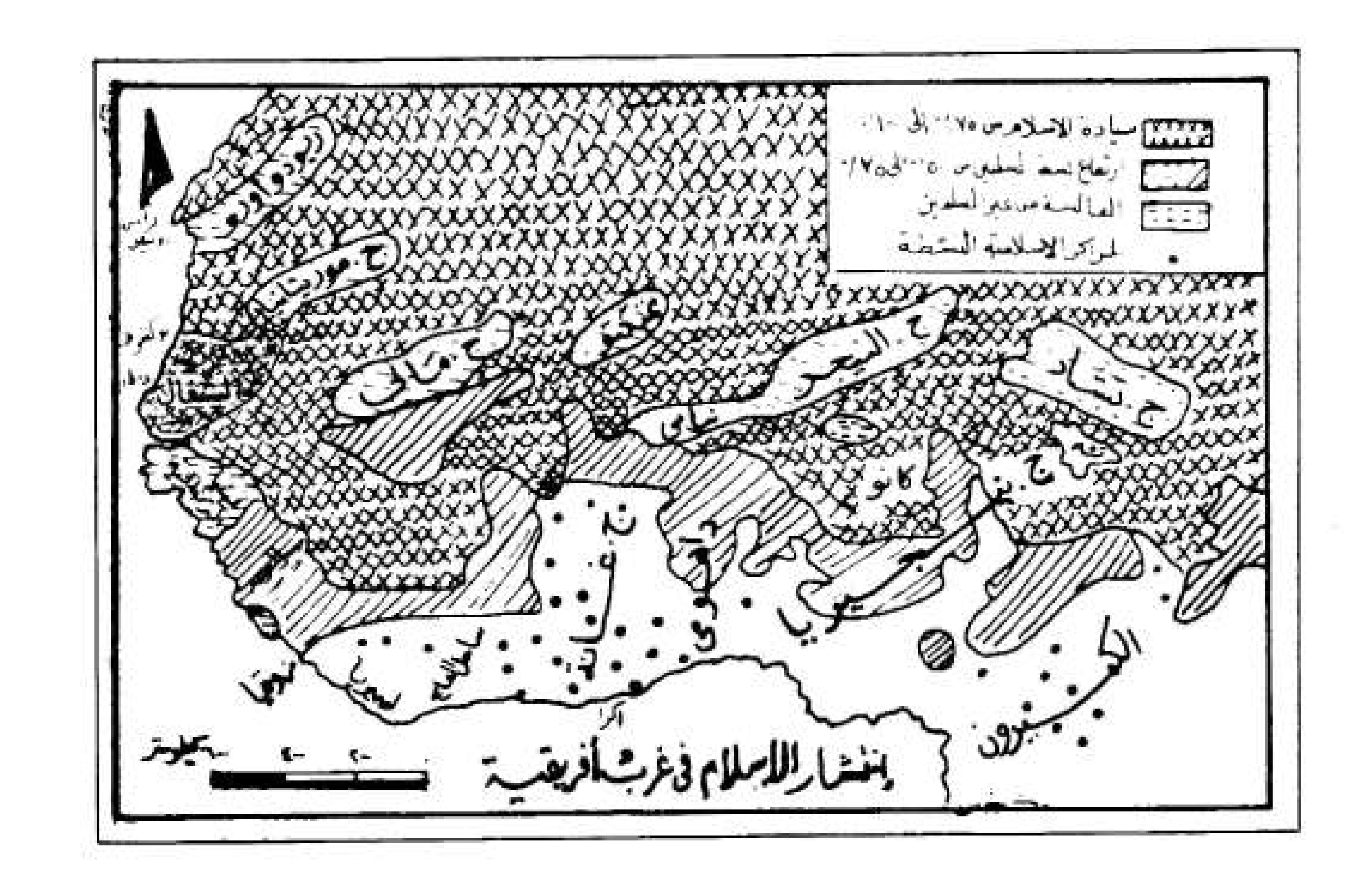
٣ ـ خارطة تبين المعارك الرئيسة ومناطق الهجوم فى جهاد الشيخ عثمان ابن فودي في عامي ١٢١٩هـ - ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤ - ١٨٠٥م .

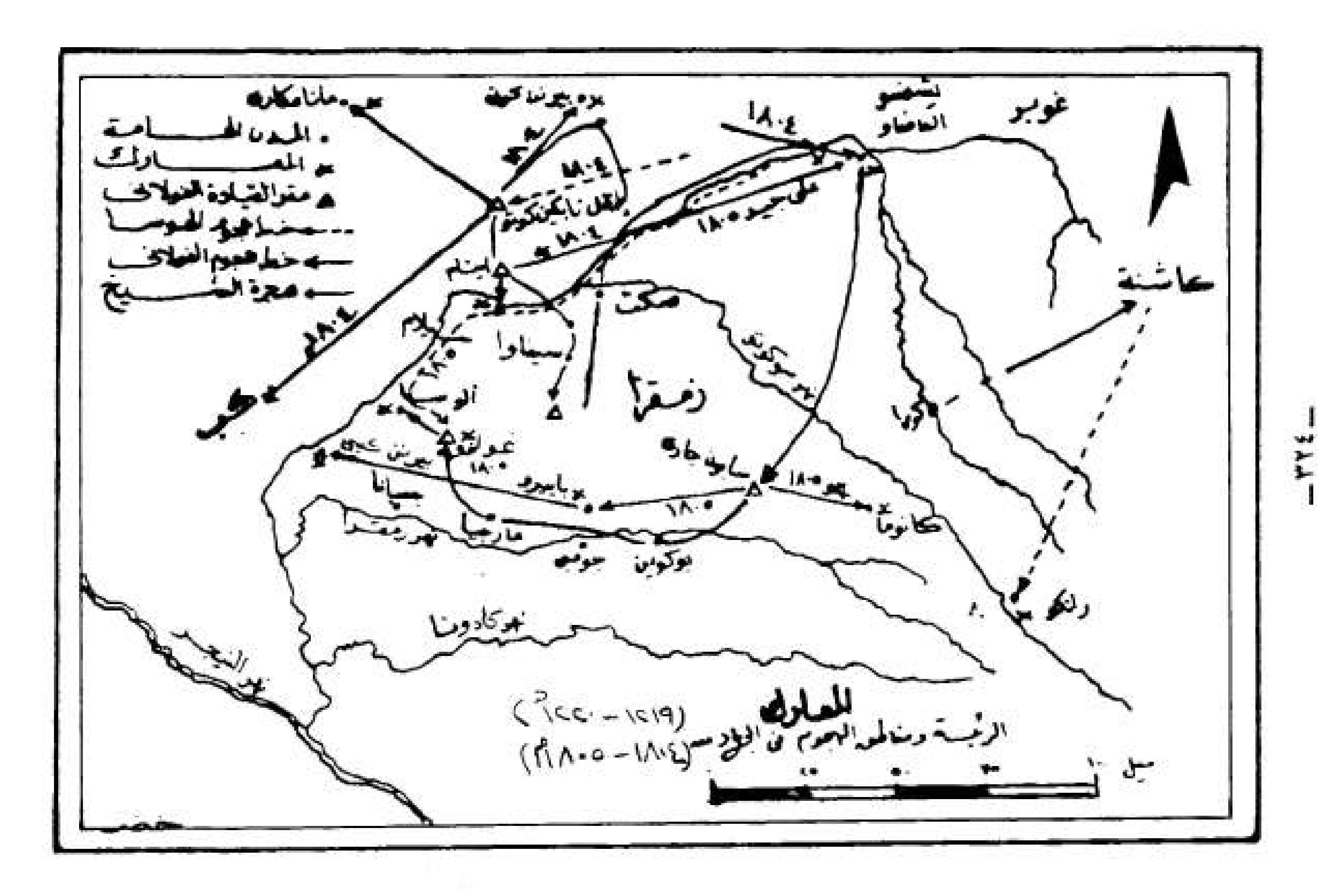
٤- خارطة تبين دولة صكت وأهم المدن بها .

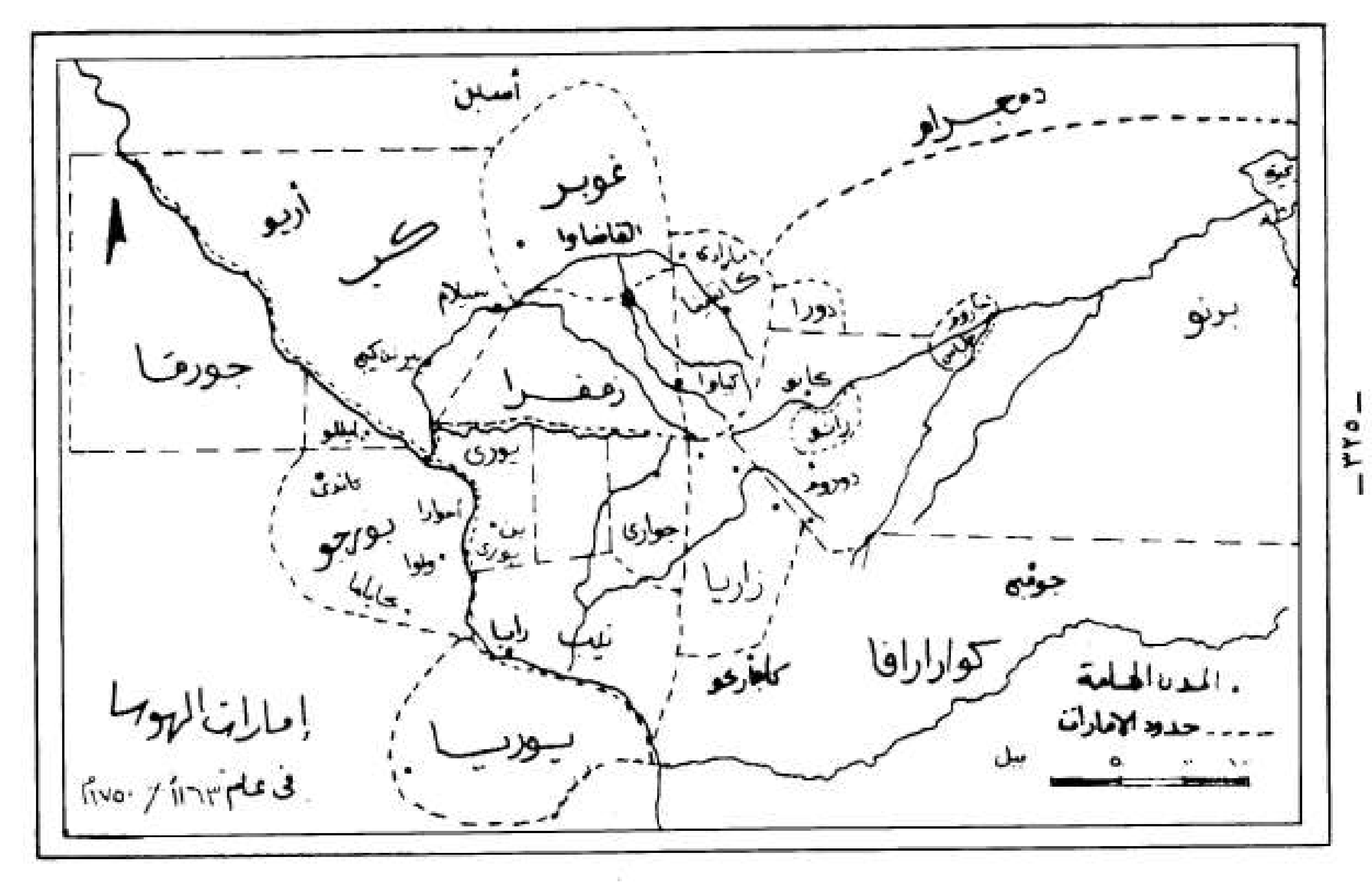
٥- خارطة تبين إمارات دولة صكت .

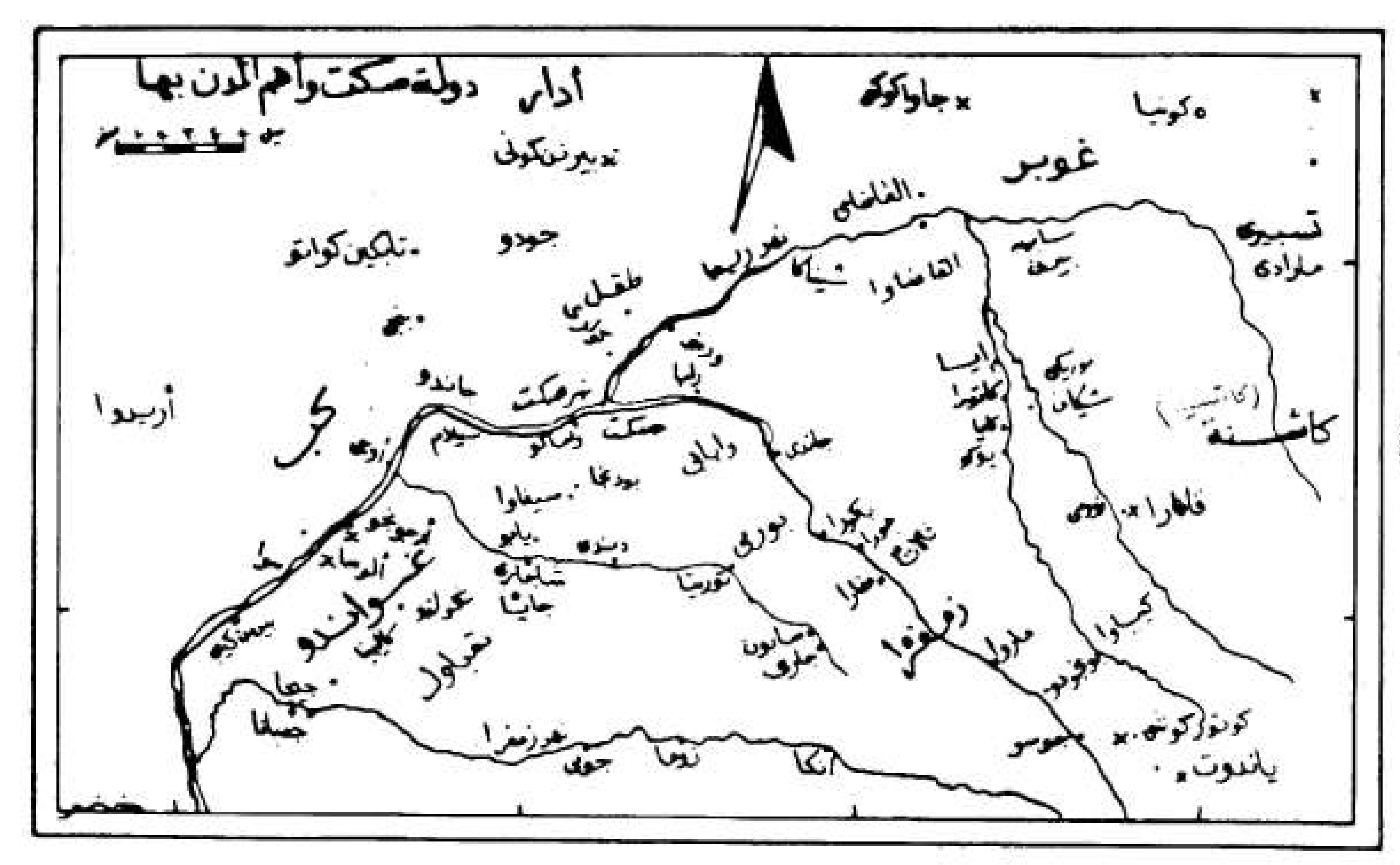
نقلاً عن :

عبدالله عبدالرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص.ص ٣١٠- ٣١٤ .


انتشار الإسلام في غرب أفريقية
ج. موريتانيا
ج. مالي
ج. النيجر
ج. تشاد
نيجيريا
كانو
أكرا
الكاميرون
كيلومتر


المعارك
الرئيسة وخطط الهجوم في الولاية
(١٢١٩-١٢٢٠ﻫ)
(١٨٠٤-١٨٠٥م)
المدن الهامة
المعارك
مقر القيادة الفلاني
خط هجوم الهوسا
خط هجوم الفلاني
هجرة الشيخ
زمفرا
غوبر
كبي
١٨٠٤
١٨٠٥
ميل


إمارات الهوسا
في عام ١١٦٣ / ١٧٥٠م
أسبن
غوبر
زمفرا
بورجو
يوريا
زاريا
جواري
كواراراقا
برنو
دورا
المدن الهامة
حدود الإمارات
ميل



دولة صكت وأهم المدن بها
أدار
غوبر
كاشنة
تسبيري
جاواكوكو
كوبيا
أريدوا
جودو
تلكين كوانو
نهر صكت
صكت
الفلفلي
كونو
يانوت


إمارات الدولة
صكت
(١٨٠٩)
زاريا
(١٨١٠)
أداماوا
(١٨١٠)
زمفرا
برنو
ماندارا
بحيرة تشاد
١ ---- مناطق معادية للدولة
٣ ---- حدود الإمارات



« ملحق رقم "٣" »

١ ـ مقدمة مخطوط « نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان » للشيخ عثمان بن فودي، وفيها بيان أن دين الله يسر، وبيان ما من الله به على الشيخ عثمان في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا.

٢ ـ خاتمة مخطوط نجم الإخوان، وفيها:

ترغيب أهل زمان الشيخ عثمان، وحضهم على الاشتغال بتواليف علماء زمانهم، والتزامهم بأمور أربعة ينور الله بها القلوب، وهي:

١ - الاشتغال بتقوى الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٢ - الاشتغال بقراءة القرآن الكريم.

٣ - الاشتغال بقراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ - الاشتغال بأخبار السلف الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه عثمان
بن محمد بن عثمان بن صالح المعروف بابن فودي غفر الله
له برحمته آمين الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام
وهدانا بسيدنا ومولانا محمد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة
وأزكى السلام أما بعد فهذا التأليف نجم الإخوان يهتدون به بإذن
الله تعالى في أمور الزمان فقد جمعته في مقدمة وسبعة فصول
وخاتمة وهو كتاب نافع لمن عمل عليه في هذا الزمان فعسى
الله تعالى والله تعالى المسؤول أن ينفعهم بجمعه والانتفاع به بمنه
وكرمه والمقدمة أن لا أذكر فيه إلا النصيحة لقائله وأذكر الكتاب
الذي نقلت منه كما هو عادتي في غالب فتاويّ لأن ذلك أقرب
إلى طمأنينة القلوب وكما أن عادتي أيضا في غالب فتاويّ
حض الناس على الخروج من الخلاف لأن العلماء متفقون على الحث
على الخروج من الخلاف وكما أن عادتي أيضا في غالب فتاويّ
التوسعة على الإخوان بذكر أقوال العلماء في مسائل الخلاف
ومقصودي في ذلك إن شاء الله وإن كانت النيات لا تخلو عن خلل
ونقص حفظ نظام الأمة والهروب من مشقة العامة
ومن حملني على تغيير ذلك فالله حسيبه
وختم الباب المخصوصة وبيان ما من الله
يوم تبلى السرائر المفقودة في بيان أن دين الله يسر وبيان ما من الله
به علينا في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا أما بيان أن دين الله
يسر فقد قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقال الله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال
عليه الصلاة

الخلاف فإن أخذ شيء لله في ضياع السلطان وأما استغراق
أولادهم فليس بصواب في بعضهم وأخرى ما كان
لعلمائهم وفي الاختصار وإن رشد جماعة وحاربوا
فكالمرتدين قال الشيخ خليل في هذه الأعمال في بيان
معنى ذلك في استتابة الكبير وجبر الصغير
ويوقف المال ولا تسبى العيال وهو فعل عمر
رضي الله عنه وعليه جماعة العلماء وأئمة
السلف الأفاضل وقال أصبغ كالكفار الحربيين
يسترقون هم وأولادهم وعيالهم ولكن إنه أمر
خالف فيه عمر أبا بكر في أهل الردة من العرب فجعلهم
أبو بكر الناقضين للعهد فقتل الكبار وسبى النساء
والصغار وجرت فيهم المقاسم وفي أموالهم
وهو فعل أبي بكر الصديق رضي الله عنه خاتمة
في ترغيب أهل الزمان وحثهم على الاشتغال بتواليف
علماء زمانهم والتزامهم بها [illegible]
القلوب فأقول وبالله التوفيق فاشتغلوا يا إخواني
بقراءة تواليف علماء زمانكم لأنهم العالمون
بما دار في زمانكم ولأن تواليفهم تحصيل
لما جمع من تواليف العلماء المتقدمين لأن تواليف
كل دور تحصيل تواليف من قبله ولذا اعتنى كل عالم
بالتصنيف في زمانه مع أنه وجد كل ما يحتاج
إليه في الدين في تواليف من قبله وإلى ذلك أشار
محمد بن صالح في نافعة الطلاب
وكل عالم بكل قرن مصنف وغيره [illegible]

فإن قلت لم ذكرت غير أهل زمانك فقط ولم تذكر غيرهم فالجواب
أن الأولى الإمساك عن ذلك ولو كان جائزا حيث يكون التعيين مع أنه
لا يحصل منه طائل غير اشتغال المرء قلبه ولسانه قال الشعراني
في المعاصرات وما استثنى من أهل الزمان فلا شك أنه يجوز إذا لم يدخل
في الغيبة المحرمة حيث لا يكون التعيين وقد استشعر محيي الدين
ابن العربي في رسالة القدس ذلك حيث وقع في مخصوصة زمانه
بنحو ذلك ونزه بما وقع لعائشة رضي الله عنها من ذم أهل زمانها
وغيرها من أهل الدين ولكن الأولى الإمساك عن ذلك ولأنه لا يكاد
يحصل من ذلك طائل غير اشتغال المرء قلبه ولسانه ثم ذكر ما يفضي
من المناكير بالتخصيص فقصد الاحتراز مع الانصاف كما فعل
أبو العباس في النصح الأنفع وفي عمدة المريد نافع مفيد غير أنه
صعب مجتنى الرتبة فقيل المدارك متطلع في العلوم وتجربة تامة
فإن الأمور قليل منها ما يكون أمرا حقيقيا يعم من كل وجه أو يعم في
وأكثرها إضافي اعتباري يختلف باختلاف الأشخاص والمقاصد
والأزمان والأمكنة والأحوال فافهم انتهى كلامه وبانتهائه
انتهت المقدمة وقد آن شروعنا في فصول الكتاب الفصل الأول
في بيان ذم الابتداع مع أنه بغير علم وبيان عدد طرق الشريعة فأقول
وبالله التوفيق فاعلموا يا إخواني أن الابتداع بغير علم مذموم كثيرا
كثيرا وشؤم إلى أن حتى صاحبها يجد الله طريقة من طرق
الشريعة وأن يكون مقصودا فيه من حكم الشارع لأن الشريعة
جاءت على ثلاثمائة وثلاثة عشر طريقة قال عبد الوهاب
الشعراني في البحر المورود في المواثيق والعهود أخذ علينا العهد
أن لا نمكن أحدا من أصحابنا يحضر باب الابتداع بغير علم مع أحد
عن لا بقوله صلى الله عليه وسلم لا ابتداع في الدين إلا جاهد أو من تاب

فظهر عنده من الحق ما غلب عليه من خوف الله تعالى فهو حسن
ومن العلماء من يقول ذكر التشبيه أخوف على العوام من الاشتغال
وترك التفكر في الدين فإن الغالب من العوام إذا أوجب التشبيه أن يترك
التفكر بالكلية انتهى وأما بيان ما من الله تعالى به علينا في هذا الزمان
من جهة الدين والدنيا ليشكر أهل الزمان عليه فيستحقوا المزيد
إذ قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وليعلم كل ذي بصيرة أننا
على قدم النبي المصطفى في جميع أمورنا صلى الله عليه وسلم فاعلموا
يا إخواني أن الله عز وجل قد من علينا في هذا الزمان ببيان ما يعتقد
في دين الله وبيان ما ينبغي في دين الله وإزالة الشبه عن دين الله والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وتخويف الناس فيما يجب لهم على
ترك معاصي الله وتبشير الناس فيما يجب لهم على عبادة الله ثم من
علينا بالهجرة وتأمير أمير المؤمنين واتخاذ آلات الجهاد التي هي
الخيل والنبل والأقواس والرماح والأسياف والأتراس والدروع والمنا
طق والمغافر والألوية ثم من علينا بالجهاد فجاهدوا وتأمير الوزراء
وتأمير أمراء الجيوش وتأمير التجار وتأمير أمراء أمراء البلدان
وتأمير الكتاب وتأمير الرسل إلى الملوك واتخاذ الخدام في الحضرة
وتأمير القضاة وتأمير أمراء الحدود وتأمير أمير الحج فهذه ثلاث
وعشرون خصلة من شعائر الإسلام كلها نشرت بسببه صلى الله
ونحن نحمد الله الذي من علينا بإظهار هذه الشعائر في آخر الزمان
وقال الحسن اليوسي في المحاضرات بعد أن ذكر ذم أهل كل زمان من
الشعراء وغيرهم زمانهم وإشاراتهم إلى أن الناس إلا فاضل
فهم حكموا أن الأرض قد تغيرت فهو محصل من هذا أن الدنيا لم تزل
هكذا وأن الناس هم منذ خلقوا فالأكمل الإنسان

التسليم بالرضى بموقفه فإنه بذلك يفوز بالأدب مع الله تعالى
الحكيم العليم الذي هو رب الأولين والآخرين ويفوز بشكره وحمده
وبراحة قلبه والسلامة من التشوف والتطلع وسلامة الصدر
لأهل زمانه والقيام بحقوقهم واعتقاد الخير في أهله والاقتداء
بهم ورؤية المحاسن الوقتية والتغافل عن المساوي وغير ذلك
واقتدى رضي الله الصحابة الذين هم السابقون فكانوا أكثر ما تحظى
لهم في الأزمنة السالفة من صنوف الشر من عبادة الأوثان
وارتكاب القبائح فيحمدون الله تعالى ويشكرونه وهكذا ينبغي
للمؤمن أن يحظى بما منحه الله تعالى في الخير في زمانه دينا
ودنيا والروحانية بما نجاه تعالى منه من الشرور الحالية والماضية
فيحمد الله تعالى على ذلك ثم قال المؤلف وهو وقد جرى على لساني
في هذا المعنى أبيات فقلت

نحمد الله وقتنا وقت خير . بل من أحسن الأوقات .
غير وقت النبي صلى عليه الله . والصحب والثلاث الخوات .
ديننا سالم من البدع والفتن . وعيشنا بأطيب الأوقات .
ومن انتقصه الآن بخير . فهو فيه من سالف أوقات .

اشكر وقت ونحن نحمد الله عز وجل على ما منحنا من الخيرات في زماننا
وديننا ودنيانا على ما نجانا منه من شرور الحالية والماضية
وقد جرى على لساني في هذا المعنى أبيات

نحمد الله وقتنا وقت نور . وقت كشف الظلام للعالمين .
نحمد الله وقتنا وقت إحيا . السبيل لسيد المرسلين .
نحمد الله وقتنا وقت نصر . وقت خذلان جملة الكافرين .
نحمد الله وقتنا وقت عز . وقت فرح لجملة المسلمين .
نحمد الله حزبنا حزب عبد . القادر الغوث سيد العارفين .

فارقت

عليه الصلاة والسلام إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا
وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة
رواه البخاري في صحيحه وقال عليه الصلاة والسلام يسروا ولا تعسروا
وبشروا ولا تنفروا رواه البخاري في صحيحه وفي تقليد الأقوال
قال عليه الصلاة والسلام اختلاف أمتي رحمة وقال عبد العزيز في الدرر
الملتقطة ومن كرم الله تعالى أن العلماء مختلفون فإن شدد واحد
سهل غيره والدين الله يسر ومن قويت علته وعظمت همته شدد على
نفسه وسهل على الناس وقال رويم من حكم الحكيم أن يوسع على
إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها فإن التوسعة اتباع
العلم والتضييق على نفسك من حكم الورع وقال الشيخ أبو إسحاق
الشاطبي الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها
قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما وإن كان مرجوحا في
النظر أن لا يعترض لهم وأن يجروا على أنهم قلدوه في الزمان
الأول وجرى به العمل فإنهم إن حملوا على غيره لكان في ذلك
تشويش للعامة وفتح لباب الخصام وقال عبد الوهاب الشعراني
في اليواقيت [illegible] علينا الخواص رحمه الله يقول إياكم أن
على الحق فيما وافقوا العلماء فهو كمن [illegible]
من الفقهاء أحدهما ولو لك [illegible]
الأمر قام الكشف وبه وجد بعض الأئمة الذين [illegible]
عن الكتاب والسنة في شيء من أقوال [illegible]
مقتبسة من شعاع نور الشريعة [illegible]
والتقليد وكل ما جاء به الرسل [illegible]
يخالف شيء منه [illegible]

والتشديد في صحة ما انعقد عليه الاجماع وان خالف مذهب مالك
انتهى وقال عبد الوهاب الشعراني ايضا في اليواقيت في محل آخر
وفي البخاري عن محمد بن كعب القرظي التابعي الجليل انه كان يقول
ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم
فحرم على المسلمين من اجل مسألته وكان صلى الله عليه وسلم
يخاف على امته من كثرة تنزل الاحكام ثم قال بعد كلام وسمعت
سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يأمر الناس بفعل شيء
لم يصرح الشارع بالامر به الا نحن يوم القيامة انه لم يكن
رجع شيئا ثم قال ان الامر حجير باهوائهم خلاف ما وضع الشارع
رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثاني يغلب رفع الحرج عن
هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله اقرب منزلة من الذي
يغلب الحرمة اذ الحرمة امر طارئ على الاصل ورفع الحرج
دائر مع الاصل واليه يعود وصار الناس في الخيار بقيود ومن الجنة
حيث شاءوا ومن اعجل اهل الاهواء وان كانوا من غيرهم عن هذه
المسألة ويسخرون اذا انكشف الحجاب فاياك يا اخي وهوى
الطبيعة فان النفس من تكوينه من حيث لا يشعر انتهى فان قلت
هل يقتضي ما ذكرتم من ان هذه المقدمة الرهنانية التسهيل
عدم باب التشديد في الدين لكونه يستلزم لا في الجواب ان ذلك لا
يقتضيه لان باب التشديد معلوم في الدين ايضا وقد ورد فيه
ما لا يحصى من الاحاديث وقد سلك مسلكه من لا يحصى من
العلماء كالشيخ السنوسي في باب التوحيد كالصدر حلولوشي
وابن الحاجب صاحب المختصر في الحوادث من البدع كل متكلم على
حسب نيته وعلى مقتضى اهل زمانه وقال عبد العزيز في النور
ولا تفرقة اذ يفتي العالم بالتشديد وترك التسهيل اذا ما
كلهم

اجمله الدور الذي قبله ولولا ان رفيقة الاجمال الجارية
في العالم ما افترضت الكتب الكتب ولا ترجمت
من لسان الى لسان ولا وضع الناس علم تفسير بعضهم
وشروحه حواشي في اربعها ووضعوا على الحواشي الحواشي
والسر في ذلك ان غير الشارع صلى الله عليه وسلم اذا تكلم
على حكم الشرعي لا يمكنه ان يستحضر جميع ما يرد
على ذلك العبارة من الاسئلة والاحكام حتى يحترز عنها
في تلك العبارة بل يغفل عن اكثر الاحكام بخلاف الشارع
صلى الله عليه وسلم فانه لا يتكلم الا بوحي من ربه
معصوم من الخطا ونقص المعاني وصحة الايراد عليه
وما كان في كتب نسيانا وغير الشارع صلى الله عليه وسلم
بالعكس قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا فعلم ان اهل دون رتبة على من فوقهم
كما ان التابعي من الخلو المشقة على متبوعه من السلف
من علمه بعلم متبوعه وكتاب ثواب ذلك في صحائفه
فعلوم جميع الامة المحمدية وعملهم في صحائف
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير منة عليه
صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين
ومقلديهم الى يوم القيامة باعطائهم الادلة
التي يستخرجون منها الاحكام وليس للمجتهد
منة عليه صلى الله عليه وسلم وانما لهم المنة
على من قلدهم الى يوم القيامة ولولا بيان الشارع
صلى الله عليه وسلم ما اجمل في القرآن باحاديث
الشريفة لبقي القرآن على اجماله الى وقتنا
هذا لما كنا عرفنا نواقض الطهارة

الى ذلك اشار الاوجلي في دليل القائد بقوله
ولم يجد مختصرا يحوزه ، وما به كفاية يحوزه
باعتبار قرن ومكانه مع انه وجد ذلك باعتبار اهل
الزمان المتقدم فاشتغلوا بقراءة متون التواليف اخي عبد
الله لانه مشتغل عن الباب بحفظ ظاهر الشريعة
واشتغلوا بقراءة التواليف ولذا عمهم بل الامة من
مشتغل عن الباب بحفظ علم سياسة بحسب الاشخاص
والمقاصد والازمان والامكنة والاحوال واشتغلوا
ايضا بقراءة متون الفقه لانه مشتغل بحفظ الظاهر
فبين ظاهر الباب ومتون الفقه كلها تفصيل لما اجمل
في الكتاب والسنة قال عبد الوهاب الشعراني
في اليواقيت كان سيدي علي الخواص رحمه
الله يقول انما تم لنا فروع الاصول فيما اجمل في الكتاب
والسنة ولولا ذلك ما قال الله لنبيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل
كان يكتفي بتبليغه للقرءان من غير بيان
فان قيل ما كان من العلوم انه لا يحصل العبارة
المعبرة تابعة الرسل عليهم الصلاة والسلام
في تفصيل ما اجمله تعالى في كتابه
لكن تبعية المجتهدين من اصحاب الرسل عليهم
الصلاة والسلام في تفصيل ما اجملوه في كلا
مهم وهكذا القول في كلام اهل كل دور ومن
بعدهم الى وقتنا هذا يفصل اهل كل دور ما

اجمله

ولا كنا عرفنا انصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات
الصوم والحج ولا مفسداتها ولا كيفية العقود
والمعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك
لولا بيان الائمة المجتهدين ما اجمل في الشريعة لمقلديهم
لبقيت السنة على اجمالها وهكذا الكلام في
كل دور بعدهم الى يوم القيامة فيفصل كل دور ما
اجمل في كلام من قبله ومن زعم ان المجتهدين عرفوا
الاحكام من القرءان بلا واسطة بيان السنة فليات لنا
بمثال ذلك ولعله لا يجده واما تلقي ذلك انه ليس
بتلقي علم من غير دليل ابدا علم منسوخ عنه ابدا كما
ان كشف الاولياء لا يخالف كتاب نبيهم ولا سنته
ابدا فقد يرى انه ياتينا بعلم من طريق كشفه
لا يجوز لنا العمل به الا بعد عرضه على الكتاب
والسنة وموافقته لهما انتهى واما الامور الاربعة
التي من اتى بها انار الله قلبه فاعلم يا اخواني ان من اراد
ان ينور الله قلبه بانوار الايمان فليلزم اربعة امور
الاول الاشتغال بتقوى الله الذي هو امتثال اوامر الله
واجتناب نواهيه والثاني الاشتغال بقراءة القرءان
والثالث الاشتغال بقراءة احاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتفسيره والرابع الاشتغال
باخبار السلف وكل من اشتغل بهذه الامور الاربعة
نور الله قلبه بانوار الايمان ولا يحتاج الى
الاستدلال لكونه معلوما بالضرورة
وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
اللهم ارزقنا الاشتغال بهذه الاربعة
وارزقنا

وارزقنا خاتمة السعادة وهنا انتهى كتاب نجم
الاخوار بحمد الله تعالى وسط النهار يوم الاثنين في
شهر الله الحرام ذي القعدة سنة شكروا من هجرته
صلى الله عليه وسلم وقد التزمت اولا هذا الكتاب ان لا ذ
كر قولا الا نسبته لقائله او اذكر الكتاب الذي نقلته
منه لان ذلك اقرب الى الحيطة تمينة النجوس وقد بذلت
جهدي في ذلك وفي همته بحمد الله وحسن عونه
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله وافضل الصلاة واتم التسليم على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ورضي
الله تعالى عن السادات التابعين والعلماء العاملين
والائمة الاربعة المجتهدين ومقلديهم الى يوم الدين

الحمد لله رب العالمين
تم الخط اللهم صل على
سيدنا محمد وسلم
اللهم اغفر لي ولوالدي
ولجميع المسلمين
والمسلمات والمومنين
والمومنات الاحياء
منهم والاموات
انك مجيب
دعوة
آمين

ملحق رقم (٤)

رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أهل المغرب، يبين لهم فيها ماعمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله عز وجل، بالتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لايقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى .... الخ، وكما يبين لهم فيها الشفاعة، وأنها حق لا تطلب في الدنيا إلا من الله تعالى.

كما يبين لهم أيضاً حقيقة دعوته، وسبب قتاله لأهل نجد وغيرهم.



الرسالة السابعة عشرة:

توجد في:

الدرر السنية ١ ص ٥٦ - ٥٩

وله أيضاً قدس الله روحه ونور ضريحه رسالة إلى أهل المغرب هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ولن يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد.

فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٤] فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع

---

(١) يوسف آية: ١٠٨.

(٢) آل عمران آية: ٣١.

(٣) الحشر آية: ٧.

(٤) المائدة آية: ٣.

والتفرق والاختلاف، فقال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي يارسول الله؟

قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي.

(إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوداث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه الى الموتى، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لايقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لاتصلح إلا لله).

وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولايقبل من العمل إلا ماكان خالصاً، كما قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ

---

(١) الأعراف آية:٣.

(٢) الأنعام آية: ١٥٣.

اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1] فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[3].

فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[5]. وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[6] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[7]، فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى، كما

---

(١) الزمر آية: ٣،٢.

(٢) يونس آية: ١٨.

(٣) الزمر آية: ٤٤.

(٤) البقرة آية: ٢٥٥.

(٥) طه آية: ١٠٩.

(٦) الأنبياء آية: ٢٨.

(٧) سبأ آية: ٢٢، ٢٣.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، وقال: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

فإذا كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم، فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع إبتداء بل: «يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة»، فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم.

وأما ماصدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها، والسرج، والصلاة عندها واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منها كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لاتقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان»، وهو صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن لايدع قبراً مشرفاً إلا سواه، ولاتمثال إلا طمسه، ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على

---

(١) الجن آية: ١٨.

(٢) يونس آية: ١٠٦.

القبور، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد مانقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾[1]. فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[2]، وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** ﴾[3]. فهذا هو الذي نعتقد وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ماعلينا.

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وصلى الله على محمد.

---

(١) الأنفال آية: ٣٩.

(٢) الحديد آية: ٢٥.

(٣) الحج آية: ٤١.

«ملحق رقم ٥»

رسالة من الشيخ عثمان بن فودي إلى الشيخ الحاج محمد الأمين الكانمي، وهي جواب من الشيخ عثمان على رسالة قد بعثها إليه الحاج محمد الأمين الكانمي، وهذه الرسالة تدور حول خمسة موضوعات، هي:

١- سبب القتال الذي وقع بين الشيخ عثمان وبين سلاطين بلاد الهوسا.

٢- سبب القتال الذي وقع بين الشيخ عثمان وبين سلطان برنو وأهله.

٣- إجابة الشيخ عثمان بأنه لا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب.

٤- إجابة الشيخ عثمان بأنه يكفر من يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر وأقواله.

٥- تبيين الشيخ عثمان حكم إقامة الحاج محمد الأمين الكانمي في بلد برنو.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من
لا نبي بعده [illegible] محمد [illegible]
[illegible] الأمير [illegible]
عليه وعلى من هناك من المسلمين وسبب الوثيقة أعلامك خمسة
أمور [illegible] من جواب [illegible] وملك [illegible]
[illegible] سبب القتال الذي وقع بيننا وبين [illegible]
[illegible] والثالث أعلامك [illegible]
الرابع أعلامك [illegible] أعمال الإسلام بأعمال [illegible]
[illegible] أعلامك [illegible] بلد [illegible]
سبب القتال الذي [illegible] بيننا وبين سلاطين [illegible]
ما [illegible] عبد العزيز [illegible] كتب لنا سبب القتال
الذي وقع بيننا وبين سلاطين [illegible]
عليهم [illegible] بكتب [illegible]
[illegible] بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد [illegible]
المكتوب [illegible] وسبب [illegible]
وقع بيننا وبين سلاطين [illegible]
[illegible]
المؤمنين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الامر [illegible] ويتقلون [illegible] من [illegible] واموال [illegible] من

المسلمين وقتلوا بعضهم ثم [illegible] لا طاقة لنا [illegible]

الينا من جهة مشرقنا [illegible] يقتلون [illegible] ويسبون و

يأسرون وربما ضعف امر ناصر لدين الله [illegible]

له [illegible] الامر [illegible] حمل السلاح [illegible]

[illegible] بالسلطان [illegible] امر الناصر [illegible] انه لا يجوز لك

للمسلمين ان يكونوا [illegible] لتلك الضرورة [illegible]

الايام [illegible] والصبيان [illegible]

[illegible] والاموال [illegible]

اجابا [illegible] الى [illegible] ورجعنا وهم [illegible]

[illegible] بالقتال [illegible] ونحن [illegible]

رجالهم وسبينا نساءهم واولادهم [illegible]

[illegible] سلطان [illegible] ليجمع لنا جموعا [illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان

[illegible] سلطان [illegible] علينا من جهة المشرق

[illegible] وقتلناهم وقتلنا سلطانهم

[illegible] سلطانهم [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] جميع الكفار

[illegible] سلطان [illegible] المسلمين

[illegible] بلاده [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والحمد لله رب العالمين والسلام

[illegible]

[illegible]

وبانه الذي بيده الدولة ويدبرها [illegible] عليه ولا يتعرض للسلاطين
الا مثل خطوة جماعته ويشتهر باسم الجماعة من جوهر وكذا
[illegible] بلادهم ويتنقلون اليه وكان [illegible] من جنود
السلاطين [illegible] ويتنقل اليهم من ماله ويشترك [illegible] فكان
ذلك مما يقيد السلاطين حتى يقع بينهم وبين سلاطينهم [illegible]
هو معروف وهو لا يتعرض لهم بل ينفع البر من ذلك ويقول [illegible]
[illegible] وسلطانه [illegible] بينهما [illegible] ذلك
لا يزيد الا عظما [illegible] السلاطين [illegible] اليهم
والظاهر المواصلة بينه وبينهم ومع ذلك ما يرون [illegible]
الجماعة [illegible] عليهم [illegible]
[illegible] الجماعة [illegible]
[illegible]
[illegible] السلطان [illegible]
[illegible] احواله والاموال [illegible]
[illegible] لا يريدون [illegible]
[illegible] بعد ذلك [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] فاجبروه [illegible]
[illegible]
[illegible] بينهم [illegible]
[illegible] ذلك السلطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بلادهم
[illegible]
[illegible]
[illegible] سلطان [illegible] السلاطين [illegible]

[illegible] الا قربنا الى الله [illegible] فلعله [illegible] من الجهلاء [illegible]
وجه الدين [illegible] الاسلام [illegible]
او [illegible] لامراة
بالتعلق [illegible] من النظر [illegible]
على جلوسهم [illegible] وجلسوا [illegible]
[illegible] ثم يضربون [illegible] بالوسادة [illegible]
قال [illegible] باسم الله وصلى على النبي القبلة [illegible]
[illegible]
الارواح [illegible]
لا نكفر احدا من اهل القبلة وهو كذلك لاجماع اهل
السنة على عدم التكفير بالمعاصي وفي ترجمة صحيح
البخاري باب المعاصي من امور الجاهلية ولا يكفر صاحبها
[illegible] الا بالشرك [illegible]
[illegible] الرسالة [illegible] لا [illegible] احد [illegible] من اهل القبلة
[illegible] لا نكفر [illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] وهو كذلك لاجماع اهل السنة
على تكفيره [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العلوم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] عليه الصلاة والسلام
[illegible]

ومن بيننا وبين سلطان [illegible] فقاتلناهم

[illegible] يجب قتالهم

[illegible] بالتكفير [illegible]

[illegible] القوم [illegible] حقيقة [illegible]

[illegible] علينا [illegible]

[illegible] يوجب الحكم [illegible]

[illegible] الاستسلام التحكيم [illegible] اصحاب [illegible]

واحر

في اصول الاسلام [illegible] الايمان [illegible]

[illegible] كثير [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] كانوا يؤمنون بالله واليوم [illegible]

[illegible] كثير [illegible]

[illegible] الايمان [illegible] لزم [illegible]

[illegible] منهم [illegible]

لا [illegible] احد منهم [illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible] بالسيف [illegible]

[illegible] المسلمين [illegible]

[illegible]

[illegible] الايمان [illegible]

[illegible] الايمان [illegible]

[illegible] العلماء عن التكفير بواحدة [illegible]

[illegible] باسم من اسماء الله تعالى [illegible]

[illegible] من شانه [illegible]

[illegible] الله

[illegible]

[illegible]

ان الدين [illegible] الاخذ [illegible] [illegible] وقوله عليه الصلاة
والسلام [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]
[illegible] اختار [illegible] [illegible] الجاهلية ومن قوله
عليه الصلاة والسلام [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible] العرب [illegible] فقتال [illegible]
[illegible] ان علمنا [illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible]
بيننا وبينهم [illegible] الا ان يرجعوا الى الاسلام
[illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] القتال [illegible] المسلم ولا [illegible]
[illegible] المسلمين [illegible]
[illegible]
[illegible] المسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ام تعلم انهم [illegible]
[illegible]
[illegible] مسلمون
[illegible] بينهم ولم [illegible]
[illegible] وكانوا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
علينا [illegible]

«المصادر والمراجع»

أولاً: المخطوطات:

- أحمد بن محمد ثنب بن أحمد بن مجيل، ملحق كنز الأولاد، غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كانو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- عبدالقادر بن محمد البخاري، تبشير الإخوان بأخبار الخلفاء في السودان، مجلد رقم (٤١)، مظروف رقم (٧)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- عبدالله بن صالح المطوع، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، رقم (٥, ٩٥٣)، دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.
- عبدالله بن فودي، ضياء السلطان وغيره من الإخوان، مجموعة صكت مجلد رقم (١)، مظروف رقم (٢)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- عثمان بن فودي، أصول الولاية وشروطها، مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٥)، مظروف رقم (٩)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمد وبيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- عثمان بن فودي، وثيقة الجواب على سؤال دليل منع خروج النساء والموالات وزيادة البيان على ذلك، سجل رقم (٨)، مظروف رقم (٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.

- عثمان بن فودي، إرشاد الأمة إلى تيسير الملة، سجل رقم (٨)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله في أمور الزمان، مجموعة صكت، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، اتباع السنة وترك البدعة، مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٤)، مظروف رقم (٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، نور الألباب، مجموعة متحف جس، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط في أصول الدين هو أصل النجاة يوم الدين، مجموعة كنسديل، مجلد رقم (٦) مظروف رقم (١٨)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، شفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل بن عمر، مجموعة متحف جس، مجلد رقم (١)، مظروف رقم (١٣)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، مجلد رقم (٧١)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل، مجلد رقم (١٢٢)، مظروف رقم (٧)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.

- عثمان بن فودي، مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان ومن كان بلدهم كبلدهم من الإخوان في جميع الأقطار، مجلد رقم (٢)، مظروف رقم (١)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، رسالة إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي، مجلد رقم (٨٤)، مظروف رقم (٢)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن محمد فودي، كتاب الورد، مجلد رقم (٥١)، غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة نايرو، كانو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- عثمان بن فودي، إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان، مجلد رقم (٤)، مظروف رقم (٢، ٣، ٤، ٥)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- عثمان بن فودي، أسانيد الفقير المعترف بالعجز والتقصير، رقم (١٤٠) غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كانو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- محمد الأمين الكانمي، رسالة إلى الشيخ عثمان بن فودي، مجموعة برنو، مجلد رقم (٤)، مظروف رقم (٩٤)، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا جامعة أحمدو بيللو، زاريا، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.
- محمد ثنب بن أحمد بن مجيل، كنز الأولاد، غرفة البحوث للدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة بايرو، كانو، جمهورية نيجيريا الفيدرالية.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

- إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان، ط. بدون، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، بدون تاريخ.

- إبراهيم بن عبدالعزيز المعارك، بريدة ماضي مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق، ط(١)، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٧هـ.

- أحمد ابراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، ط (١)، دار المريخ، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط بدون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

- أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، ط (١)، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٥هـ.

- أحمد سويلم العمري، الإفريقيون والعرب، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.

- أحمد طاهر، أفريقيا فصول من الماضي والحاضر، ط. بدون، دار المعارف، مصر بدون تاريخ.

- أحمد عبدالغفور عطار، محمد بن عبدالوهاب، ط (٣)، مكتبة العرفان، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- أحمد نجم الدين فليجه، إفريقية دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية، ط بدون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية١٩٧٨م.
- آدم عبدالله الألوري، الإسلام اليوم وغداً في نيجيريا، ط (١)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- آدم عبدالله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت١٩٦٥م.
- اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر جـ(٢)، ط بدون، دار المريخ، الرياض١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- آمنه محمد نصير علي، محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة الأزهر، القاهرة١٩٨٧م.
- أنور عبدالغني العقاد، الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، ط بدون، دار المريخ، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ(١)، ط (٢)، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٤م.
- سير توماس. و. آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، مصر ١٩٧٠م، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين.
- جورج انطونيوس، يقظة العرب، ط بدون، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ترجمة على حيدر الركابي.

- جوهان لود فييج بوركهارت، مواد لتاريخ الوهابيين، ط (١) شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ترجمة عبدالله بن صالح العثيمين.
- جيز. هـ. ويلز وآخرون، جغرافية العالم الإقليمية، جـ(٢)، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ترجمة محمد حامد الطائي وآخرين.
- حافظ وهبه، خمسون عاماً في جزيرة العرب، ط (١)، شركة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠هـ.
- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط (٣)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.
- حسن عيسى عبدالظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ط: بدون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- حسن خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة في عصر الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، ط بدون، دار الكتب، بيروت بدون تاريخ.
- حسين بن غنام، تاريخ نجد المسمى «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، جـ(١)، (٢)، ط (٣)، شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض ١٤٠٣هـ، تحقيق ناصر الدين الأسد.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلدات (١، ٣، ٤، ٦)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
- دنيس بولم، الحضارات الإفريقية، ط بدون، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٤م، ترجمة علي شاهين.
- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، جـ(٤)، ط بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- سليمان بن سحمان، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، ط بدون، مطبعة المنار، مصر ١٣٤٠هـ.
- سليمان بن سحمان، الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، مجموع خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها، ط (٢)، مطبعة المنار، مصر ١٣٤٤هـ.
- الشيخ الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط (١)، دار المجمع العلمي، جدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- شيخو أحمد سعيد بلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط بدون تاريخ.
- صلاح الدين علي الشامي وفؤاد محمد الصقار، جغرافية الوطن العربي، الكبير، ط (٣)، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ.

- عبدالرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، جـ(١)، ط(١)، دار المريخ، الرياض١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط (١)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- عبدالرحمن بن عبدالله الشيخ، حيازة الأرض في نيجيريا في القرن التاسع عشر، ط (١)، دار العلوم، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط(٢) معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
- عبدالعزيز سيد الأهل، داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب، ط (٢)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨م.
- عبدالقادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسبقيين، ط بدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.
- عبد المتعال الصعيدي، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ط بدون مكتبة الآداب ومطبعتها القاهرة بدون تاريخ.
- عبد الله عبد الرازق ابراهيم الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا ط بدون مكتبة الانجلو المصرية بدون تاريخ.
- عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، علماء نجد خلال ستة

قرون، جـ: (١)، ط (١)، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

- عبدالله بن صالح العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ط (١)، مطابع دار الهلال للأوفست، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- عبدالله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ط: (١) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- عبدالله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ (١)، ط: (١) ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- عبدالله بن صالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ط بدون، دار العلوم، الرياض بدون تاريخ.

- عبدالله بن فودي، ايداع النسوخ من أخذت من الشيوخ، ط بدون، مكتب نولا، نيجيريا ١٣٧٧هـ/ ١٩٨٥م.

- عبدالله بن فودي، ضياء السياسات وفتاوي النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل، تحقيق وتقديم أحمد محمد كاني، رسالة ماجستير من قسم التاريخ بجامعة أحمد وبيللو، زاريا، نيجيريا، بدون تاريخ.

- عبدالله فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، ط بدون، المكتبة الأهلية، بيروت، بدون تاريخ، ترجمة عمر الديرواي.

- عبدالله القصيمي، الثورة الوهابية، ط (١)، المطبعة الرحمانية،

مصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

- عبدالله بن محمد بن خميس، الدرعية العاصمة الأولى، ط (١)، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- عثمان سيد حمد إسماعيل البيلي، فهرست المخطوطات العربية، مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا، ط (١)، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٨٤م.

- عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ(١)، (٢)، ط (٤)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ.

- عثمان بن فودي، تمييز أهل السنة أنصار الرحمن بين نفاق الدين وفساق الدين، طبع على نفقة الحاج على دوسا، بدون مكان وتاريخ نشر.

- عثمان بن فودي. إحياء السنة وإخماد البدعة، ط (٢)، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة بدون تاريخ.

- عثمان بن فودي، بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية، طبع على نفقة الحاج على دوسا، بدون مكان وتاريخ النشر.

- عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد وبيان وجوب نصب الإمام وإقامةالجهاد، ط بدون، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، تحقيق فتحي حسن المصري.

- عثمان بن فودي، وثيقة الإخوان لتبيين دليلات وجوب اتباع

الكتاب والسنة والإجماع ودليل اجتناب البدعة لمن يدين بدين الإسلام، ط بدون، طبع شركة قاسكيا، زاريا، بدون تاريخ.

- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ (١)، ط بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تاريخ.
- فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقية دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، ط بدون، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٣م.
- فيج. جي. دي، تاريخ غرب إفريقيا، ط (١)، دار المعارف، مصر ١٩٨٣م، ترجمة السيد يوسف نصر.
- قدري قلعجي، الخليج العربي، ط بدون، دار الكاتب العربي، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط(١٠)، دار العلم للملايين، بيوت ١٩٨٤م، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي.
- مالك بن أنس، الموطأ، جـ (١)، ط بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، جـ (١)، ط (٢)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- محمد بيللو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ط بدون، شركة لوزاك، لندن ١٩٥٧م.
- محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، ط (١)،

مطبعة ومكتبه مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

- محمد جلال عباس، المد الإسلامي في إفريقيا، ط (١)، المختار الإسلامي، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري، تاريخ ابن ربيعة، ط بدون، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل.

- محمد رشيد رضا، الوهابيون والحجاز، ط (١)، مطبعة المنار، مصر ١٣٤٤هـ.

- محمد رياض وكوثر عبدالرسول، إفريقيا دراسة لمقومات القارة، ط (٢)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣م.

- محمد عبدالغني سعودي، إفريقية دراسة شخصية الأقاليم، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر بدون تاريخ.

- محمد عبدالغني سعودي، الوطن العربي دراسة لملامحه الجغرافية، ط بدون، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

- محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية الأرض والناس، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر بدون تاريخ.

- محمد عبدالفتاح إبراهيم، لوحات حية من إفريقية المعاصرة، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م.

- محمد عبدالفتاح إبراهيم، إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا، ط بدون، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر بدون تاريخ.

- محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط(١)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، ط بدون، دار البخاري للنشر والتوزيع، بريدة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ط (٢)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م مكتبة المعارف بالرياض ومكتبة الأحساء الأهلية في الأحساء.
- محمد بن عبدالوهاب، مؤلفاته، القسم الأول، العقيدة والآداب الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرياض، بدون تاريخ.
- محمد بن عبدالوهاب، مؤلفاته، القسم الثاني، الفقه، المجلد الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب الرياض، بدون تاريخ.
- محمد بن عبدالوهاب، القسم الخاص، الرسائل الشخصية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرياض بون تاريخ.
- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، المجلد الرابع، ط (٢)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط بدون، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط (١)، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- محمود سمير أحمد محمد التابعي، عثمان بن فودي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، القاهرة ١٩٧٦م.
- محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، ط بدون، المطبعة السلفية، مصر ١٣٤٣هـ.
- مسعود الندوي، محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، ط بدون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ترجمة عبدالعليم عبدالعظيم البستوي.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، المجلدان الثاني، الثالث، ط بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ط بدون، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، تحقيق عبدالله بن صالح العثيمين.
- مؤلف مجهول، لمع الشباب في سيرة الشيخ محمد عبدالوهاب ط بدون، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، بدون تاريخ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ.
- ناصر بن عبدالله القفاري وناصر بن عبدالكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط١، دار الصبيعي للنشر، الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- يسرى عبدالرزاق الجوهري، العالم الإسلامي في آسيا وإفريقية، ط بدون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٥م.
- يسرى عبدالرزاق الجوهري، إفريقية الإسلامية، ط بدون، دار المعارف، مصر ١٩٨٠م.
- يسرى عبدالرزاق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، ط بدون، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون تاريخ.

ثالثاً: المقالات:

- إسماعيل محمد الأنصاري، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ج (١)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- عبدالحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في الفكر الإسلامي الإصلاحي في الجزائر مجلة كلية العلوم الاجتماعية في الرياض، العدد الخامس ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- عبدالفتاح الغنيمي، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في غرب إفريقية، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن بعدالوهاب، ج (٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- عبدالله بن صالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر الهجري، حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، العدد الرابع، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٩٥هـ/ ديسمبر ١٩٧٥م، وكذلك العدد الثالث، السنة الثالثة شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م.
- عثمان سيد أحمد إسماعيل، حركتا الشيخ عثمان بن فودي

ومحمد أحمد المهدي، مجلة دراسات إفريقية، المركز الأفريقي في الخرطوم، العدد الثاني، شعبان ١٤٠٦هـ/ إبريل ١٩٨٦م.
- عمر جاه، تقويم جديد لجهاد الحاج عمر الفوتي، مجلة كلية العلوم الاجتماعية في الرياض، العدد السادس، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- محمد البهي، مقدمة كتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة" للشيخ عثمان بن فودي، ط (٢)، المكتبة الإفريقية للطبع والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- محمد السيد غلاب، البلدان الإسلامية في قارة إفريقية، بحث ضمن المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، صفر ١٣٩٩هـ/ يناير ١٩٧٩، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.
- محمد محمود الصياد، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز في الرياض، العدد الثالث، السنة الثالثة، شوال ١٣٩٧هـ/ سبتمبر ١٩٧٧م.
- مصطفى مسعد، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب إفريقيا، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ج (٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- وهبة الزحيلي، تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ج(٢)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

_ Al _ Haff. M. A, the Meaning of the Sokoto jihad, studies in the History of the Sokete Caliphate, teh Sokete Seminar papers. Published by the Department of History Ahmadu Bello University, Zaria, For teh Sokote state History Bureau.

_ Fodiyo. A.M, Tazyin Alwaraqat, Edited, with a translation and interedurctory study of the author's life and times, by m. Hiskett, Ibadan University Press 1963.

_ Gwarze, Hassan Ibrahim, the life and Teachings of Al-maghili with particular reference to the Saharan jewish Community, thesis Submitted for the Degree of Doctor of philosophy, London, School of Oriental and African studies, September 1972.

_ Hiskett. M, An Islamic tradition of reform in the Western Sudan from the Sixteenth te Eighteenth Century, Bull. Schori. Afr. Stud. XXV. 1962.

_ Kani. A.M. The Political and Social basis of the Sokoto jihad, Seminar papers of the Department of History, Ahmadu Bello University, Zaria 1980/ 1981 Session .

فهرست الملاحق

ملحق رقم (١)

١ ـ خارطة تبين انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في عهد الأمير محمد بن سعود.

٢ ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير محمد بن سعود.

٣ ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود

٤ ـ خارطة تبين اتساع الدولة في عهد الأمير سعود بن عبدالعزيز (سعود الكبير).

ملحق رقم (٢).

١ ـ خارطة تبين انتشار الإسلام في غرب إفريقية.

٢ـ خارطة تبين إمارات الهوسا في عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م.

٣ ـ خارطة تبين المعارك الرئيسية ومناطق الهجوم في جهاد الشيخ عثمان ابن فودي في عام ١٢١٩ ـ ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٨٠٥م.

٤ ـ خارطة تبين دولة صكت وأهم المدن بها.

٥ ـ خارطة تبين إمارات دولة صكت.

ملحق رقم (٣).

«١» مقدمة مخطوط "نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان" للشيخ عثمان بن فودي، وفيها بيان أن دين الله يسر وبيان ما من الله به على الشيخ عثمان في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا.

«٢» خاتمة مخطوط نجم الإخوان، وفيها:

ترغيب أهل زمان الشيخ عثمان، وحضهم على الاشتغال بتواليف علماء زمانهم والتزامهم بأمور أربعة ينور الله بها القلوب، وهي:

١ ـ الاشتغال بتقوى الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٢ ـ الاشتغال بقراءة القرآن الكريم.

٣ ـ الاشتغال بقراءة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤ ـ الاشتغال بأخبار السلف الصالح.

ملحق رقم (٤)

رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أهل المغرب، يبين لهم فيها ماعمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله عز وجل، بالتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لايقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى .... الخ، كما يبين لهم فيها الشفاعة وأنها حق لاتطلب في الدنيا إلا من الله تعالى، كما يبين لهم أيضاً حقيقة دعوته، وسبب قتاله لأهل نجد وغيرهم.

ملحق رقم (٥)

رسالة من الشيخ عثمان بن فودي إلى الشيخ الحاج محمد الأمين الكانمي، وهي جواب من الشيخ عثمان على رسالة قد بعثها إليه الحاج محمد الأمين الكانمي وهذه الرسالة تدور حول خمسة موضوعات، هي:

١ - سبب القتال الذي وقع بين الشيخ عثمان وبين سلاطين بلاد الهوسا.

٢ - سبب القتال الذي وقع بين الشيخ عثمان وبين سلطان برنو وأهله.

٣ - إجابة الشيخ عثمان بأنه لايكفر أحداً من أهل القبلة بذنب.

٤ - إجابة الشيخ عثمان بأنه يكفر من يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر وأقواله.

٥ - تبيين الشيخ عثمان حكم إقامة الحاج محمد الأمين الكانمي في بلد برنو.

فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

الموضــــــوع	الصـفحـة

- أولا : في نجد :

ثانياً : في بلاد الهوسا :

الفصل الثاني:

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

الموضـــــوع	الصفحة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

«تابع» فهرست محتويات الرسالة

مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية